ذكر
تملك جمهور الفرنساوية
الأقطار المصرية والبلاد الشامية

تأليف

المعلم نقولا الترك

أو

[الحملة الفرنسية على مصر والشام]

حققه وقدم له ووضع حواشيه

العميد الركن الدكتور ياسين سويد



١٩٩٠

ذكر

تملك جمهور الفرنساوية

الاقطار المصرية والبلاد الشامية

الكتاب ذكر تملك جهور الفرنساوية
الأقطار المصرية والبلاد الشامية
[أو الحملة الفرنسية على مصر والشام]

تأليف المعلم نقولا التركي [ك]

حققه وقدم له ووضع حواشيه العميد الركن د. ياسين سويد

الناشر دار الفارابي ـ بيروت ـ لبنان
ص.ب: ٣١٨١ / ١١. هاتف ٣٠٥٥٢٠ / ٠١

التنضيد شركة المطبوعات اللبنانية ش.م.ل

خطوط الغلاف بسام العنداري

الطبعة الأولى ١٩٩٠

مقدمة المحقق

الكتاب الذي بين أيدينا هو لكاتب «شامي» اشتهر، فيما بين القرنين الثامن عشر والتاسع عشر (١٧٦٣ ـ ١٨٢٨)، بألمعيته وشاعريته وسعة اطلاعه، وبنسيج من العلاقات الحميمة التي أقامها مع الأمراء والأعيان وكبار القوم في كل من مصر وبلاد الشام. إنه «المعلم» نقولا بن يوسف بن ناصيف آغا الترك.

ويجمع الباحثون [١] على أن «المعلم نقولا» هو من مواليد عام ١٧٦٣ في بلدة «دير القمر» عاصمة الإمارة الشهابية يومذاك، وهو من أسرة يونانية استوطنت «القسطنطينية» عاصمة السلطنة العثمانية، واعتنقت الكثلكة في أوائل القرن الثامن عشر، ثم نزحت إلى بلاد الشام حيث استقرت في عاصمة الشهابيين. ومن جراء وجودها السابق بالقسطنطينية اكتسبت تلك العائلة لقب «الترك».

وإذ نصر على اعتبار مؤلف هذا الكتاب «شامياً» فلكي ندحض، بالقرائن والأدلة التاريخية الدامغة، ما ينطوي عليه اعتباره «لبنانياً» ولد في «دير القمر، عاصمة لبنان إذ ذاك» [٢] من

---

(١) البستاني، فؤاد افرام، ديوان المعلم نقولا الترك، (ص: أ).
(تجدر الملاحظة ان طبعتي الديوان، المنشورتين من قبل مديرية الآثار والجامعة اللبنانية، متماثلتان في أرقام الصفحات وعددها، باستثناء وحيد هو ان نسخة الجامعة اللبنانية نشرت في جزئين، اما نسخة مديرية الآثار فنشرت في مجلد واحد. لذا، لا يوجد اي فرق على الاطلاق بين الطبعتين). وانظر الترجمة الفرنسية للكتاب:

(Desgranges Ainé, Histoire de L'expédition des Français en Egypte P. VII - VIII).

وبذكر المترجم الفرنسي (اينيه) في مقدمة ترجمته للكتاب (P. VIII) انه عرف المؤلف شخصياً، في بلدته دير القمر.

(٢) البستاني، المصدر السابق، ص. ن.

افتئات على الحقيقة التاريخية، وتجاوز للموضوعية العلمية، في سرد وقائع تاريخ هذا البلد. إذ يكفي أن نشير إلى ما كتبه «ديغرانج اينيه Desgranges Ainé» في مقدمة ترجمته لكتاب الترك، من أنه -أي نقولا الترك- «سوري»[٣]، وأنه ولد في «دير القمر، بسوريا»[٤]، لندرك المدى الذي وصلت إليه عملية التضليل التي «كرسّها» بعض المؤرخين اللبنانيين «كحقيقة لامراء فيها» وذلك من خلال كتابتهم لتاريخ لبنان، خاصة إذا علمنا أن «ديغرانج اينيه» كان، في ذلك الحين، سكرتيراً مترجماً للملك (لويس فيليب)، وأنه كتب مقدمته ونشر ترجمته تلك بعد إحدى عشرة سنة فقط من وفاة المؤلف، أي عام ١٨٣٩، حين كانت «إمارة الدروز» أو «الإمارة الشهابية» لا تزال هي «الكيان» التاريخي المعروف لهذا الجزء من بلاد الشام[٥].

كان «يوسف بن ناصيف آغا الترك» والد «المعلم نقولا» من محازبي الأمير يوسف الشهابي، أمير الشوف، فلما هزم الأمير يوسف أمام خصمه الأمير بشير الثاني، وفرّ من الإمارة إلى عكا، حيث تم القضاء عليه شنقاً على يد الجزّار عام ١٧٩٠[٦]، تولّى يوسف الترك رعاية أولاده وتقرّب من كاخيتهم، وأشهرهم «جرجس باز» الذي انحاز إليه يوسف، فأصبح ذا حظوة عنده، الأمر الذي أثار حفيظة الأمير الشهابي، بشير، فقضى على ابني باز، جرجس وأخيه عبد الأحد، كما قضى على جميع أنصارهما وأنصار أولاد الأمير يوسف، ومنهم «يوسف الترك» حيث «قبض عليه... وأمر بقتله أيضاً، لأنه كان متقدم عند جرجس باز ويسمع كلامه»[٧] وذلك عام ١٨٠٧، وكان «نقولا» في الرابعة والأربعين من عمره. ومع ذلك، فإن «المعلم نقولا»، (وكان قد اكتسب لقبه هذا من جراء ممارسته تعليم القراءة والكتابة لأولاد الذوات والأعيان في الإمارة)، لم يتورع عن وضع نفسه بتصرف الأمير، قاتل أبيه، والتقرب منه، بل ومديحه بقصائد ذاع صيتها في ذلك الزمان[٨].

ولكن المهمة الأهم والأخطر في حياة المؤلف، والتي قام بها خدمة للأمير بشير، هي تلك

---

(٣) «en publiant L'histoire de notre expédition d'Egypte, écrite en arabe par un Syrien» Ainé, op. cit. P.V

(٤) - «IL naquit dans L'année 1763 á Dair El - Kamar, en Syrie» (Ibid, PP. VII - VIII).

(٥) للتوسع في بحث هذه النظرية، راجع كتابنا: التاريخ العسكري للمقاطعات اللبنانية، الجزءان الاول والثاني، وراجع أيضاً: الفرمان السلطاني الذي عين بموجبه الامير بشير الثالث اميراً على «امارة جبل الدروز» وعلى «قبائل الدروز» ودلك بتاريخ ٦ رجب ١٢٥٦هـ (الموافق ليوم ٦ آب / اغسطس ١٨٤٠م).

(رستم، الاصول العربية لتاريخ سورية في عهد محمد علي باشا، ج ٥: ٢٧٢ - ٢٧٤ وثيقة رقم ٥٧).

(٦) راجع احداث هذه الفترة في كتابنا المذكور اعلاه، ج ٢: ١٢٩ - ١٦٢.

(٧) الشهابي، حيدر، لبنان في عهد الامراء الشهابيين، ج ٢: ٥١٤.

(٨) راجع قصائد نقولا الترك في مدح الامير بشير الثاني، وذلك فيما اسماه: «كتاب الدر النضير في مدح الامير» ضمن ديوانه المشار اليه (ص ٢٠٩ - ٣٢٠ وص ٤٤١ - ٤٤٦)، وفيه عدد لا يستهان به من قصائد المديح التي نظمها المؤلف تزلفا للامير وتقربا منه، خاصة بعد قتل والده، (اي منذ عام ١٢٢٣هـ = ١٨٠٨م).

التي كانت في مصر خلال الفترة الممتدة ما بين عامي ١٧٨٩ و ١٨٠٤م، حيث كلفه الأمير إقامة علاقات ودّ وصداقة مع أعيان مصر وزعمائها، تمهيداً لإقامة تحالف معهم، كما كلفه «مراقبة الحالة العامة في أثناء الاحتلال الفرنسي» لمصر، حسبما يرى البستاني [٩]. وقد استطاع أن يقيم مع العديد من الوجهاء والأعيان وأصحاب المناصب العليا في المجتمع المصري، وفي الدولة المصرية، وخاصة مع أولئك المتحدرين من أصل شامي [١٠]، علاقات حميمة سهلت، فيما بعد، لسيّده الأمير، تحالفاً قوياً ومتيناً مع حاكم مصر في النصف الأول من القرن التاسع عشر، محمد علي باشا.

ترى، هل كان الأمير يرغب، فعلاً، في درس أحوال الجيش الفرنسي في مصر، ليقرر، بعدها، إذا كان عليه أن يتحالف مع الغازي الأوروبي لمصر أولاً، ثم لبلاد الشام ثانياً؟ وهل ان هذه الرغبة هي التي دفعته إلى تكليف «المعلم نقولا» هذه المهمة الخطيرة، حيث كان عليه «أن يحسن المراقبة من مقرّه، في القاهرة أولاً، ثم في دمياط، وان يدوّن كل ما يتصل به من أخبار الجيوش وتحركاتها، وعَدَدها وعُدَدها، وأن يرسل بخلاصة ذلك إلى أميره» [١١]، وذلك قبل أن يرمي برجاله في مغامرة غير مضمونة العواقب إلى جانب الجيش الفرنسي؟

ربما كان ذلك صحيحاً، ولكننا نعلم أن الأمير كان من الدهاء والحنكة بحيث أنه لم يكن لينزلق في هذا المنزلق الخطر قبل أن يتحسس موضع قدميه جيداً، لذا، نراه يتردد في أن يتجاوب مع نداءات بونابرت عند وصوله إلى أسوار عكا، ويشترط، لتحالفه معه، سقوط عكا أولاً، فظل يراوح في موقف (البين بين)، يسهّل، من جهة، مرور الامدادات والذخائر إلى صاحب عكا، ويسمح، من جهة أخرى، لرعاياه، بالتعامل التجاري مع جنود الاحتلال الفرنسي في فلسطين، حيث رأيناه يطبق، وربما للمرة الأولى في تاريخنا السياسي، مبدأ «الحياد الايجابي» [١٢].

وقد استطاع «المعلم نقولا»، في أثناء إقامته بمصر، أن يقوم بأداء المهمة التي كلفه الأمير إياها، خير قيام، وان يجمع، إلى جانب ذلك، المعلومات المستفيضة عن الأحداث التي جرت في مصر إبان الاحتلال الفرنسي، وكذلك المعلومات المستفيضة عن الغزو الفاشل الذي قام به بونابرت لبلاد الشام، وحصاره غير الناجح لعكا. وكان نتاج إقامته في «الكنانة» (كما سماها مراراً) أمرين هامّين:

الأول: تأمين «تحالف» مصيري بين محمد علي باشا، حاكم مصر بعد تحررها من الفرنسيين، (والذي تسلّم حكم مصر عام ١٨٠٥) وبين الأمير بشير، أمير الشوف.

---

(٩) البستاني، ديوان المعلم نقولا الترك، المقدمة (ص: ب)

(١٠) م.ن. (ص: ب و د).

(١١) م.ن. ص: ج.

(١٢) انظر لهذا الشأن: كتابنا المشار اليه اعلاه، الجزء الثاني، ص ٢٢٠ ـ ٢٢٤ (موقف الامير بين الجزار وبونابرت: الحياد الايجابي).

الثاني : كتابه المرجع عن حملة بونابرت إلى مصر وغزوه لبلاد الشام. والذي نحن بصدده.

ولما عاد «المعلم نقولا» من مصر إلى دير القمر، عام ١٨٠٤، التحق بخدمة الأمير، وكان من المقربين إليه وذوي الحظوة عنده. حتى أنه ألّف مقامة شهيرة، في العام نفسه، وقدمها للأمير، وهي «المقامة» المعروفة «بالديريه»[١٣] نسبة إلى «دير القمر» عاصمة الإمارة يومذاك، أو نسبة إلى «دار» كان يحلم المؤلف بامتلاكها، فبنى «مقامته» على هذا الحلم، ورفعها إلى «سعادة الأمير بشير» وإلى «جناب الأمرا أولاد سعادته، وإلى الشيخ بشير جنبلاط»[١٤] (مشيراً إليهم تلميحاً دون ذكر أسمائهم في المقامة). وقد استجاب الأمير لطلبه وبنى له دارا فخمة في دير القمر (قرب قبة الشربين) لا تزال آثارها قائمة إلى اليوم. وساهم في تكاليف البناء كل من الأمير وأولاده والشيخ بشير جنبلاط، بناء لرغبة الأمير نفسه[١٥].

وفي عام ١٨٠٧ قضى الأمير على والد المؤلف قتلاً، كما سبق وذكرنا، ولكن ذلك لم يمنع المؤلف من متابعة ارتباطه بالأمير والتزلف إليه والتقرب منه، خوفاً أو مصلحة، لا فرق. إلا أنه، في الوقت نفسه، ازداد التصاقاً بحليف الأمير ومنافسه وخصمه في آن، الشيخ بشير جنبلاط، ومدحه بقصائد طوال ذاع صيتها كذلك[١٦]. ويرى البستاني أن المؤلف قد يكون التجأ إلى حمى «الشيخ بشير» في ذلك الحين «لكثرة ما نراه من مدائح الشاعر لسيد المختارة في هذه الفترة من الزمن»[١٧].

واستمرت دورة الحياة عادية، بعد ذلك، عند المؤلف، الشاعر والمؤرخ، ولم تصلنا معلومات كثيرة عن تفاصيل ما تبقى من حياته، سوى أنه عاد إلى مهنة التدريس، بعد عودته من مصر[١٨]، مستعيناً، على صروف الدهر واحتياجات الحياة، بما سبق وجمعه في مصر من «ثروة وافرة»[١٩]، وبما كان يحصل عليه من جراء نتاجه الشعري، ومديحه للأمراء والمشايخ والأعيان. ومع أنه كاد يحصر مديحه بالأمير وأبنائه وانسبائه، وبالشيخ بشير جنبلاط، فهو قد وفر لنفسه، من هذا المديح، مردوداً مادياً لا بأس به. ولم يكن يقتصر هذا المردود على المال فحسب، بل كان يشمل كل ما يمكن أن يحتاج إليه المرء من المواد الضرورية للحياة مثل «الحنطة والعدس والحمص والأرز والجبن والزيت والسمن والعرق والنبيذ والدخان والعطوس»[٢٠].

---

(١٣) انظر هذه «المقامة» في «ديوان المعلم نقولا الترك» ص ٣٤٤ ـ ٣٤٨.

(١٤) م. ن. ص ٣٤٤.

(١٥) انتقلت هذه الدار من ورثة المعلم نقولا الترك الى ورثة موسى سعد، وقد تداعت وانهارت جدرانها، ويذكر محقق الديوان (البستاني) انه اشترى أطلال هذه الدار وباشر بترميمها عام ١٩٥٥ (م. ن. ج ١: هـ ـ طبعة الجامعة اللبنانية).

(١٦) م. ن. ص ٣٨٩ ـ ٢٤٦ وص ٤٤٥ ـ ٤٤٦.

(١٧) م. ن. ص: ب.

(١٨) م. ن. ص ٣٧٤.

(١٩) م. ن. ص. ن.

(٢٠) م. ن. ص: هـ.

وكان الأمراء والمشايخ والأعيان يتبارون في تقديم هذه الأنواع والهدايا للشاعر الغزير الانتاج، المطنب في مديحهم والتزلف إليهم. وكان الأمير الكبير يخلع عليه «الفراء في الشتاء، والسراويل والعباء والعمائم، وما يترتب في المواسم والأعياد خاصة»، وكذلك «المطايا من برذون أو بغل أو حمار»[٢١].

واستمرت حياة المؤلف على هذا المنوال، رتيبة هادئة، إلى أن أصيب بفقد إحدى عينيه عام ١٨١٦[٢٢]، ثم أصيب، بعد ذلك بعام واحد (عام ١٨١٧)، بشلل نصفي نزل بجنبه الأيمن فأقعده:

«لأنه قد بُلي في عارض خطر ... من العوارض منه كلّت الركب»
«من سقطة سقطت ليلا بجانبه ... فهدّت الحيل منه والتوى العصب»
«وبات ملقى طريحا غير مقتدر ... على القيام ولا رجلاه تنتصب»

كما قال هو عن نفسه، وذلك في معرض قصيدة له بمدح الأمير حيدر أحمد الشهابي[٢٣].

وقد كتب إلى الأمير بشير شعرا يشكو فيه همه ويطلب منه طبيباً لمعالجته، ويقول له:

«الترك عبدك يا مولاي قد نزلت ... عليه نازلة والحال قد عظما»
«وقد غدا مقعداً لا يستطيع بأن ... يقوم منتصباً أو ينقل القدما»
«مكسّحا لم يعد غير اللسان به ... محركاً لاهجا يشكو به الالما»
«لم يدر من فالج أو أنه عرضٌ ... يزول والأمر لله الذي حكما»
«يرجو طبيباً أخافَهُم يعالجه ... أعني به يوسف المشهور في الحكما»[٢٤]

ويظهر أنه شفي من مرضه وبرىء من علته، فكتب إلى الأمير يقول:

«بالأمس عبدكم شكا من حالة ... بالغيب قد كانت له مكنونه»
«واليوم صار بصفو خاطركم على ... أمنيّة وسلامة مضمونه»[٢٥].

وعادت بعدها عافيته إليه كاملة، فتابع صنعته في مديح الأمير الكبير وسائر الأمراء والمشايخ والأعيان. وحلّق في قصائده وأبدع، وخاصة تلك القصائد التي نظم بها المزامير (مزامير داود) شعراً، تقرباً من الله، ورجاء عفوه، وقد سمّاها «كتاب الزبور الالهي»، وهو يشتمل على

---

(٢١) م.ن. ص: هـ ـ و. ويذكر البستاني، في هذا المجال، اسماء بعض الذين كانوا يتبرعون للشاعر بسخاء، مثل: المؤرخ الامير حيدر أحمد الشهابي، والشيخ بشير جنبلاط، والشيخ بشارة الخازن، (م. ن. ص: هـ).

(٢٢) م. ن. ص: ٤٠٦.

(٢٣) م. ن. ص: ٤٠ ـ ٤١.

(٢٤) م. ن. ص: ٢٣١.

(٢٥) م. ن. ص: ٣١٤.

المزامير كلها منظومة بشعر سلس وسهل الحفظ والاستيعاب «ينشده العابرون، ويرتله المترنمون، ويألفه أولاد المدارس»[٢٦]، باذلاً «الجهد في سبك المعاني، على حسب المباني، غير حايد عن جواهر فحواها، ولا مناف مآثر من انشاها»[٢٧]، وشاعت أشعاره هذه، بالفعل، بين الناس، حتى أضحت تنشد وترنّم ويحفظها أولاد المدارس، كما رغب هو واشتهى.

وأحس ذات يوم، بأن نهايته قد دنت، أو هكذا خيّل إليه، فنظم أبياتاً خمسة لتنقش على قبره، يوم يموت، وهذه الأبيات هي:

«يا جايزين على قبر الأثيم قفوا مصلبين على لحد به بت»
«واتلوا على تربة ابن الترك مرحمة وسامحوني بما في حقكم عبثتُ»
«واستعطفوا الله لي صفحا ومغفرة لأنني مت مأثوماً وما تبتُ»
«تذكروا انني قد كنت مثلكمُ بالأمس، والآن، يا خلان، قد متُّ»
«وقبل موتي يدي خطت مسطّرةً يا ربيَّ العفو عما فيه اذنبتُ»[٢٨]

إلا أنه أخطأ في الحساب، فلم يمت في التاريخ الذي حدده لنفسه، وبنفسه (إذ أرخ وفاته في البيت الأخير)، ومع ذلك، فقد نقشت هذه الأبيات على ضريحه، بعد وفاته، وأضاف إليها الشيخ ناصيف اليازجي البيت التالي، تأريخاً آخر لوفاته:

«واقبل هتافي الذي تاريخه ابدا اني على رحمة الباري توكلتُ»[٢٩].

وتوفي «المعلم نقولا الترك» الشاعر والمؤرخ، والمادح والهاجي والمازح والمنكّت، وصاحب المقامات (من الديرية إلى اللبنانية فالكانونية فالمغيرية فالشمسطارية فالقاضية فالكسروانية فالعكاوية فالشوفية فالصيداوية فالعيسوية)، وصاحب المزامير، والدرّ النضير في مدح الأمير، وذلك بعد أن فقد نظره في أواخر أيامه. وقد اختُلِف في تحديد تاريخ وفاته، فبينما نجد الشيخ ناصيف اليازجي يؤرخ وفاة الشاعر في العام ١٨١٦ (حسب الأرقام التي تمثلها حروف التاريخ في البيت الأخير الذي وضعه اليازجي)، وهو أمر غير مرجّح، نجد تأريخاً آخر لهذه الوفاة هو العام ١٨٢٦، وتأريخاً ثالثاً هو العام ١٨٢٨. وقد ذكر «البستاني» في «مقدمته» لديوان المعلم[٣٠] أن التاريخ الثاني (أي عام ١٨٢٦) أوردته مجلة المسرة (في مجلدها لعام ١٩٢١ ص ٤١)، وان التاريخ الثالث (عام ١٨٢٨) اثبته «الأب شيخو اليسوعي» في كتابه «تاريخ الآداب العربية في القرن التاسع عشر» وفي كتاب «المخطوطات العربية لكتبة النصرانية»، وذلك «استناداً إلى ما وجده في مقدمة تاريخه المطبوع في باريس، وعلى ما ذكره عيسى اسكندر

---

(٢٦) م. ن. ص: ٣٢١.
(٢٧) م. ن. ص: ٣٢٢.
(٢٨) م. ن. ص: ١٧٧.
(٢٩) م. ن. ص: ح.
(٣٠) م. ن. ص: ط.

المعلوف في «دواني القطوف» ثم في «المشرق». ويضيف البستاني «ونحن على هذا القول إلى أن يثبت خلافه بطريقة واضحة»[٣١].

ومهما يكن من أمر تاريخ وفاة المعلم الترك، وسواء عمَّر ثلاثة وستين عاماً (١٧٦٣ ـ ١٨٢٦) أم خمسة وستين (١٧٦٣ ـ ١٨٢٨)، فقد دفن في ساحة كنيسة «النبي الياس» للروم الكاثوليك في دير القمر، ولا يزال الشاهد الذي يشير إلى ضريحه قائماً في الحائط الشمالي للكنيسة، حيث حفرت الأبيات الستة التي سبق وأشرنا إليها[٣٢].

ولم يصلنا شيء عن أسرته، وأغلب الظن أنه توفي بلا عقب[٣٣].

* * *

لقد خلّف المعلم، إذن، أثرين فكريين هامين، هما: ديوانه الشعري، وكتابه الذي نحن بصدده «ذكر تملك جمهور الفرنساوية للأقطار المصرية والبلاد الشامية» الذي هو واحد من المصادر المميزة لتاريخ حملة بونابرت على مصر والشام، باعتبار أن مؤلفه عاصر تلك الحملة وعايشها وراقب أحداثها مراقبة المهتمّ والمعنيّ، وعبّر عن أحداثها ووقائعها بأسلوب سهل وواضح وغير معقد، متدخلاً في التفاصيل الصغيرة من الأحداث، بحيث لا يجد القارىء حاجة، عند الركون إليه، للتساؤل أو الاستفسار عن حدث أو واقعة خارج النص. هذا مع العلم أننا سعينا جهدنا، من خلال تحقيق الكتاب، إلى اغناء النص بشروح إضافية زادته وضوحاً وولوجاً إلى أدق التفاصيل. وقد عثر الباحثون على عدة مخطوطات لكتاب المعلم الترك هذا، ذكر «اينيه» ثلاثة منها، وهي:

١ ـ المخطوطة التي نسخها بنفسه «في سوريا، عن نسخة اعطانا إياها شيخ ماروني نعرفه».

٢ ـ المخطوطة التي استعارها من أحد أصدقائه المستشرقين الفرنسيين، الاستاذ «كوسان دي برسفال Coussin de Perceval».

٣ ـ المخطوطة الموجودة في المكتبة الملكية بباريس[٣٤].

---

(٣١) م. ن. ص: ن.

(٣٢) م. ن. ص: ن.

(٣٣) ذكر البستاني، نقلاً عن «عيسى اسكندر المعلوف» في مجلته (المشرق، عدد ٢٩ عام ١٩٣١ ص ٢٨٨) ان الترك، بعد ان فقد نظره، اخذ يملي شعره على ابنته «وردة»، ولكن «وردة» هذه لا نجد لها أثراً في ديوان المؤلف. رغم ان «المعلوف» يذكر (في مجلة: الآثار، المجلد الاول، ص ٣٦٢) انها تزوجت «بحبيب الصوصة من دير القمر، ورزقت منه بولدين اديبين توفيا بلا عقب، كما ان اخاها فتح الله توفي يافعا، فانقطع نسل شاعرنا» (م. ن. ص: ح).

(٣٤) Ainé, op. cit. P. VIII -

ويذكر «اينيه» أن المخطوطة التي اعتمدها في ترجمته، ثم حققها ونشرها باللغتين العربية والفرنسية بباريس عام ١٨٣٩ (وهي النسخة العربية التي بين أيدينا)، تبدو كأنما هي نسخة مطابقة تماماً للمخطوطة الموجودة في المكتبة الملكية، أو بالأحرى، يبدو كأنهما نسختان عن أصل واحد [٣٥]، بينما تبدو تلك التي يقتنيها الاستاذ «برسفال» أكثر اختصاراً، إلا أنها أكثر استقامة من حيث التقيد بالقواعد اللغوية، وتختلف عن المخطوطتين السابقتين ببعض التعابير [٣٦].

ونجد، من ناحية ثانية، أن المؤرخ المعروف في النصف الأول من القرن التاسع عشر، الأمير حيدر أحمد الشهابي، وهو صديق للمعلم الترك وقريب منه، قد اثبت في «تاريخه» نسخة من كتاب الترك، بعنوان «ذكر ما حدث إلى الفرنساوية من الانشقاق والنفاق والخصام، وخروجهم إلى الديار المصرية، وما تم لهم بتلك الأمصار، بنوع الاختصار، والحمد لله العليّ الجبار الذي أراح منهم هذه الديار» [٣٧] ويعلّق المحققان (رستم والبستاني) على هذا العنوان بقولهما «هكذا في ن ١. وهو ساقط من نسخة المعلم نقولا الترك التي نشرت في باريس عام ١٨٣٩» [٣٨]، ثم نجد بعدها أن النص المطبوع لكتاب الترك هذا، والواقع بين الصفحتين ٢١٣ و ٣٤٢، يكاد لا يختلف عن النص الذي بين أيدينا إلا ببعض المفردات والتعابير، ولكنه يمتاز عنه باستقامة أكثر من حيث التقيد بالقواعد اللغوية، وربما يكون مرد ذلك، على ما يرجح، إلى تصرف المحققين في تصحيح بعض التعابير والمفردات والأخطاء اللغوية الواردة في النص الأصلي. هذا مع العلم أن المحققين لم يكلفا نفسيهما عناء التعليق على نص الكتاب بشروحٍ وافية تغني القارىء عن العودة إلى بعض المعاجم والمراجع، فجاءت هذه النسخة بعيدة عن أن تكون محققة بالمعنى العلمي للكلمة [٣٩]. والذي يلفت أن المحققين غالباً ما يشيران إلى (ن ١) دون أن يحددا ماهية هذه النسخة، وهل هي مختلفة، أم لا، عن المخطوطات الثلاث التي ذكرها «اينيه»، وأغلب الظن، في نظرنا، انها مخطوطة رابعة للمؤلّف، باعتبار أن الأمير الشهابي، المؤرخ، قد عاصر المعلم الترك، وعايشه، وصادقه، كما قدمنا.

وعودة إلى النسخة المطبوعة التي حققناها، فهي نسخة متكاملة في الاداء والمعنى، تدل دلالة واضحة على ضلوع مؤلفها في معرفته الواسعة للأحداث التي جرت في مصر منذ نزول

---

(٣٥) - Obid, P. VIII - IX.

(٣٦) - Ibid, P. IX.

(٣٧) الشهابي، تاريخه، ج ٢: ٢١٣.

(٣٨) م. ن. ص: ن. حاشية (١).

(٣٩) يشير المحققان إلى ذلك في ختام الحاشية رقم (١)، ص ٢١٤، حيث جاء فيها: «هذا وقد رأينا شيئاً من الاختلافات الطفيفة بين تاريخ نقولا الترك المطبوع ونسخة الامير حيدر، فلم نشر إليها، لأن قصدنا نشر تاريخ الامير حيدر كما هو، فحسب». والمقصود بالتاريخ المطبوع هو نسخة باريس (التي هي بين ايدينا) وقد ذكر المحققان ذلك في مطلع الحاشية نفسها.

الجيش الفرنسي على أرضها وحتى خروجه منها، مع نقص، مبرّر ولا شك، في التفاصيل المتعلقة بما دون ذلك، مثل (ذكر الثورة الفرنسية) و (ذكر الحملة على بلاد الشام) وغياب تام، وغير مبرّر، للحواشي والهوامش، إذ أهمل المؤلف شرح الكثير من الأمور التي كانت بحاجة إلى شرح وتفسير. وإذا علمنا أن المؤلف يجهل اللغة الفرنسية جهلاً تاماً، نستطيع أن نقدّر الجهد الذي بذله في اصدار كتاب من هذا النوع زاخر بالمعلومات عن الحملة الفرنسية على مصر، حتى التفاصيل أحياناً، متغاضين عن بعض الأخطاء في المضمون، والتي أشار إليها «اينيه» في مقدمته للترجمة الفرنسية للكتاب، خاصة وانها أخطاء لا تمس جوهر الأحداث والوقائع [٤٠]. أما ما عدا ذلك من أخطاء، وخاصة اللغوية منها، والتي هي كثيرة لا تحصى، باعتبار ان الكتاب أقرب إلى العامية منه إلى الفصحى، (وساعد على تكاثر الأخطاء اللغوية تغليب الكاتب لأسلوب السجع في معظم الكتاب على الأسلوب الانشائي العادي)، فلم يكن ممكناً حصر تلك الأخطاء، وتصحيحها جميعها، وإلا، لفقد الكتاب، بصورة تامة، شكله الأصلي، وهو ما يتنافى تنافياً مطلقاً مع القواعد العامة والمبدئية لأي تحقيق أو مراجعة، حيث يجب أن يحتفظ النص الأصلي بشكله ومضمونه، باستثناء ما يمكن أن يثير التباساً في فهم النص أو يبقيه غامضاً غير مفهوم. وفي أي حال، يجب أن يتوقف أي تصحيح أو تحوير في النص الأصلي عند حدود القاعدة العامة: الاحتفاظ بأسلوب المؤلف، شكلاً وجوهراً، وعدم المس به بالقدر الذي يفقده أصالته. ويجب أن يشار إلى ذلك بوضوح، في كل حال. هذا مع المحافظة على المعنى محافظة أمينة وتامة.

وقد قارنّا النسخة التي بين أيدينا، بترجمتها الفرنسية، فرأينا اختلافاً في بعض النصوص، أشرنا إليه في حينه (مثلاً: وصية الملك لويس السادس عشر، وشروط الصلح الأولى والثانية) وقد اعتمدنا، بالطبع، الترجمة الفرنسية لهذه النصوص، باعتبارها الأصل، كما قارنا بين هذه النسخة وبين ما ورد في كتاب الجبرتي (عجائب الآثار في التراجم والأخبار) وأشرنا إلى بعض الاختلاف في نص المنشور الذي أصدره بونابرت إلى الشعب المصري عند دخوله إلى مصر، وهو باللغة العربية (ص ١٨ ـ ٢١ من النسخة المطبوعة بباريس، وص ١٨٢ ـ ١٨٤ من الجزء الثاني من كتاب الجبرتي)، وكذلك إلى الاختلاف في تفاصيل بعض الوقائع والأحداث.

المنهجية المتبعة في التحقيق:

وقد اتبعنا، في تحقيق الكتاب ومراجعته، منهجية محددة نوجزها بما يلي:

ـ راجعنا الكتاب مراجعة عامة، فضبطنا نصوصه، بالفواصل والنقاط، وعلامات الاستفهام

(٤٠) أشار «اينيه» الى هذه الاخطاء واعطى مثلاً عليها: عديد الجند في مختلف وحدات الجيش الفرنسي، وعدد القتلى والجرحى والاسرى في بعض المعارك. كما اخذ عليه انه «لم يحدد تحديداً دقيقاً مدى نجاح كل قائد من القادة في المعارك التي خاضها «وانه» لم يكن، احياناً، أكثر من مردّد لصدى الشائعات والاخبار المتداولة في القاهرة» (Ibid, P. VI).

أحياناً، وقسمناه جملاً وعبارات، ورتبناه فقرات تختلف طولاً باختلاف تـواصـل المعـانـي والأفكار، ووضعنا لبعضها عناوين لم يضعها المؤلف، وعمدنا إلى سدّ النقص الناتج عن اهمال المؤلف لتفسير ما يجب تفسيره في هوامش وحواشي كانت ضرورية، فاضفناها جميعها، وصوّبنا بعض الألفاظ والعبارات، واضفنا ما يَلزم المعنى إضافته من كلمات، وحذفنا ما يَلزم حذفه منها، ووضعنا كل تصويب في النص ضمن إشارتين على الشكل التالي [ ]، وأشرنا إلى ذلك في الهوامش، كي نحفظ للكتاب نصّه الأصلي.

- شرحنا كل ما يجب شرحه من كلمات، فصحى وعامية، عربية وأجنبية، سواء كانت أسماء أعلام أم كلمات عادية، مستعينين، لذلك، بعدد من المعاجم والمصادر والمراجع اثبتناها جميعاً في آخر الكتاب. وقد سعينا جهدنا لنخترق الابهام المحيط بالألفاظ العامية التي استخدمها المؤلف في أغلب الأحيان، كي يتم توضيحها وتفسيرها للقارىء الكريم، وقد تمكنا من ذلك إلى حد كبير.

- اكتفينا، في تصحيح الأخطاء اللغوية الكثيرة، بتصحيح تلك التي يمكن أن تؤثر في المعنى فتحوّره أو تغيّره، لو تركت على حالها. أما باقي الأخطاء، التي لا تؤثر في المعنى، ويعيها القارىء بيسر، فقد آثرنا تركها على حالها، كي نبقي للكتاب «طابعه» الخاص الذي يميز اسلوب كاتبه.

- بادرنا، في أثناء تحقيقنا للكتاب، إلى التوقف عند ما يمكن أن يشكل في نظرنا، مغالطات تاريخية واردة في النص، سواء في تأريخ الأحداث أو في سرد مجرياتها، أو في تفسيرها وتأويلها. ولم نتردد في ابداء رأينا بوضوح في هذه الأمور، مؤيدين قناعاتنا بالأسانيد اللازمة.

- وفي الوقت نفسه، جهدنا في ايضاح ما يجب إيضاحه من أفكار وأحداث وردت في عبارات غلب عليها طابع الغموض والابهام، إما لعلة في النص أو لقصور في توضيح المراد، وقد لجأنا، في سبيل ذلك، إلى مختلف المراجع التي بين أيدينا، وخاصة: ترجمة «اينيه» الفرنسية للنص العربي، وتاريخ الجبرتي، ونسخة الشهابي، وما بين أيدينا من موسوعات ومعاجم.

يبقى أن نشير، ختاماً، وبايجاز كلي، إلى ما تضمنه الكتاب من أبحاث: فقد بدأ المؤلف كتابه في سرد لمحة موجزة عن الثورة الفرنسية ومصير الملكية في فرنسا، ثم انتقل إلى وصف مسير بونابرت إلى مصر بحراً، وحروبه فيها واستيلائه عليها. ثم تحدث، باسهاب، عن فترة الحكم الفرنسي لمصر، واصفاً بعض المناسبات المميزة وسلوك (أمير الجيوش) تجاهها، مثل: ما صنعه أمير الجيوش في فيضان النيل، وما صنعه بمناسبة عيد مولد النبي (صلعم)، وما صنعه بمناسبة عيد الثورة الفرنسية إلخ...

وانتقل بعد ذلك ليصف حملة بونابرت على بلاد الشام وحصاره لقلعة العريش ، واحتلاله لغزة ويافا ، وباقي معاركه في بلاد الشام. ثم حصاره لعكا وعودته عن ذلك الحصار بعد أن أصيب جيشه بالطاعون ، ووصول أنباء من فرنسا بأن مؤامرة تحاك ضده هناك. ثم عودته إلى باريس خلسة ، وتكليف الجنرال كليبر قيادة الجيش الفرنسي في مصر. وما تبع ذلك من مفاوضات بين العثمانيين والفرنسيين لجلاء هؤلاء عن تلك البلاد. ثم ذكر شروط الصلح ونقض تلك الشروط بسبب تعنّت الانكليز وعدم السماح للجيش الفرنسي بالخروج من مصر إلا بشروط ، وعودة القتال في مصر بين الفرنسيين والعثمانيين ، ومقتل الجنرال كليبر على يد سليمان الحلبي ، الشامي الجنسية ، وتسلم الجنرال «منو» قيادة الجيش بعده.

وينتقل المؤلف ، بعد كل هذه التفاصيل المثيرة ، إلى وصف القتال الذي جرى بين الفرنسيين من جهة وبين الانكليز والعثمانيين (الذين أبرّت جيوشهم في خليج أبي قير) من جهة أخرى. ذلك القتال الذي انتهى إلى مفاوضات بين الفريقين ، تم على أثرها وضع شروط جديدة للصلح (غير الشروط الأولى) ، وهي التي جرى على أساسها تنظيم انسحاب الجيوش الفرنسية من مصر بصورة نهائية.

ومما يجدر ملاحظته ، في ختام هذه المقدمة ، ان المؤلف لم يخرج ، في سياق وصفه للأحداث والوقائع والمعارك ، عن طبيعة السرد المجرّد ، حيث لا رأي ولا تحليل ولا فكرة شخصية يبديها ، في سياق السّرد ، تُغيّر ، ولو قليلاً ، من رتابة الوصف ، كأنما هو صحفي تلك الأحداث ، يرويها كما سمعها وكما وصلت إليه ، دون زيادة أو نقصان. وإذا كان هناك شيء من حماسة أو حرارة في وصف الوقائع والمعارك ، فهو إما تحيّز إلى موقف (وغالباً ما كان تحيزاً لموقف المحتل الفرنسي) ، أو تحيّز ضد آخر (يقرب أحياناً إلى درجة التشفّي).

عسى أن نكون ، في تحقيقنا لهذا الكتاب القيّم ، قد قدّمنا إلى القارىء العربي ما نحن راغبون في تقديمه من فائدة علمية مرجوّة ، وقدمنا إلى المكتبة العربية سفراً نفيساً ، يروي ، تارة ببراءة ساذجة ، وطوراً بحماسة مغرضة ، أحداث الحملة الفرنسية على مصر وبلاد الشام ، ولكنه يظل ، في كل حال ، مرجعاً مهماً لأحداث مرحلة مهمة من مراحل تاريخنا القومي.

بيروت في ١٣ أيار / مايو ١٩٨٩.

العميد الركن د. ياسين سويد.

فاتحة الكتاب

بسم الله الحيّ القيّوم، الابديّ الازليّ، الدايم السرمديّ، الواحد الاحد، الفرد الصمد. الذى لا ربّ غيره، وسواه لا يُعبد. من خلق السماوات وزيّنها بالكواكب السايرة والنجوم الساهرة،وبسط الارض واتقنها بحكمته الباهرة وقدرته القادرة. وصنع الانسان وولاّه على ساير ما ابدع في دنياه، وجمّله في العقل الفايق والذهن الرايق، وامره بالسير على الحقّ وحفظ السنن، وخلوص الودّ للخلق وترك الفتن. نحمده سبحانه وجلّ شانه حمداً يليق بعزّته ذات الجلالة، ما بزغ بدر واشرقت غزالة[1].

امّا بعد، فيقول العبد الضعيف صاحب هذا التاليف انه، اذ قد جرت عادة الاوايل بتاليف الكتب والرسايل، وذكر ما يمرّ عليهم من الحادثات الكونيّة والحركات الكلّيّة، كقيام دولة على دولة، وانتشار الحروب المهولة، وما يتعلّق بها من المواقع المريعة والامور الفظيعة، فحقّ لنا ان نؤرّخ في هذا الكتاب، لانتفاع الطّلاب، ما حدث من التغيير والانقلاب ممّا اجرته يد الاقدار في هذه الامصار، وممّا اذنت به العزّة الالهيّة بظهور المشيخة[2] الفرنساويّة، وما تكوّن بسببها من الفتن في البلاد الافرنجيّة وديار الروميّة[3] وقتل سلطانهم وخراب بلدانهم وانتشار شانهم، وربحهم من بعد خسرانهم، وذلك بظهور فرد افرادهم[4] وقايد اجنادهم، الليث الشديد والبطل الصنديد، امير الجيوش الامير بونابرته. وذكر الحروب التي ثارت بتلك المهالك، وحدوث الشرور والمهالك، وقهر

(١) الغزالة: الشمس.

(٢) المشيخة: الجمهورية.

(٣) ديار الرومية: ديار الروم، وكانت تطلق على بلاد الشرق.

(٤) فرد افرادهم: قائد قادتهم.

البلاد التي اتصلوا اليها، والانتصارات العظيمة التي حصلوا عليها، بانتقالهم الغريب من الغرب إلى الشرق، ومرورهم العجيب اسرع من البرق، ونزولهم على جزيرة مالطة كالصواعق الهابطة، وفتوحهم ثغر الاسكندرية واستيلائهم على الاقطار المصرية، وذكر ما تمّ لهم من التمليك في حروبهم مع جملة الغزّ [1] والمماليك، ومسيرهم على الاقطار الشاميّة، ومحاصرتهم لمدينة عكّا القويّة، مسكن ذاك الوزير الجبّار المعروف باحمد باشا الجزّار [2]، ورجوعهم الى ارض مصر وما تمّ لهم في ذلك العصر، وكفاحهم مع الدولتين العظيمتين الدولة العثمانية والدولة الانكليزيّة، ومصادماتهم للعساكر البريّة والبحريّة، وخروجهم من مصر القاهرة بالتسليم من بعد حروب وافرة وهول عظيم، وذلك في مدّة ثلثة اعوام في التمام، وابتداءها شهر محرّم الحرام افتتاح عام الف ومايتين وثلثة عشر هجرية [3]، وآخرها شهر ربيع الثاني عام الف ومايتين وستّة عشر بالهجرة الاسلامية [4]. ثم يتلوه ذكر تملّك الدولة العثمانية والدولة الانكليزية من بعد خروج الدولة الفرنساوية. وذكر ما تمّ لهم مع زمرة الغزّ والمماليك المحمّدية من بعد فتوحهم مصر الكنانة، وبالله القوّة والاعانة.

[ذكر الثورة الفرنسية] (*)

انه في سنة ١٧٩٣ مسيحية الموافقة لسنة ١٣٠٧ هجرية، حدث في مدينة باريز بلبلة عظيمة، إذ هاج شعب هذه المملكة هياجاً عظيماً، وتظاهر ظهوراً جسيماً ضدّ السلطان [5] والامراء والاشراف، في يوم كان شديد الارتجاف. وابرزوا الكمين منذ اعوام وسنين، وطلبوا نظامات جديدة وترتيبات حديثة، وادّعوا ان وجود السلطان بصوت منفرد [6] احدث خراباً عظيماً في المملكة، وان اشرافها يتنعّمون في خيراتها وباقي شعوبها يكابدون اتعابها ومشقّاتها. فلاجل ذلك نهضوا جميعهم سويةً، تلك الشعوب الفرنساوية، ودخلوا الى سراية الملك فخاف منهم خوفاً

---

(١) الغزّ = مفردها غزّي مثل رومي، وهم جنس من الاتراك المحاربين أقام في مصر وبلاد الشام.

(٢) المعروف ان حملة بونابرت على عكا عام ١٧٩٩ قد جرت في وقت كان الجزّار والياً على عكا، وكان الامير بشير الثاني الشهابي أميراً على الشوف، (أو الامارة الشهابية).

(٣) يبدأ شهر المحرم عام ١٢١٣هـ بتاريخ ١٥ حزيران / يونيو عام ١٧٩٨م. وقد وصل الجيش الفرنسي إلى الاسكندرية في السابع عشر من هذا الشهر من العام المذكور، الموافق للاول من تموز / يوليو عام ١٩٧٨م.

(٤) يبدأ شهر ربيع الثاني عام ١٢١٦ هـ. بتاريخ ١١ آب / اغسطس عام ١٨٠١م.

(٥) السلطان: الملك، ويقصد ملك فرنسا لويس السادس عشر الذي قامت في عهده الثورة الفرنسية عام ١٧٨٩ ونفذ فيه حكم الاعدام على المقصلة بباريس، بتاريخ ٢١ كانون الثاني / يناير ١٧٩٣.

(٦) بصوت منفرد: بقرار منفرد (ويقصد استبداد الملك بالرأي والقرار).

(*) تسهيلاً للقارىء، رأينا ان نضيف على الكتاب عناوين لم تكن موجودة في النسخة الاصلية التي حققناها، ودلك بعد وضع هذه العناوين بين اشارتين [ ].

عظيماً مع ارباب دولته، وسألهم عن مرامهم [1] والسبب الداعي الى قيامهم، فاعلموه انه، من الان وصاعداً، لا يبرز الملك امراً او يبتّ رأياً من تلقا[ء] ذاته، بل يكون بتّ الاحكام والترتيب والنظام بموجب ديوان عظيم ومحفل جسيم [2]، ويكون الملك له الصوت الأوّل، ثم من بعده مشايخ الشعب الذين عليهم المعوّل، فبذلك يهون الصعب ويرتفع الظلم عن الشعب.

فلمّا فهم الملك لويس [السادس عشر] قيام هذا الشعب المذكور وما ابدوه من تلك الامور اجابهم: وايضاً انا اودّ عمار هذه المملكة وخيرها، واطيع لما تروه مناسباً لرفع ضرّها وضيْرها. فقالوا له: ان كنت كما زعمت، اختم لنا الشروط التي تلائم اصلاح هذه المملكة وقيام المشيخة. فقبل ذلك خوفاً من الشعب، وختم لهم الشروط التي قدموها.

ثم بعد أيّام جهّز الملك نفسه للهرب، وخرج ليلاً من مدينة باريز وصحبته اخوه وبعض اصحابه، قاصداً الامبراطور مَلِك النمسا لانه كان نسيبه، شقيق زوجته. وعند ما بلغ مشايخ الشعب خروج هذا الملك جدّوا في طلبه، فوجدوه في إحدى اللوسطاريات [3] التي في الطريق، فقبضوا عليه ورجعوا به الى المدينة، ووضعوه في السجن مع امرأته وولده، وامّا اخوه فانه نجى منهم وسار الى بلاد النمسا. وبدأ جميع الشعب يصيح صارخاً: فليُقتل الملك بموجب الشريعة، لانه نكث في عهده مع شعبه، وقد هرب لكى يلتجى الى ملك النمسا الذي هو اخو زوجته التي قد تسبّب لنا هذا الخراب بسببها. ثم ان بعد ما سجنوا الملك اربعة اشهر احضروه امام الشعب في يوم الاثنين في الحادي والعشرين من كانون الثاني، وقد ابرزوا عليه الحكم بالموت، فطلب الملك لويس ان يخاطب عيلته والمتوكّلون [4] عليه احضروا له امراته وبنته وشقيقته واستمراوا معه في المكان الذى كان ياكل فيه نحو ساعتين ونصف. وخاطب ابنته مريم انطونينا [5] قائلاً لها: تعلمي من مصايب والدك ولا تجزي من موتى [6]. وطلبت عيلته منه ان ينظروه عند الصباح فلم يُجبهم

---

(١) مرامهم: مبتغاهم

(٢) ويقصد بذلك ان يساعد الملك في الحكم وزارة وبرلمان، فيصبح الحكم شورى ولا يظل استبدادياً.

(٣) لوسطاريات: خانات (Hostelleries)، وهي فنادق قديمة كانت تقام على طول الطريق لإيواء المسافرين وخيولهم، وقد اكتشف امر هرب الملك عند نزوله، وزوجته، في خان عند بلدة «فارين Varenne» بالقرب من «فردان Verdun»، كشفه فلاح هناك.

(٤) هكذا وردت في الاصل، والصواب: المتوكلين. والمتوكلون عليه: حراسه والقائمون على خدمته.

(٥) هكذا وردت في الاصل، والصواب: ماري تبرير، لأن زوجته الملكة «ماري انطوانيت» اعدمت بدورها على المقصلة، بباريس، بتاريخ ١٦ تشرين الاول / اكتوبر ١٧٩٣.

(٦) اي لا تنتقمي لموتي.

الى ذلك. وفي الصباح اعلموا [١] المتوكّلون عليه ان الجمهور قد حكم عليه بالموت، فطلب الملك لويس دقيقة لكي يتكلّم مع معلّم إعترافه فاذنوا له بذلك، ثم اعرض [٢] مغلّفاً على احد المتوكّلين وتوسّل اليه ان يرسله الى مجمع الجمهور [٣]، فاجابه: انني لا استطيع هذا الامر لكوني متفوّض [٤] ان ارافقك الى منقع الدم ثم [٥] اعطى ذاك المغلّف الى شخص آخَر واوعده [٦] انه يوصله إلى الجمعية [الوطنية] وكان بذلك المغلّف وصيته.

وهذه هي وصيته

باسم التالوث الاقدس الاب والابن والروح القُدس. انا لويس السادس عشر، باسم ملك فرانسا، في اليوم الذي هو الخامس والعشرون من كانون الاوّل في سنة ١٧٩٣، اذ كان لى اربعة اشهر مسجوناً في الحصن المسمّى طَمْبل [٧] في باريز، ففعل [٨] هؤلاء الذين كانوا خاضعين لى، [وكنت] ممنوعاً عن كلّ اشتراك حتّى مع عيلتى نفسها منذ أحد عشر من هذا الشهر، ومشتغلاً [٩] في فحص لا يمكن يُعرف نهايته بسبب الألام البشرية التي لا يوجد لها اعتذار ولا متال في شريعة من الشرايع.

واذ لم يكن شاهد آخَر لافكارى ولا من التجى اليه سوا الله تعالى وحده، فاوضح لدى حضرته الالهية إرادتي الأخيرة، وانى تارك نفسى لله سيّدى وخالقى، واتوسّل بان يقبلها برحمته ولا يحاسبها حسب استحقاقها، بل حسب استحقاق سيّدى يسوع المسيح، الذي قدّم ذاته لابيه السماوى لاجل خلاص كلّ البشر الذى انا اوّلهم، ولو كنت غير مستحق لذلك [١٠]، بل انني

---

(١) المقصود: اعلمه المتوكلون عليه.

(٢) هكذا وردت في الاصل، وتعني = عرض.

(٣) الجمهور = وردت في الكتاب بمعنى = الجمهورية أو الشعب، ومجمع الحمهورية = الجمعية العمومية.

(٤) هكذا وردت في الاصل، والصواب: مفوضاً.

(٥) منقع الدم: اي ساحة الاعدام.

(٦) هكذا وردت دائماً في الاصل، وتعني: وعده.

(٧) حصن مشهور بباريس، شيد عام ١٢١٢، وكان، في الأساس، مركزاً رئيساً لاقامة الهيكليين Les Templiers، هدم عام ١٨٤٨ وأقيم مكانه سوق تجاري.

(٨) يقصد: فعل ذلك.

(٩) يقصد: منشغلاً.

(١٠) ورد في أصل الوصية بالفرنسية ما تعريبه: «لاجلنا نحن البشر الآخرين، مهما كنّا غير مستحقين، وانا أولهم» ولكن المؤلف غيّر في العبارة فأتت على الوجه التالي: «لاجل خلاص كل البشر الذي انا اولهم ولو كنت غير مستحق لذلك» مما غيّر في جوهر المعنى. (راجع نص الوصية بالفرنسية في كتاب:

اموت بالاتّحاد مع الكنيسة الكاثوليكية الرسولية الرومانية، التي اقتبلت سلطانتها بتسلسُل متّصل من القدس بطرس[1] الرسول مستودعة له من السيّد المسيح نفسه. وانني اؤمن ايماناً ثابتاً، واعترف بكلّما هو متضمّن في قانون الايمان، وفي وصايا الله وكنيسته، وفي الاسرار كما تعلمه الكنيسة الجامعة وانني قد علمت دايماً باني لم ادّع [[2]] اصلاً في انني اقيم ذاتي قاضياً في انواع تفسير الاعتقادات المختلفة التي تمزق كنيسة السيّد المسيح، بل انني قد تصرّفت وساتصرّف دايماً، إن منحنى الله الحيوة، مسلّماً للتحذيرات التي تُعطى لي من رؤساء الكنايس المتّحدين مع الكنيسة الجامعة المقدّسة الرسولية، والمتّفقين معها من اتيان سيّدنا يسوع المسيح. واني اندب، من كلّ قلبي، اوليك الذين يوجدون في الضلال، انما لا ادينهم بل احبّهم سويةً بسيدي يسوع المسيح كما ترشدني المحبة المسيحية. واتوسّل لله تعالى ان يغفر لي كل خطاياي، لانني قد اجتهدت بالفحص المدقّق عنها لكي اعرفها وامقتها. واتضرّع امام عزّته تعالى بان، اذ[ا] لم يمكنّي احصل على كاهن كاتوليكي، فاسأل الله ان يقبل اعترافي وندامتي الخالصة، لكوني وضعت اسمي (وكان ضدّ إرادتي) في بعض قضايا مضادًّا الاعتقاد بالكنيسة الكاتوليكية وتهزيبها[3]، وانما قد استمريت دايماً متّحداً معها بخلاصة قلبي. واتوسّل لله تعالى ان يقبل قصدي الثابت ان استخدم كاهناً كاتوليكياً، حال ما يمكنّي، ان منحني الحيوة لكي اعترف بكلّ خطاياي واقبل من يده سرّ التوبة. وانني اتضرّع لكل اولئك الذين قد امكن ان اكون اغضبتهم، بعد الانتباه[4]، اذ[ا] لم يبكّتني ضميري انني سببت لاحد ادنى اهانة. والذين قد امكن ان اكون قد اعطيتهم مثلاً رديـاً او شكوكاً، فاتوسّل اليهم ان يسامحوني بالشرّ الذي يظنّون انني سبّبته لهم. وانني ايضاً اتوسّل لكلّ اوليك المحبّين ان يصنعوا تضرّعاتهم مع تضرّعاتي لكي انال من الله مغفرة اثـامي، وانني اغفر من كلّ قلبي لاوليك الذين قد اعلنوا ذواتهم اعداء لي من دون ان يسبق لهم منّي ادنى سبب يوجب ذلك، واسأل الله ان يسامحهم ويغفر لهم ولاوليك الذين قد صنعوا معي شرّاً عظيماً، امّا

= (Desgranges Ainé, Hisroire de L'expédition des français en Egypte PP. 6 - 11) وهو ترجمة لكتاب «نقولا النرك» الذي نحن بصدد تحقيقه. واهمية هذه الترجمة ان صاحبها «ديغرانج اينيه» هو سكرتير الملك لويس فيليب ومترجمه الخاص، وقد صدرت هذه النرجمة، باذن من الملك نفسه، عن المطبعة الملكية بباريس عام ١٨٣٩). ويشير (اينيه) إلى ان هناك اخطاء عديدة في النص العربي للوصية، والذي اثبته النرك في الكتاب الذي بين ايدينا.

(Ainé, Ibid, PP. 277 - 278. Note 2).

(١) يقصد: التي تلقت سلطانها بتسلسل متصل من القديس بطرس.
(٢) وردت في الاصل (قد) زائدة آثرنا حذفها.
(٣) يقصد: قضايا مضادة لاعتقاد الكنيسة الكاثوليكية وتهذيبها.
(٤) اي بنسيان الخطأ.

من قبل غيرة كاذبة ام من قبل جهل.

وانني استودع لله امرأتي وبنّي وشقيقتي وإخوتي وعماتي، وكلّ اوليك المرتبطين معي بارتباط الدم او بنوع آخَر. واتوسّل لله ان ينعطف برحمته نحوهم، وان يقوّيهم بنعمته، على افتراض فقدهم ايّاى كلّ الزمان الذى يستمرونه في هذا وادى الدموع[1].

وانني استودع بنّي لامراتي ولا ارتاب اصلاً بحنوها الشفوق[2] نحوهم. واوصيّها بالخصوص ان تهذّبهم تهذيب المسيحيين الكاملين، وان تصيّرهم بان يعتبروا عظمة هذا العالم كخيرات خطرة، قابلة الفقد والانقلاب. وان يرفعوا الحاظهم نحو المجد الثابت الحقيقي. وانني اتضرّع الى شقيقتي ان تستمرّ ملاحظة بنيّ بحنوها المعتاد، وان تقوم مقام والدتهم ان حصلوا على فقدها من قبل التعس. وانني اسأل امراتي بان تسامحني بكلّ الشرور التى احتملتها بسببي، وبكلّ غيظ قد يمكن ان اكون سبّبته لها في مدّة اقتراننا. وليكن محققاً عندها انني لست بواجد عليها شيئاً من الاشياء.

وانني اوصّي بنيّ بكل حرارة انهم، من بعد ان يتقوا الله، اذ كان تعالى واجب ان يتقدّم اكرامُه على كلّ شيء، ويكونوا متّفقين دايماً مع بعضها بعض، وخاضعين لوالدتها وحافظين نحوها كلّ معروف، وان يعتبروا شقيقتي كوالدة ثانية. وانني اوصّي ابني، على افتراض انه اذا ما حصل على التعس، اى اضحى سلطاناً، ان يفتكر بانه يلتزم ان يوجّه كلّ اهتمامه نحو سعادة اهل بلاده، وانه يلتزم ان ينسى كلّ بغض وضرر خاصّة لاوليك الذين سبّبوا اليّ ما انا محتمله الان، وانه لا يستطيع ان يصيّر الشعوب سعداء ان لم يحكم حسب الشرايع.

وانني اوصّي ولدى ان يهتمّ بكلّ اوليك الاشخاص الذين كانوا متعلّقين بى. وان يفتكر بانى قد حصلت على التزام مقدّس نحو اولاد واقرباء اوليك الذين ماتوا لاجلى، والذين قد حصلوا على التاعسة بسببي. وانى عالم انه كان يوجد اشخاص كثيرون من [الذين][3] كانوا متعلّقين بى ولم يسلكوا معى بحسب التزامهم، بل اظهروا عدم المعروف معى، فانا اسامحهم من كلّ قلبى، واسأل ولدى انه اذا تقدّمت له الفرصة لا يفتكر سوا بسعادتهم والخير لهم.

وانني اودّ ان اظهر معروفى نحو اوليك الذين قد حفظوا تعلّقاً حقيقاً نحوى من دون نفعهم الخاصّ. كما انني قد شعرت بالم من قلبى رداوة بعض اشخاص لم يظهر منى نحوهم ونحو

(١) في وادي الدموع هذا.

(٢) للشفقة.

(٣) وردت في الاصل (اللذين) فاقتضى التصحيح.

اولادهم واصدقائهم الاّ كلّ جودة وخير. وهكذا قد شعرت بتعزية بنظرى ما قد ظهر من تعلّق حقيقى من كتيرين نحوى. ثم اسألهم ان يقبلوا شكرى لافضالهم، اذ كنت في هذه الحال لا استطيع ان ابدو في[1] المعروف نحوهم، انما اوصّى ولدى ان يستقصي [[2]] الفرصة الملايمة الى مكافاتهم. واننى اظنّ انى قلّلت اعتبارى للطايفة الفرنساوية ان كنت لا اوصّى صريحاً ولدى باوليك[3] الذين انعطافهم الخاصّ نحوى قد جذبهم لينحبسوا معى ويطوّحوا ذواتهم بخطر الموت لاجلى.

واوصّى ولدى بكلرى[4] الذى ليس لى سبيل عادل ان لا امدح اهتمامه وخدمته نحوى منذ وجد معى، ولم يزل مستمرًّا الان والى النهاية. واسأل اسياد الجمهور ان يسلّموه كتبى وساعتى وكيس خرجيتى والاشياء المختصّة بى التى هي مودوعة عند مجمع الجمهور.

واننى اسامح اوليك الذين كانوا يحرسونى، واصفح عن مقتلاتهم الردية والمضايقات التى ضايقونى بها. وقد وجد بعض انفس شفوقة فليتمتع هولاء بالراحة التى تحصل لهم[5]، وان يقبلوا شكرى لافضالهم ورغبتى بالمعروف نحو كلّ سعيهم ومهمّاتهم التى فعلوها لاجلى.

واننى انهى وصيتى موضحاً امام الله، اذا كنت قريباً امتثل بازآء حضرته الالهية، ان ضميرى لا يبكتنى على ذنب من الذنوب المنسوبة لى.

وقد حرّرت هذه الوصية نسختين في حصن الطَمْبل في خامس عشر كانون الاوّل سنة ١٧٩٣.

المحرّر اسمه لويس السادس عشر
من ملوك فرنسا

الشاهد به بياد
احد اصحاب الوظايف.

---

(١) هكذا وردت في الاصل، وتعني: ابداً.

(٢) وردت في الاصل (إلى) زائدة آثرنا حذفها.

(٣) ورد في أصل الوصية بالفرنسية ما تعريبه: «ان كنت لا اوصي صراحة ولدي بشاميي وهيو Chamilly et Hue اللذين....».
(Voir: Ainé, Histoire, P. 11). الا ان المؤلف أورد النص كما يلي: «ان كنت لا اوصّي صريحاً ولدي بأوليك الذين...». وشاميي وهيو هما من حاشية الملك.

(٤) كليري Cléry هو ايضاً من حاشية الملك.

(٥) ورد في اصل الوصية بالفرنسية ما تعريبه: «ارجو السادة مالرب وتروتشيه ودي سيز M. Malesherbes, Tronchet et de Sèze ان يقبلوا شكري...» (Voirp Ainé, histoire, P. 11) وهو ما لم يذكره المؤلف.

وفي الساعتين ونصف بعد نصف الليل صعد القايد العامّ نحو الملك لويس وعرّفه انه يزمع ان يذهب الى الموت، فاجابه الملك. انني مستعدّ لذلك. واذ خرج من مكانه وصعد الى الكرسي حيث كان معلّم اعترافه، وقد اصطفّت العساكر في التبيعة حيث كان مكان الموت، وقد كان صمت كلّي. وامّا الملك لويس، بعد ما قرأ صلوة المنازعين، تعرّا من ثيابه بشجاعة فريدة وقلب غير مرتجف، وصرخ بصوت عال: ايّها الفرنساويّون انني اموت بريًّا واغفر لكلّ اعدائي وارغب ان موتي يكون مفيداً للشعب. ثم امر القايد العامّ الى الجلاّد ان يتمّم وظيفته. وفي الحال قطع راسه، وكان حزناً عظيماً عند الذين كانوا من حزب الملك. وامّا الشعب فكان عنده سرور عظيم، وصنعوا في مثل ذلك اليوم عيداً في كل سنة تذكاراً لقتل الملك وانتصار الشعب، وكان ذلك في مبادى شهر ايلول في سنة ١٧٩٣ وجعلوه بدو [١] سنتهم. ولقّبوه تاريخاً للمشيخة [٢] وغيروا الاشهر النصرانية ورتّبوها اشهر[اً] جديدة وسمّوها اسامى مختلفة [٣] وابقوها ثلثين يوماً على خلاف عدتها الاولى وفي ذلك الوقت رفضوا الديانة واقفلوا الكنايس والاديرة الرهبانية، وقتلوا الرهبان والراهبات وعدّة من الاساقفة، ورموا الايقونات وكسروا الصلبان. وكان خر[ا]ب عظيم في تلك المملكة، واهوال متلفة مهلكة. وحدث عدّة مواقع بينهم وبين حزب السلطان [٤]. ولا

---

(١) بدء.

(٢) اي الجمهورية.

(٣) استخدمت الثورة الفرنسية، منذ انتصارها عام ١٧٩٣ «الرورنامة الجمهورية» وقد قسمت السنة، حسب هذه الروزنامة، الى ١٢ شهرا بالتساوي، عدد ايام كل منها ٣٠ يوما، يضاف اليها ٥ ايام مكمّلة. وكانت الشهور مقسمة الى عشرات الايام وليس الى اسابيع. وكان بدء السنة الجمهورية في ٢٢ ايلول ١٧٩٣، وهذه الشهور هي:

١ - فنديميير (Vendémiaire) او شهر القطاف (للعنب)، وبدؤه في ٢٢ ايلول.
٢ - بريمبر (Brumaire) او شهر الضباب، وبدؤه في ٢٢ تشرين الاول
٣ - فريمير (Frimaire) او شهر الصقيع، وبدؤه في ٢١ تشرين الثاني.
٤ - نيفوزيه (Nivôse) او شهر الثلوج، وبدؤه في ٢١ كانون الاول.
٥ - بليفيوز (Pluviose) او شهر الامطار، وبدؤه في ٢٠ كانون الثاني.
٦ - فانتوز (Vantôse) او شهر الرياح، وبدؤه في ١٩ شباط.
٧ - جرمينال (Germinal) او شهر البذار، وبدؤه في ٢١ آذار.
٨ - فلوريال (Floréal) او شهر الزهور، وبدؤه في ٢٠ نيسان.
٩ - بريريال (Prairial) او شهر المروج، وبدؤه في ٢٠ أيار.
١٠ - ميسيدور (Messidor) او شهر الحصاد، وبدؤه في ١٩ حزيران.
١١ - ترميدور (Thermidor) او شهر الحرارة، وبدؤه في ١٩ تموز.
١٢ - فريكتيدور (Fructidor) او شهر الثمار، وبدؤه في ١٨ آب.

وقد الغيت هذه الروزنامة في فرنسا عام ١٨٠٦.

(٤) اي الملك.

زالت تزداد وتنمو الاحقاد، وتتجنّد الاجناد، وتهلك العباد، حتّى ضعف حزب السلطان، وقويت شوكة المشيخة قوّةً عظيمة. وبعد ان اعتدل ميزانها، ووطيدت اركانها، وأهلكوا اخصامها، فانفذوا كتابات لساير الملوك يعرّفونهم عن تأييد مشيختهم وهذا ما تضمنته كتاباتهم:
ان كلّ من يقرّ بمشيختنا فهو حبيب لنا ومن لم يقرّ بمشيختنا فهو عدوّ لنا ويستعدّ الى محاربتنا لاننا قد استعدينا ان نحارب المسكونة باسرها. ثم كتبوا مثل ذلك الى الدولة العثمانية، وقد كانت هذه الدولة المذكورة من قيامها متّحدة مع الدولة الفرنساوية دايماً، فقبلت كتابتهم وقرّت بمشيختهم. وامّا الملوك الافرنجية، حين وصلتهم كتابة الفرنساوية، نهضوا جميعاً باتّفاق على قدم وساق، وعزموا على حرب ذلك الشعب الخارج عن الاسلوب، لئلا تتشبّه به بقية الشعوب.
فاوّل من اشهر عليهم بالحروب ملك النمسا الانبراطور، لانهم قد قتلوا شقيقته وزوجها ملكهم. ثم نهضت ضدّهم دولة الانكليز، ثم سلطان اسبانيا، ثم سلطان ايطاليا، ثم البابا سلطان مدينة رومية العظيمة وباقي سلاطين بلاد اوروبا. ولكون ان شعب هذه المملكة هو اوفر عدداً من ساير الشعوب، فاعتصبوا جميعهم عصبة واحدة، واستعدّوا لحرب جميع مضادّيهم، وخرجوا من مدينة باريز الى قتال اعدائهم الواردين عليهم من كلّ ناحية، وابتدوا يحاصروا مدينة بعد مدينة ومملكة بعد مملكة، وهم في عساكر كالبحار الزاخرة بالات الحرب الوافرة والقوّات القادرة، الى ان اشتهر بأسهم واقتدارهم، وانتشر تملكّهم وانتصارهم، وتملكّوا حصوناً وقلع وبلدان وضيع، واستولوا على ممالك بلاد ايطاليا وكانت حكم احد عشر سلطاناً، وامتلكوا عدّة قلع من بلاد النمسا. وكان ذلك الانتصار والتملّك عن يد ذلك الليث الظاهر والاسد الكاسر، الفرد الفريد والبطل الصنديد، امير الجيوش بونابارته. وكان هذا من بعض كبار المشيخة الفرنساوية. وكان قصير القامة رقيق الجسم اصفر اللون، باعه اليمين اطول من اليسار، مملواً من الحكمة مشمولاً بالسعد والنعمة، يبلغ من العمر ثمانية وعشرين سنة، وهو اطلياني الاصل من جزيرة كورسيكا. وتربيته في مدينة باريز كرسّي دولة الفرنساوية. وعند ما اقتربت تلك الجيوش الفرنساوية الى كرسيّ[1] مملكة الانبراطور اى ملك النمسا، عقد امير الجيوش بونابارته صلحاً مع الملك الانبراطور على شروط مكتومة غير ظاهرة، ونهض من هناك سايراً الى مملكة البندقية ودخل دخولاً عجيباً، لان مدينة البندقية هى بكر الابكار لكون انها، من حين ما بنيت وقامت مشيختها، قطّ ما دخلها دال ولا سطا عليها عدوّ. واستولى على جميع مدنها وجزايرها، وتملّك على كنوزها وذخايرها. ثم انّه سلّم مدينة البندقية الى ملك النمسا، وابقى جزيرة كورفو[2] له،

---

١) عاصمة المملكة وهي فيينا (Vienne).
٢) جزيرة كورفو Corfou: في البحر الايوني Mer Ionienne على الساحل اليوناني وعلى مدخل بحر الادرياتيك Mer Adriatique الموصل الى البندقية.

ووضع بهاستة الاف صلدات[1]، ومن هناك سار بالجيوش الى مدينة رومية العُظما. وبعد حروب شديدة وايّام عديدة مع عساكر البابا، تملّك رومية وهزم البابا، واستولى على كنوزه وذخايره، وسلب اموال اهل الجزيرة، وخرب نظام تلك المدينة الجليلة، واهان طغمة الاكلريكين والرهبان، وازدرى بالذخاير والصلبان، وكان اضطهاد عظيم على المسيحيين. وكثير من اهل رومية تبعوا رأى الفرنساوية. ومكث مدّة في رومية واتى الى مدينة باريز. وكان مدة حروبهم في البلاد الافرنجية ستّة سنوات، وطاعتهم غالب البلاد المذكورة. وقد كانت الفرنساوية جهّزت عمارة[2] عظيمة في طولون[3]، وكان عدّتها اربعماية وخمسين مركباً، وعدّة عساكرها ستّين الفاً ورؤساء العساكر ستّة وعشرون رجلاً معروفين بالشجاعة والقوة والبراعة، وعدّة الصلد الحربية ستّة وثلثون الفاً، وباقى العساكر فيسالية[4] واصحاب صنايع ونوتية[5]. وحين تمت العمارة ركب بها وصار طالباً جزيرة مالطه، وعندما وصل اليها حاصرها مدّة قليلة، وافتتحها في شهر ايار[6] المطابق الى شهر ذى العقدة سنة ١٢١٢ هجرية، بعد قيام تلك المشيخة بخمسة سنين. وقيل ان ذلك كان بولس الكوليرية[7] الفرنساوين الذين كانوا موجودين بها.

وبعد تولّيهم على مدينة مالطة، رفعوا منها الحكّام الكوليرية الذين كانوا من قبل ساير الملوك الافرنجية، واطلقوا المأسورين بها من الاسلام وارسلوهم الى بلدانهم بالسلام، واوعدوهم بان ما عاد يسير استيئسار على الاسلام من المالطية على الدوام، ثم امرهم ان يبشّروا بذلك في جميع بلدان المسلمين ويشكروا بذلك فضل الفرنساوية. وبعد ذلك وضع في مدينة مالطة ستّة الاف مقاتل من الفرنساويين، واخذ عوضها من المالطيين، وصار في تلك النية قاصداً مدينة الاسكندرية.

[ذكر مسير بونابرت إلى مصر]

هذا ما كان من امير الجيوش بونابارته. وامّا الانكليز لـمّـا بلغهم خروج هذه العمارة العظيمة، وظنّوا انهم قاصدون بلدانهم، فحصّنوا ثغورهم ومكاناتهم. ولما حقّقوا انهم قصدوا

---

(١) صولدات: من Soldats بالفرنسية، وتعني: الجنود.

(٢) عمارة = اسطول بحري او مجموعة سفن حربية.

(٣) طولون Toulon : مدينة فرنسية على ساحل البحر الابيض المتوسط، وقد كانت، ولا تزال، قاعدة بحرية مهمة.

(٤) فيسالية: من Vassal بالفرنسية، وهو «التابع» (لقب اطلق في عهود الاقطاع على الاشخاص المرتبطين بالسيد او الاقطاعي)، وهم، هنا: خدم المركب. او من Officiers اي: ضباط. وهكذا فهمها: ديغرانج اينيه في الترجمة التي وضعها لهذا الكتاب، (Voir: Aîné, Histoire, P. 16) الا اننا نرجح الرأي الاول.

(٥) من نوتي = اي بحّار.

(٦) ينتهي شهر ذي القعدة عام ١٢١٢هـ. بتاريخ ١٦ أيار عام ١٧٩٨م.

(٧) ولس: دسيسة أو خديعة، والكوليرية: من Chevaliers بالفرنسية، أي الفرسان.

الديار المصرية، جهّزوا اربعة عشر مركباً بكلك[1] كبار وصاروا الى محاربتهم، لانه كان بين الانكليز والفرنساوية عداوة عظيمة وحقود قديمة، وقد تسلّموا بعض بلدان في الهند كانت للفرنساويين. وبهذا السبب كان مسير الفرنساويين الى الديار المصرية، مؤملين انه، بعد تملكّهم الامصار المصرية، يستسيرون في بحر السويس[2] الى بلاد الهند، لان المسافة قريبة. وحين دخلت مراكب الانكليز ثغر الاسكندرية، ارسلوا قارباً يطلبون حاكم المدينة، فتوجّه الى مقابلتهم كمركجي الاسكندرية السيّد محمد كريم الذى كان متروّساً[3] من قبل الامير مراد بيك[4] وبعد وصوله للمراكب سالهم عن سبب قدومهم فاخبروه انهم طالبون عمارة الفرنساوية لكي يصدّوها عن الدخول الى ثغر الاسكندرية. فارتاب السيّد محمد كريم وقال في نفسه: ما هذا الاّ خداع عظيم، واجابهم: ان الفرنساوية غير ممكن انهم يحضروا لبلادنا، ولا لهم في ارضنا شغل، ولا بيننا وبينهم عداوة، ولا جلبنا عليهم رداوة[5]. وهذا كلام غير ممكن ان نصدّقه، وان حضروا كما تزعمون فنصدّهم عن الدخول وليس لهم الينا وصول. وامّا انتم فليس لكم الاقامة بهذه الديار وانما اذا جئتم تاخذون شيئاً من الماء والماكل فلكم الاختيار. فاجابوه الانكليز: انتم لستم في هذا الحين كفواً لصدّ الفرنساويين، ولكن سوف تندمون على عدم قبولكم ايّانا وعلى ما يحلّ بكم تتحسّرون. وفي الحال اقلعوا من مقابل الاسكندرية وكان ذلك في ثلثة عشر من شهر محرّم افتتاح سنة ١٢١٣[6]. فرجع السيّد محمد كريم وهو حاير من ذلك البلاء العظيم. وفي الحال اعرض ذلك الامر الى مراد بيك الى مصر. وفي ثالث الايّام من بعد قيام مراكب الانكليز من ثغر الاسكندرية عند العصر، نفد[7] مركب عظيم في البحر، ولمّا قرب الى البوغاظ[8] ارسل قارباً الى اسكلة[9] الاسكندرية يطلب قنصل الفرنساوية. ولما بلغ اهل المدينة

---

(١) بيلك، او بكلك: مركب حربي حكومي او سلطاني. وهي، في الاصل: ارض تعود ملكيتها للامير الحاكم.

(٢) خليج السويس.

(٣) اي مترئسا، وكان محمد كريم حاكما لمدينة الاسكندرية من قبل مراد بك.

(٤) مراد بك: من ممالبك محمد بك ابو الذهب واحد القادة الذين رافقوه في حملته الى عكا لمحاربة الشيخ ضاهر العمر (عام ١٧٧٥)، ولما مات محمد بك ابو الذهب في عكا فجأة (وفي العام نفسه) عاد الجيش المصري الى بلاده، وشارك مراد بك في حكم مصر وفي الدفاع عنها ضد الفرنسيين الى جانب ابراهيم بك الكبير (اكبر امراء محمد بك ابو الذهب والذي ولاه هذا الاخير حكم مصر في اثناء غيابه، واستمر في حكمها، بعد وفاته، بالاشتراك مع مراد بك). وقد توفي مراد بك عام ١٢١٥هـ. (١٨٠٠م).

(٥) اي شيئا ردئا.

(٦) الموافق لـ ٢٧ حزيران / ١٧٩٨.

(٧) بمعنى: ظهر.

(٨) البوغاز: الترعة او المضيق او القناة، والمقصود: ترعة السويس او قناة السويس.

(٩) ميناء.

خافوا خوفاً عظيماً وعقدوا ديواناً، واتّفق رأيهم على عدم توجّه القنصل. وكان يومئذٍ مركب الريالة[1] في البوغاظ وقبطانه في المدينة، فامرهم ان يطلقوا القنصل وقال لهم: وان حصل سؤال عن ذلك فعليّ الجواب. وسار في القارب الى المركب. ثم ما اغربت الشمس الاّ واقبلت العمارة العظيمة التى ليس لها عدد، فسقط على اهل الاسكندرية خوفٌ عظيم وهمّ جسيم حين نظروا وجه البحر تغطّى من المركب، وحرر السيد محمد كريم يعلّم مراد بيك عن قدوم تلك العمارة في هذه الالفاظ: سيّدى ان العمارة التى حضرت مراكب عديدة ما لها اوّل يعرف ولا آخر يوصف. لله ورسوله داركونا بالرجال. وفي تلك الليلة ارسل ثلثة عشر ساعياً بلا خلاف، وقد ايقنوا بالموت والتلاف.

واما الفرنساوية بقوا تلك الليلة ينقلون العساكر من المراكب الى البرّ بالقوارب الى مكان يقال له العجمى[2] بعيداً من مدينة الاسكندرية مسافة ساعتين. وعند الصبح نظرت اهالى البلد الى العساكر في البرّ ليس لهم عدد ولا لهم على حربهم جلد. فتأهّبت الاسلام الى الحصار ومحاربة تلك الكفّار، واطلقوا المناداة: اليوم يوم المغازاة[3]. ولكن اذا كانت المدينة مأمنة[4] من تلك الحوادث وغير مستعدّة لمثل هذه النواكس[5]، فما وجد في قلع[6] هذه المدينة الا قليل من البارود واكثره كالتراب من طولة الآيام، وعند طلوع الشمس هجمت عليهم تلك العساكر كالبحار الزواخر والاسود الكواسر. فما مضى نحو ساعتين من النهار حتّى تملكّت الافرنج الاسوار، ودخلت المدينة قوّةً واقتداراً. وكان ذلك في ١٥ محرّم سنة ١٢١٣ الموافق لشهر حزايران سنة ١٧٩٨. وطلبت الامان الرعيّة من العساكر الفرنساوية، فاعطاهم امير الجيوش الامان وعدم المعارضة والعدوان. وكان قد قُتل في ذلك النهار من المسلمينماية قتيل ومن الفرنساوية شيء قليل. وانجرح جرحاً كبيراً الجنرال كلبير[7].

(١) الرياله: اسم لمركب عثماني يحمل قائده رتبة امير البحر (Contre - amiral).

(٢) العجمي: مكان على الشاطىء المصري، يبعد ستة اميال بحرية عن الاسكندرية غربا، مقابل جزيرة صغيرة حيث يوجد برج يعرفه الاوروبيون باسم «برج العرب». وفي هدا المكان ابرّ الجيش الفرنسي في شهر حزيران عام ١٧٩٨.

(٣) اي الجهاد ضد الغزاة.

(٤) هكذا وردت في الاصل، والمقصود: آمنة او مؤمّنة، اي انها تعتبر نفسها في مأمن من تلك الحوادث.

(٥) النكسات.

(٦) قلاع.

(٧) الجنرال كليبر Jean Baptiste Kléber (١٧٥٣-١٨٠٠)، تطوع في الجيش الفرنسي الثوري عام ١٧٩٢ حيث رقي الى رتبة جنرال في هذا الجيش عام ١٧٩٣. ساهم في الحملة على الفانديين Vendéens (المتمردين الملكيين غرب فرنسا)، وفي نصر فلوريس Fleurus عام ١٧٩٤، وفي الحملة على المانيا عام ١٧٩٦، وفي حملة بونابرت على مصر عام ١٧٩٨، ثم على بلاد الشام عام ١٧٩٩، وقد كلفه بونابرت بقيادة الجيش الفرنسي في مصر بعد ان غادرها هو الى فرنسا، الا ان كليبر لم يلبث ان قتل على يد طالب شامي يدعى «سليمان الحلبي» طعنه بخنجر طعنة قاتلة، في حديقة «قصر الالفي» في الازبكية بالقاهرة، وذلك في ١٤ حزيران ١٨٠٠.

ثم حضرت قدّام امير الجيوش اعيان البلد ، فتوسّلوا اليه فترحّب بهم وامّنهم ، واختار منهم سبعة انفار من الاعيان الكبار وهم: الاستاذ الفاضل والحاذق العاقل الشيخ محمد المسيرى العالم العلاّمة والمشهور بالفضل والمكرمة ، ثم السيّد محمد كريم عين الاعيان ورئيس الديوان ، ومعهم خمسة انفار من اهالى الاسكندرية الاخيار ، وقلّدهم زمام الاحكام وما يحتاج اليه البلد من النظام ، وان كلّ يوم يعملوا ديوان مشهور ـ ويحكموا بما بينهم من الامور ، وقال لهم انه على مقتضى الحرية يجب ان تتقلد الاحكام عقلاء الرعيّة ، لان الخلق عند الله كلّ بالسوية ، وليس يتفضّل [1] احد على الآخر الا بالعقل والنيّة. وبعد ذلك امر باحضار المطابع التي احضرها معه من مدينة رومية ، وكانت تطبع في اللغة الفرنساوية ولغة اللاتينية واليونانية والسريانية والعربية ، وكتب فرمانات وطبعها في العربية ، ووزّعها على الديار المصرية. وهذه صورتها حرفاً فحرفاً:

بسم الله الرحمن الرحيم لا اله الاّ الله لا ولد له
ولا شريك بملكه

من طرف الجمهور [2] الفرنساوي المبنى على اساس الحرّية ، والسر عسكر الكبير بونابارته امير الجيوش الفرنساوية ، نعرّف اهالى مصر جميعهم ان من زمان مديد السناجق [3] الذين يتسلّطون في البلاد المصرية يعاملون بالذلّ والاحتقار في حقّ الملّة الفرنساوية ، ويظلمون تجّارها بانواع البلص والتعدّى ، فحضرت الآن ساعة عقوبتهم ، وحسرت [4] من مدّة عصور طويلة هذه الزمرة المماليك المجلوبين من جبال الاباذا ، والكرجستان [5] يُفسدوا في الاقاليم الاحسان ما يوجد في كرّة الارض

---

(١) هكذا وردت في الاصل ، والصواب = يفضّل.

(٢) وردت هنا بمعنى: الجمهورية ، وهكذا ترجمها «ديغرانج اينيه» (Voir, Ainé, Histoire, P. 21).

(٣) مفردها: سنجق ، وهو اللواء او الدائرة تحت لواء واحد. فارسية. والسناجق ، في اصطلاح المصريين: من ارباب الوظائف السياسية (محيط المحيط). وكان في مصر ، في هذه الفترة ، اربعة وعشرون سنجقا ، يحكم كل منها حاكم (بك) يدعى (السنجق).

(٤) حسرت: جلت وانكشفت. هكذا فهمها «ديغرانج اينيه P. 21». اما «الجبرتي» في كتابه «عجائب الآثار في التراجم والاخبار ، ج ٢: ١٨٢» فقد اوردها: «واخّرنا ، من مدة عصور طويلة الخ..». والفرق بين المعنيين كبير ، فبينما يرى «اينيه» ان هذه الزمرة من المماليك «جلت ، من مدة عصور طويلة... من جبال الابارا الخ...» ، يرى الجبرني ان ما ورد في المنشور ، وهو بالعربية ، هو: «وأخرنا ، من مدة عصور طوبلة ، هذه الزمرة من المماليك المجلوبين من بلاد الابازا الخ...». ونحن نرجح ما ورد عند الجبرتي. (أي أخرنا عقوبتهم).

(٥) جبال الابازا: جبال القفقاس. وجبال الكرجسنان: ترجمها «اينيه»: «جورجيا Georgie» ,(P. 21) اما «الجبرتي» فورد في النص عنده «بلاد الابازة والجراكسة» (ج ٢: ١٨٢). ونحن نرجح ما ورد عند الجبرتي ، مع العلم ان جورجيا هي الجزء الجنوبي من القفقاس ، وبلاد الجراكسة هي الجزء الشمالي منها ، وتقع بلاد الكرج (كرجستان) الى الشرق من جبال القفقاس.

كلّهـا [١] . فـامـا ربّ العـالمين القـادر على كـلّ شيء قـد حتم في انقضـاء دولتهـم. يـا ايّهـا المصريون، قد يقولوا لكم انني ما نزلت في هذا الطرف الا بقصد إزالة دينكم، وذلك كذب صريح فلا تصدّقوه، وقولوا للمفترّين انني ما قدمت اليكم الاّ لكيما اخلّص حقّكم من يد الظالمين. وانني، اكثر من المماليك، اعبد الله سبحانه وتعالى واحترم نبيّه محمد والقران العظيم. وقولوا لهم ايضاً ان جميع الناس متساوين عند الله، وان الشيء الذي يفرقهم عن بعضعم بعض فهو العقل والفضايل والعلوم فقط. وبين المماليك ما العمل والفضل والمعرفة التى تميزهم عن الآخرين، وتستوجب ان يتملّكوا وحدهم كلّما تحلو به حيوة الدنيا، حيثما يوجد ارض مخصبة فهي للمماليك، والجوار[ي] الجمال والحلل الحسان والمساكن الاشهى [٢]، فهذه كلّها لهم خاصةً. فـان كانت الارض المصريـة التـزام للمماليـك فليـوردوا الحجّـة التي كتبهـا لهم الله ربّ العـالمين، هـو رأوف وعادل على البشر. بعونه تعالى من اليوم وصاعداً لا يُستثنى [أحد] [٣] من اهالى مصر عن الدخول في المناصب السامية، وعن اكتساب المراتب العالية. فالعقلاء والفضلاء والعلماء بينهم سيدبّـروا الامور، وبذلك يصلح حال الامّة كلّها. سابقاً في الديار المصرية كانت المدن العظيمة والخلجات الواسعة والمتجر المتكاثر [٤]، وما زال ذلك الاّ لطمع وظلم المماليك.

ايّها القضاة والمشايخ والائيمة، ويا ايّها الشوربـاجيـة [٥] واعيـان البلـد، قـولـوا لأمّتكـم ان الفرنساوية ايضاً مسلمين خالصين. واثباتاً لذلك قد نزلوا في رومية الكبرى، وخرّبوا بها كرسى البابا الذى كان دايماً يحثّ النصارى على محاربة الاسلام. ثم قصدوا جزيرة مالطـة [وطـردوا] [٦] منها الكولرية [٧] الذين كانوا يزعمون ان الله يطلب منهم مقاتلة المسلمين. ومع ذلك الفرنساوية في كلّ وقت كانوا محبّين الخاصّ [٨] لحضرة السلطان العثمانى واعـداء اعـدائيـه، ادام الله ملكـه. وفي الخلاف [٩] المماليك امتنعوا من طاعة السلطان غير مُمْتَثِلين الى امره، فما طاعوا اصلاً الاّ لطمع

---

(١) ويقصد: ان هده الزمر من المماليك تفسد ما هو حسن (خير) في الاقاليم وفي الارض كلها.

(٢) وردت في الاصل: «والجوار الجمال والحلل الحسان والمساكن الاشهى» ووردت عند الجبرتي (ص ١٨٣: «الجواري الحسان والخيل العتاق والمساكن المفرحة». وقد وجدنا فرقا شاسعا في النص المنقول للمنشور بين كل من الجبرتي (ج ٢: ١٨٢ ـ ١٨٤) والترك، فقارن.

(٣) وردت في الاصل (أحدا).

(٤) هكذا وردت، والمقصود: الخلجان (جمع خليج) الواسعة والمتاجر (جمع متجر) المتكاثرة.

(٥) الشورباجية: كلمة تركية، وهم من قادة الجيش الانكشاري.

(٦) وردت في الاصل (وطرادوا) فحذفنا (الالف) الزائدة.

(٧) الكوليرية: اي الفرسان (Chevaliers) وهم «فرسان مالطة Chevaliers de Malte» وكانوا شديدي الحقد على المسلمين.

(٨) هكذا وردت، وتعني = خاصة وخصوصا وخصوصيين.

(٩) اي وخلاف ذلك.

نفوسهم.

طوبى ثم الطوبى الى اهل مصر الذين يتّفقون معنا بلا تاخير، وينصلح حالهم وتعلا مراتبهم. طوبى ايضاً للذين يقعدون في مساكنهم غير مبالين لاحد من الفريقين المحاربين، ان يعرفونا بالاكثر يسرعون الينا بكلّ قلب. لكن الويل ثم الويل للذين يتّحدوا مع اوليك المماليك ويساعدوهم في الحرب علينا فما يجدوا طريق الخلاص ولا يبقى لهم اثار.

المادة الأولى: جميع القرى القريبة ثلث [1] ساعات عن المواضع التي يمرّ بها العسكر الفرنساوى، ترسل للسارى عسكر بعض وكلاء لكيما يعرّفوا المشار اليه انهم اطاعوا ونصبوا السنجق الفرنساوى الذى هو ابيض وكحلي واحمر.

المادة الثانية: كلّ قرية تقوم على العسكر الفرنساوي تُحرق بالنار.

المادّة الثالثة: كلّ قرية تطيع الفرنساوي الواجب عليهم نصب السنجق الفرنساوي وايضاً نصب سنجق السلطان العثمانى محبّنا ادام الله بقاه.

المادّة الرابعة: المشايخ في كلّ بلد يختموا [2] حالاً جميع الارزاق والبيوت والاملاك متاع المماليك وعليهم الاجتهاد الزايد لكى لا يضيع ادنى شيء منها.

المادّة الخامسة: الواجب على المشايخ والقضاة والائيمة ان يلازموا وظايفهم. وعلى كلّ من اهل البلدان يبقى في مسكنه مطمأناً [3]. وكذلك تكون الصلوة قائمة في الجامع على العادة. والمصريون باجمعهم يشكروا فضل الله سبحانه وتعالى لانقراض دولة المماليك، قائلين بصوت عالٍ: ادام الله تعالى اجلال السلطان العثمانى. ادام الله تعالى اجلال العسكر الفرنساوى. لعن الله المماليك، واصلح الله حال الامّة المصرية. تحريراً في عسكر اسكندرية، في ثلثه عشر من شهر مسيدور [4] سنة ستّ من اقامة الجمهور الفرنساوى اعنى اواخر شهر محرّم سنة ١٢١٣ هجرية.

ثم انه توجّهت تلك الفرمانات الى الديار المصرية. وفي ثانى الايّام ارسل امير الجيوش بونابارته العساكر من الاسكندرية الى دمنهور وبندر رشيد. وعندما بلغ اهالى رشيد قدوم الفرنساوية خرج الى لقاهم علماء واعيان البلد، فسلّموهم البندر خوفاً من الضرر، وتسلّم بندر

---

(١) درج المؤلف على كتابة (ثلاثة) و (ثلاث) و (ثلاثين) بالشكل الوارد في النص (ثلثة، ثلث، ثلثين)، فاقتضى التنويه دون التصحيح، لانها تدرك من سياق المعنى.

(٢) يختمون = اي يضعون اختاما على هذه الاوراق كي لا تفقد او تضيع.

(٣) هكذا وردت، والصواب = مطمئناً.

(٤) ١٣ مسيدور اي الشهر العاشر من روزنامة الجمهورية الفرنسية وفي السنة السادسة من قيامها. ويقع في شهر تموز / يوليو ١٧٩٨.

رشيد الجنرال منو [١] حاكماً به وهذا الجنرال كان بطلاً من الابطال الكبار.

[ذكر الحرب بين بونابرت والمصريين واحتلال بونابرت لمصر]

وكنّا ذكرنا ان السيّد محمد كريم قد اخبر مراد بيك بذلك البلاء العظيم والخطاب الجسيم. ولمّا وصلت النجابة [٢] الى مصر واخبروا مراد بيك بقدوم الفرنساوية الى مدينة الاسكندرية، طرح الكتاب من يده وصاح على عساكره وجنده، واحمرّت عيناه واضطرمت النار في احشائه، وامر باحضار الخيل للركوب، وسار الى منزل ابراهيم بيك على ذلك الاسلوب. وشاع الخبر واضطربت البشر، وهاجت تلك الأمم على ساق وقدم، وحلّ في القوم الاسف والندم، واجتمعت الكشّاف والامراء والاشراف لقصر ابراهيم بيك بلا خلاف، وحضر باكير باشا من القلعة السلطانية الى المعنية، وحضروا جميع السناجق والاعيان مثل: ابراهيم بيك الكبير ومراد بيك الكبير ومصطفى بيك الكبير وايوب بيك الكبير وابراهيم بيك الصغير ومراد بيك الصغير وسليمان ابو دياب وعثمان بيك الشرقاوى ومحمد بيك الالفى ومحمد بيك المنوفى وعثمان بيك البرديسى وعثمان بيك الطبجى وقاسم بيك المسكوبى وقاسم بيك ابو سيف وقاسم بيك امين البحر والامير مرزوق ابن ابراهيم بيك الكبير وعثمان بيك الطويل وشروان بيك. وحضر من العلماء: الشيخ محمد الساده والشيخ عبد الله الشرقاوى والشيخ سليمان الفيومى والشيخ مصطفى الصاوى والشيخ محمد المهدى والشيخ خليل محمد الجوهرى. وامّا العلماء الصغار فلا نقدر نعدّهم لكثرتهم. فهولاء السناجق المذكورين مع العلماء المشهورين، والوزير السلطاني باكير باشا العثمانى، عقدوا الديوان وحضرت السبع اوجاقات [٣] وعدّة من الاغاوات وجلة من العوام ارباب الصوت والكلام. وبدوا يتداولون بامر الفرنساوية ودخولهم الى الاسكندرية، ويستغربون من هذا الخطب المهول والامر المجهول. فامير اللواء مراد بيك بما انه عارف ان خاطر الدولة العليّة متغيّر عليه، فالتفت الى الوزير وقال له: ان هؤلاء الفرنساوية ما دخلوا على هذه الديار الاّ باذن الدولة العثمانية، ولا بدّ الوزير عنده علم بتلك النيّة، ولكن القدرة تساعدنا عليكم وعليهم. فاجابه الوزير: لا يجب عليك

---

(١) الجنرال منو Menou: اسمه «جاك فرانسوا دي بوسيه J. F. De Boussay Baron de Menou» (١٧٥٠ - ١٨١٠)، وقد قاد الجيش الفرنسي في مصر بعد مقتل كليبر عام ١٨٠٠، الا انه اعتنق الاسلام وتزوج من مصرية. حاول وضع سياسة تعاون مع الوطنيين المصريين، الا ان هذه المحاولة لم تنجح. وقد هزم في قانوب Canope بالقرب من ابي قير على يد الانكليز بتاريخ ٢١ آذار ١٨٠١ فاضطر الى الاستسلام بعدها في الاسكندرية.

(٢) النجابة: السّعاة.

(٣) الاودجاق (Odjak): فرقة خيالية في الجيش الانكشاري العثماني، يحمل قائدها رتبة عسكرية عالية تسمّى «اودجاق» باسم الفرقة نفسها.

ها الامير ان تتكلّم بهذا الكلام العظيم، ولا يمكن ان دولة بنى عثمان تسمح بدخول الفرنساوية على
لاد الاسلامية [1]، فدعوا عنكم ذلك المقال وانهضوا نهوض الابطال واستعدّوا للحرب والقتال. ثم
فق رأيهم ان يسجنوا القنصل والتجّار الموجودين من الفرنساوية في مصر القاهرة، خوفاً من الخون
المخامرة، وسجنوهم جميعاً في قلعة الجليلة. وبعد ذلك اتّفق الجميع، الكبير منهم والوضيع،
لى القتال والصدام. وان مراد بيك يسير في العساكر المصرية لملاقاة الفرنساوية عند دمنهور،
ابراهيم بيك الكبير وباكير باشا الوزير مع بقيّة العساكر والقواد والدساكر يقيمون في المدينة.
كان قد هاج اكثر العلماء والاعيان وقالوا: لا بدّ نقتل بالسيف جميع النصارى قبل ان نخرج
الى] [2] حرب الكفّار. وقال الوزير وشيخ البلد ابراهيم بيك: غير ممكن اننا نُسلم الى هـذا الغـرم
الرأى. لان هولاء رعيّة مولانا السلطان صاحب النصر والشان. وامّا النصارى فوقع عليهم وهم
ظيم وخوف جسيم، وبـدوا الاسلام [3] يتهدّدوهم بالقتل والسلب ويقولوا لهم اليوم يومكم. قد
لّ قتلكم ونهبكم وسلبكم. وكانت مدّة مهولة مرعبه، ونار ثايرة ملهبة. ولكن بالمراحم المولى عزّ
انه. اذ انه قد عطف وحنّن عليهم قلب الوزير وشيخ البلد، وكانوا في كّل يوم يرسلوا اليهم سليم
ا، اغة الانشكارية، حالاً يطمّنوهم على ارواحهم واموالهم، ويطلق المناداة في كلّ البلد على حفظ
عايا وعدم المعارضة لهم.

فلنرجع الى ما كنّا في صدده، وهو ان مراد بيك جمع الفرسان والغزّ والعربان واهل تلك
طراف، ما ينوف عن عشرين الف مقاتل من كل فارس وراجل، وسار في العساكر كالبحور
واخر، نهار الجمعة، الى ارض الرحمانية، وهي بلاد بـالقـرب مـن رشيـد. وكـان قـد ارسـل
جبخانات والذخاير مع عسكر كريد [4] في بحر النيل، وكان صحبتهم علىّ باشا الجزام الذى
ان مطروداً من جزاير الغرب [5] ومقيماً في مدينة مصر، وناصيف باشا ابن سعد الدين باشا
عظم مطروداً من الدولة. فهولاء كانوا ملتجيين الى مراد بيك في ذلك الوقت، فارسلهم مع الذخاير
الجبخانات، وسار مراد بيك مع العساكر على شاطى النيل امامهم. وعندما وصلوا الى اراضى
رحمانية، فقابلوا الجيوش الفرنساوية قادمين كالسيل القاطر، وكانت غلايطهم [6] سايرة تجاههم

---

١) الاصح = الاسلام.
٢) وردت في الاصل (لا) فاستبدلناها بـ (الى) استكمالا للمعنى.
٣) وبدأ المسلمون...
٤) جزيرة كريت.
٥) أي من الجزائر.
٦) غلايط: جمع غير صحيح لاسم معرّب عن الفرنسية (Gallote) وتعريبه: غلياطة او غليون صغير، وهو مركب شراعي صغير.

بحراً. وعندما نظروا الغلايط الى تلك المراكب التى بها الذخيرة فتجاروا [١] اليهم، ووقع الكون [٢] بينهم، وارموا بعضهم بالمدافع والقنابر [٣]، فسقطت احدى القنابر على المركب الذى كانت به الجبخانة، فطار البارود واحترق المركب والذى بقربه من المراكب، وكانت الناس تتطاير بالجوّ كالطيور، ووصلت الى الجبخانة التى على البرّ فشعلت فيها، وانوعرت [٤] العساكر لما شاهدت تلك النار، واستفؤلوا [٥] من الانكسار، وايقنوا بالعدم والدمار. وفي ذلك الوقت دهمتهم العساكر الفرنساوية وانزلت بهم البلية، فولّت العساكر المصرية مُدْبرين، والى النجاة طالبين، ولا زالوا راجعين وفي مسيرهم مُجدّين، الى ان وصلوا الى محلّ يقال له الجسر الاسود، واقاموا هناك في غاية الذلّ والنكد. فهذا ما كان من مراد بيك. وذلك التدبير وما اصابه عسكره من الزلّ [٦] والتدمير.

وامّا ما كان من باكير باشا وابراهيم بيك الكبير فانهم، بعد مسير مراد بيك، نزلوا الى بولاق ونصبوا الخيام والوطاق، وابتدوا يبنوا المتاريس على شاطى النيل. وعندما اتتهم الاخبار بما قد حصل بعساكر مراد بيك من الدمار والانكسار من الاعداء الكفّار الفرنساوية الاشرار، فتقطّعت ظهورهم وحاروا في امورهم. ووصلت الاخبار الى مصر فكان يوماً مهولاً، وقامت اهالى البلد بالسلاح والعدد، وتهدّدوا النصارى وصاحوا: اليوم قد حلّ قتلكم يا ملاعين، وصرتم غنيمةً للمسلمين. ثم ارسل ابراهيم بيك الى مراد بيك ان يحضر الى إمبابة تجاه بولاق، ويبنوا المتاريس على شاطى البحر [٧] ويضعوا المدافع، ويبقى ابراهيم بيك وعسكره في بولاق ومراد بيك وعسكره في إمبابة تجاه بعضهما، والبحر بين الجهتين، احتساباً بان الفرنساوية اذا اتوا بحراً يتلقّاهم ابراهيم بيك: واذا اتوا براً يتلقّاهم مراد بيك. وفي نهار الجمعة سادس عشر يوم من شهر صفر [٨]،

---

(١) من حرى يجري · اي جروا اليه.

(٢) اي القتال او الحرب.

(٣) القنابر: مفردها قنبرة، وهي تسمية قديمة للقنبلة (انظر بحثا عن القنبرة والقنبلة لعبد القادر المغربي في مجلة المجمع العلمي العربي بدمشق، عدد ك ٢ وشباط ١٩٤٥، مجلد ٢٠ ص ٤٠٧ ـ ٤١٦).

(٤) دعرت.

(٥) نشاءموا.

(٦) الذل.

(٧) المقصود: شاطىء النيل، وكانت تسمية النيل قديما = بحر النيل، وتقع امبابة على الضفة الغربية لنهر النيل، بينما تقع بولاق في مواجهتها على الضفة الشرقية، وبينهما جزيرة الزمالك. وتقع كل من امبابة وبولاق ضمن مدينة القاهرة حاليا.

(٨) سنة ١٢١٣ هـ، الموافق ليوم ٣٠ تموز ١٧٩٨.

صعدت علماء مصر وعامة الناس الى القلعة السلطانية، واحضروا البيراق[١] النبـوي بضجيـج عظيم واحتفال جسيم، واتـوا بـه الى مـدينـة بـولاق وهـم يموجـون كـالبحـر الدقّـاق، وجميـع تلـك الاقاليم في الوجل العظيم، ويضجون بالدعا المستـديم الى الربّ الكـريم، وقـد صعـدوا الى المنـابـر وفتحوا المصاحف وهم في غاية المخاوف. ونهار السبت سابع عشر صفر[٢]، اقبلت الجيوش الفرنساوية برّاً وبحراً، وتقدّمت العساكر المصرية، واستعدّوا لحرب الفرنساوية، وقرعوا طبول الحرب، ووطدوا نفوسهم على الطعن والضرب. وتقدّم الى المحاربة الجبّار العنيد والمعدّ في الحرب بالف صنديد، الجنرال دُبوى[٣]، فتلاطما العسكران وتصـادمـا الجيشـان وتهـاجمـت الشجعان، وفرّ الجبان وبان القوىّ من الجبان وجادت العربان، وتقدّموا الى الضرب والطعان، وتجارت الفرسان الى حومة الميدان، وعجّت بالمناداة: اليوم يوم المغازاة. ثم انقضّت السناجق كانقضاض البواشق، بالسيوف البوارق والرماح الخوارق والخيول السـوابـق، واطلقـوا المدافـع كالصواعق. وثار العجاج وزاد الهياج. وقد هجم في ذلك الوقت البطل المغوار والاسد الهدّار ايوب بيك الدفتردار، وقحم بحصانه وسط الغبار، وصاح في الاعداء: ويلكم يـا لـئـام، سـاقكـم الغرور لفتح هذه الثغور. اليوم نملي منكم القبور، ونجعله عليكم يوماً مشهور. وفي ،مثل هذا الاوان، تبان الشجعان، وتبلغ المنازل العالية الفرسان، وتكسب الحمد والثناء، فمن مات منّا احتوى بالجنان، ومن عاش ربح من دون خسران، وكان بدنياه سعيد ومن مات راح بالله شهيد.

ولما طال الحرب واشتدّ البلاء والكرب، ودام الطعن والضرب، فعند ذلك الوقت قرعت الفرنساوية الطبول النحاسية، وهجم ذلك البطل الذى ذكره تقدّم، الجنرال دبوى المعظّم، ولا زالوا يلتقون الكلل[٤] في صدورهم، ويـدوسـون مجروحهـم ومقتـولهم، حتّى ملكـوا المتـاريس وكان ذلك على الغزّ انكيس[٥]. وبدوا يطلقون المدافع على الاسلام ويُورثوهم مواريث الاعدام. وجادت الافرنج في القتال لما ملك دبوى المتاريس. وكانت الافرنج ثلاثين الف مقاتل ما بين فارس وراجل، وكان كلّ من هولاء الصلدات[٦] في كلّ دقيقة يطلق الرصاص سبع دفعات.

---

(١) البيرق، ويذكر الجبرتي انه، في يوم الثلاثاء (وليس الجمعة كما ذكر المؤلف) «صعد السيد عمر افندي نقيب الاشراف الى القلعة فأنزل منها بيرقا كبيرا سمته العامة البيرق النبوي، فنشره بين يديه من القلعة الى بولاق» (الجبرتي، المصدر السابق، ج ٢ : ١٨٦).

(٢) سنة ١٢١٣هـ، الموافق ليوم ٣١ تموز / يوليو عام ١٧٩٨م.

(٣) الجنرال دومينيك ديبوي Dominique Dupuy (١٧٦٧_١٧٩٨) ولد في «تولوز»، وتميز ببطولاته في اثناء حملة بونابرت على ايطاليا ومصر. عين حاكما على القاهرة، حيث قتل فيها خلال احد اعمال التمرد الشعبي على الاحتلال الفرنسي.

(٤) قنابل المدافع.

(٥) كلمة لم نجد لها تفسيرا، وربما تكون بمعنى: انكس، من ا لنكسة.

(٦) الجنود.

فعند ذلك صاحت الغز : الفرار الفرار من حرب هولاء الكفّار . وولّت العربان وانهزمت الشجعان. واذ ضاق عليهم ذلك السبيل القوا ارواحهم في بحر النيل، فما سلم منهم الاّ القليل. وكان قد سقط قتيل وداسته الخيل ذلك الجبّار والاسد المغوار ايوب بيك الدفتردار، ولم يبان[1] له علائم ولا اثار، بعد ان قتل جمعاً غفير وثبت قدّام تلك الجماهير.

وامّا مراد بيك [فقد] فرّ في رجاله وابطاله [و]طالب[2] النجاة لنفسه العزيزة ودخل الى الجيزة. وقد احرق مركبه الكبير الذى كان انشاه، خوفاً ليلاّ تكسبه اعدائه[3]، ثم سار نحو الصعيد.

وكان باكير باشا وابراهيم بيك، [قد][4] انهزموا من بولاق وقلوبهم بنار الاحتراق، ودمعهم ينحدر من الاماق، وقلوبهم مغترمات بالحسرات، وهم يتأسّفون على ما فات. ثم اخدوا اعيالهم ورجالهم، وخرجوا من المدينة من باب النصر قاصدين البرّية والديار الشامية. وبقيت بقيّة اهل القاهرة تلك الليلة بمخاوف وافرة.

وعند الصباح اجتمع القاضى والاعيان وقالوا: ان الحكّام ولّت واحوالهم إضمحلّت، فالتسليم لنا اصلح وحقن دماء الاسلام اوفق واربح. وقد كنّا ذكرنا ان القنصل والتجّار الفرنساوية تحت اليَسَق[5] في قلعة الجبل، فاحضروهم وطلبوا منهم ان يسيروا معهم الى بولاق وياخذوا لهم الامان. فاشار عليهم القنصل ان يتوجّه اثنان من التجّار ومحمد كتخدا ابراهيم بيك، وساروا الى برّ امبابة، وفي وصولهم تقدّموا الى مقابلة الجنرال دبوى وترحّب بهم وسألهم عن احوال [الـ]مدينة وما هو مراد اهلها. فقالوا له: ان الحكّام ولّت والرعيّة ذلّت، وقد اتينا من قبل علماء البلد والاعيان نطلب لهم الامان. فاجابهم الجنرال دبوى: من القى سلاحه حُرم قتاله، فلهم منى الامان ومن امير الجيوش ومن كلّ من في هذا المكان. وانما يلزمكم في هذه الليلة ترسلوا المعادى[6] والقوارب لننقل بهم العساكر، لان مرادى في هذه الليلة ادخل البلد. ثم رجعوا محمد كتخدا والتجّار واعلموا العلماء بتلك الاخبار، فامرت العلماء والحكّام البلد حالاً بمسير القوارب والمعادى الى برّ إمبابة، ونزل الجنرال دبوى بماية وخمسين صلدات الى بولاق حيث

---

(١) لم يبن: لم يظهر.

(٢) وطلب.

(٣) لئلا تكسبه اعداؤه.

(٤) وردت في الاصل (حبن) واقتضى التصحيح.

(٥) الحراسة او السجن او الحجز.

(٦) المعادي: من (معدية)، وهي معابر من الخشب او سواه تنصب على ضفتي نهر او مجرى ماء لاجتيازه، ولكنها تأتي هنا بمعنى: القوارب.

كانت العلماء بذلك الاتّفاق وحين تقابلوا اعطاهم الامان، وساروا قدّامه بالمشاعيل الى ان دخلوا المدينة والمنادية تنادى امامه بالامان على الرعيّة والاعيان.

وجلس الجنرال دبوى في منزل ابراهيم بيك الصغير، وارسل بعض الصلدات تسلّمت قلعة السلطان. واتّقدت تلك الليلة النار بمنزل مراد بيك، وكان ذلك من الذين ينهبون وهم من اولاد البلد، فنهض الجنرال دبوى واطفا تلك النار. وعند الصباح، في تاسع [عشر] [1] صفر نهار الاثنين، ابتدأت تنتقل العساكر من برّ الجيزة وامبابة الى مصر، فعندما قدم امير الجيوش بونابارته، فخرجت العلماء والاعيان والنصارى والاسلام لملتقاه، وكان يترحّب بهم ويلتقيهم بالبشاشة والاكرام، ويوعدهم بالخير والنظام. ثم امر ان يفرشوا له منزل بقرب النيل، ففرشوا له منزل محمد بيك الالفى الكاين على شاطى بركة اليزبكية، ونزل كبير الاقباط المتسلّمين الاقاليم المصرية، وهو جرجس الجوهرى، وباشر بفرش المنزل. وفي يوم الثلاثة دخل [امير] [2] الجيوش ونزل بذلك المنزل، ودخلت جميع تلك العساكر التي ليس لها اوّل من آخر. وامر امير الجيوش ان جميع اهالى مصر يضعوا على رؤسهم ام صدورهم علامة المشيخة [3]، وهذا النشان هو من الحرير الابيض والكحلى والاحمر قدر زهرة الورد. وقد وضعتها جميع الناس من الرجال والنساء، واطلق المناداة ان كلّمن دخل من دون علامة يجب له القصاص. وحين دخلت العساكر الفرنساوية كانوا ينهبون من بيوت الغزّ والمماليك، فامر امير الجيوش برفع النهب. وكانت الغزّ قد دفنت اموالها تحت الارض ولم يبق سوا الفرش والامتعة، وقد نهبت اهالى المدينة من هم [4] شيء كثير. وفي ١٢ [5] ارتفع النهب واطمأنت الناس في اماكنها فهذا ما كان من دخول الفرنساوية.

---

(١) ورد في الاصل: تاسع صفر نهار الاثنين، الا اننا رجحنا ان يكون التاريخ (تاسع عشر صفر نهار الاثنين) لانه سبق ومرّ معنا انه «في نهار الجمعة سادس عشر يوم من صفر» بدأ اهل القاهرة يستعدون لقتال الفرنسيين، «ونهار السبت سابع عشر صفر» بدأت الحرب بين الفريقين، فيكون دخول بونابرت الى القاهرة، وفقا لذلك، هو «تاسع عشر صفر نهار الاثنين» وليس ٩ منه.

(٢) وردت في الاصل (الامير الجيوش) فاقتضى التصحيح.

(٣) اي علامة الجمهورية الفرنسية، ويقصد المؤلف باللون الكحلي: اللون الازرق، وهي الوان العلم الفرنسي منذ ذلك الحين الى اليوم.

(٤) منهم، ويقصد: منها، اي من الفرش والامتعة.

(٥) ورد رقم ١٢ هكذا في الاصل دون اي توضيح. ويختلف كل من المؤلف والجبرتي في تحديد دخول بونابرت الى القاهرة، فبينما يذكر الترك ان بونابرت دخلها يوم الاثنين (في ١٩ صفر) يذكر الجبرتي انه دخلها يوم الثلاثاء (الجبرتي، المصدر السابق: ج ٢: ١٩٣) وانه «في يوم الخميس ثالث عشر صفر» ارسل الفرنسيون بطلب «المشايخ والوجاقلية» (م. ن. ص ١٩٤). فيكون دخول بونابرت الى القاهرة، وفقا للجبرتي، يوم الثلاثاء في ١١صفر. وفي هذا اختلاف واضح في الايام وتواريخها بين كل من الترك والجبرتي.

واما ابراهيم بيك وباكير باشا فانهم، بعد خروجهم من مصر، ساروا الى مدينة بلبيس وهم في الذلّ والتعكيس. واما مراد بيك فسار الى اراضى الصعيد. وفارقت الغزّ الكنانة وبليوا بالذلّ والاهانة. وقد وقعوا بالشتات والخبال، وانتهت اموالهم وسُبيت اعيالهم، وناحوا على فراق مصر وتفرّقهم في كلّ قطر. وارموا من رؤوسهم القواوين [1] الصفرآء، ولم يبق القووق الاصفر في مملكة مصر اثار. وذاقوا من الغربة امرّ كاس وبقوا كعامّة الناس.

وكان امير الجيوش بونابارته، بعد دخوله الى ارض مصر، احضر تجّار ديوان البهار المعروف بديوان البنّ الوارد من الاقطار، وطلب منهم الف وستّماية كيس. وطلب من الاقباط المباشرين الدواوين [2] الف وستّماية كيس. ومن تجّار النصارى ثمان ماية كيس. وتسلّم تلك الاربعة الاف كيس في ستّة ايّام، واوعدهم بوفائها عندما يروق الحال ويتّسع المجال. وبعد ذلك ابتدأ في النظامات [3] في مدينة مصر كما ياتي ذكره، فاحضر اولاً خمسة انفار من العلماء الكبار وهم: الشيخ عبد الله الشرقاوى والشيخ خليل البكرى والشيخ مصطفى الضاوى والشيخ محمد المهدى والشيخ سليمان الفيومى، واحضر معهم اثنين من الاوجاقات وواحد من التجّار وهم: على كتخدا باشى ويوسف شاوش باشى والسيّد احمد المحروقى، وافرز الى هولاء محلاً معيّناً، وعيّن لهم علايف [4] شهرية، واقامهم رؤساء في ديوان خصوصى، وكانوا في كلّ يوم يجتمعون. واقام معهم رجلاً فرنساوياً مترجماً من اللغة الفرنساوية الى اللغة العربية. ثم ان امير الجيوش بونابارته رتّب ديواناً ثانياً سبعة انفار من التجّار، ومعهم رجلاً فرنساوياً مترجماً، وذلك ليكون ديوان البحر [5]، وافرز لهم محلاّت معلومة لاستماع دعاوى التجّار والمتسبّبين.

واحضر امير الجيوش محمد كتخدا المسلمانى، فهذا كان اصله ارمنياً واسلم، وترقّى في زمان المماليك الى ان صار كتخدا ابراهيم بيك الصغير الذى غرق في النيل يوم الحرب، فجعل هذا الرجل اغة الانكشارية. واحضر ايضاً رجلاً من الاوجاقات وجعله على الاحتساب [6]. واحضر ايضاً رجلاً يسمّى علّى اغا وجعله واليّا على البلد.

---

(١) القاووق: من ملابس الرأس: اسطواني مستدير كالذي يلبسه خوارنة الموارنة، جمعها: قواويق (وليس قواوين كما وردت عند المؤلف)، (محيط المحيط: قوق).

(٢) اي القائمين مباشرة على الدواوين، وقد ترجمها «اينيه»: الاقباط الذين يقومون بجمع الضرائب (Aîné, op. cit. P. 36).

(٣) اي في تنظيم مدينة مصر (وهي القاهرة).

(٤) رواتب.

(٥) اي الديوان الذي يهتم بالشؤون البحرية.

(٦) الحسبة، اي الادارة والمحاسبة.

ثم امر امير الجيوش بان تُفرز محلات معيّنة لاجل المطابع التى احضرها معه من رومية، وهى تطبع بجميع اللغات كما قدّمنا ذكره. وجعل لذلك محلاّت على شاطى اليزبكية.

ثم ان امير الجيوش قسم البلد خطوطاً [١] وجعل لكلّ خطّ حاكماً فرنساوياً. وكانت الوُلاة من الفرنساوية واقفين على باب المدينة ليلاً ونهاراً وخارجاً الى حدود بولاق والى حدود الجيزة. وانقطعت جنس اللصوص والخطّافين والعربان والسرّاقين. وكانت حكّام الخطوط في كلّ سبة [٢] يطلقون المنادات على الرعايا بكناسة الطرقات والشوارع ورش الماء لاجل النضافة ونظام الطرقات، ورسموا ان على كلّ باب بيت او باب وكالة [٣] يكون قنديلاً شاعلاً كلّ الليل. وكانت حكّام الخطوط تدور في الليل، فكلّ باب لم يجدوا عليه قنديلاً فكانوا يضربون عليه مسماراً، وفي الغد يقع على صاحبه القصاص، وكانت المدينة تضيء في الليل كالنهار.

ثم ان امير الجيوش احضر مصطفى اغا كتخدا باكير باشا وآمنه [٤] والبسه فرواً، وجعله امير الحاجّ [٥]. وامره ان يباشر لوازم الحاجّ وما يحتاج اليه. وقال: لماذا الوزير فرّ هارباً مع المماليك، ألم يعلم اننا متحّدين مع الدولة العثمانية، ونحن ما حضرنا الى هذه الامصار آلا بالاذن من السلطان سليم والاختيار [٦]. ثم امر الى مصطفى اغا ان يحرّر الى باكير باشا ان يرجع الى القلعه كما كان وله الكرامة والامان. ورجع مصطفى اغا من امامه وهو منشرح الصدر مستغرباً هذا الامر.

ثم ان امير الجيوش شغّل الضربخانة [٧] في القلعة كما كانت، وامر ان يضع [٨] اسم السلطان سليم حسب العادة. وامر ايضاً امير الجيوش ان يفرزوا محلاّت للمرضى والمجروحين المعروف بالاسبستار [٩] وافرزوا لذلك قصر المعنى [١٠] الذى على شاطى النيل بين القاهرة ومصر القديمة.

---

(١) اي مناطق او احياء، والبلد: القاهرة.

(٢) سبت.

(٣) وكاله (وليس وكالّه)، وهو بناء او مجمّع من عدة طوابق، يكون عادة مربع الشكل او مستطيل، وفي داخله فناء واسع ومكشوف تحيط به محلات تجارية لمختلف الاصناف، وتكون الطوابق العليا منه مساكن لعائلات التجار. وللوكالة باب واحد يقفل ليلاً. وقد اندثرت هذه الوكالات في القاهرة وكان منها مثلاً: وكالة البلح، ووكالة الغوري (نسبة إلى السلطان الغوري).

(٤) أمنّه، اي جعله آمناً.

(٥) الحج.

(٦) اي باختيار منه.

(٧) اي مكان ضرب العملة.

(٨) نوضع.

(٩) ويعني: المستشفى (Hospital).

(١٠) قصر العيني

فجعلوا اماكن لاجل صنع الادوية. واقام هناك رئساً للاطبّاء ورئساً للجرايحية[١].

وبعد ذلك امر امير الجيوش بونابارته بتفريق الجنراليات على الاقاليم المصرية. فاقام الجنرال ديزه[٢] على اقليم بلاد الصعيد، وكان هذا الجنرال برج مشيد وبطل عنيد. ثم اقام الجنرال مورا[٣]، وكان من الابطال الشِداد، وقلّده احكام اقليم القلوبية، وكان شابًّا بالسنّ بديعاً بالحسن. ثم اقام الجنرال لانوس[٤]، الرجل الوديع المانوس، وكان خبيراً بالحروب ومقداماً على الشدايد والخطوب، وقلّده اقليم المنوفية من الجهة الغربية. ثم احضر الجنرال دُكا[٥]، الحسن السورة[٦] صاحب الوقايع المشهورة، وقلّده احكام المنصورة، وهى بلد مشهورة، واقليمها واسع وبرّها شاسع. ثم احضر الجنرال ويال[٧] وكان حميد الخصال وبطل من الابطال، وارسله الى مدينة دمياط وصحبته ثلثماية نفر صلدات، وسار بسرعة ونشاط الى ان دخل البلد، فالتقوه العلماء والاعيان واعطاهم الامان، ثم نظم اقليم دمياط احسان[٨] ممّا كان. امّا ذاك البطل العنيد والليث الصنديد، صاحب العزّ والنصر المشيد، الذى كان بين تلك الجيوش فريد، الجنرال دبوى، فان امير الجيوش اقامه شيخ البلد مكاناً[٩] ابراهيم بيك، لان ذاك الانتصار وفتح تلك الامصار كان عن يد هذا الجبّار.

ثم ان امير الجيوش احضر احد الكوميسارية الكبار المسمّى بوسلنج[١٠]، وقلّده مُعاطاة الاقلام

---

(١) رئيسا للاطباء ورئيسا للجراحين.

(٢) الجنرال ديزيه Desaix واسمه Louis Desaix de Veygoux (١٧٦٨ـ ١٨٠٠)، كان قائد المقدمة في حملة مصر، وقد لقب من قبل المصريين بالسلطان العادل، أسر من قبل الانكليز اثناء عودته من مصر، ثم اطلق سراحه والتحق ببونابرت في ايطاليا حيث قتل في معركة مارنغو.

(٣) الجنرال مورا Murat (١٧٦٧ـ ١٨١٥) كان قائدا مهمّا في خيالة بونابرت، (١٨٠٠) واصبح مارشال فرنسا في اوائل العهد الامبراطوري، حيث نصّب دوقا اكبر على برغ Berg ثم ملكا على نابولي (١٨٠٨) باسم يواكيم الاول. وفي عام ١٨١٤ اتفق مع الحلفاء ضد نابوليون للحفاظ على ملكه، الا انه عاد فانضم اليه قبل واترلو، وكان من نتيجة ذلك انه طرد من ملكه بعد هذه المعركة، وقد حاول استرداد ملكه فأسر واعدم في بيتزو Pitzo عام ١٨١٥.

(٤) الجنرال لانس Jean Lannes (١٧٦٩ـ ١٨٠٩) دوق مونتبيلو Duc de Montebello، ومارشال فرنسا. تطوع كجندي في الجيش عام ١٧٩٢ حيث اصبح جنرالا بعد اربع سنوات (عام ١٧٩٦). وقد تميز ببطولاته في حملتي ايطاليا ومصر.

(٥) الجنرال ديغا Dugua.

(٦) الصورة.

(٧) الجنرال فيال Vial.

(٨) أحسن.

(٩) مكان.

(١٠) بوسلنج Poussielgues (أو بوسيلغ).

الميرية وضبط مداخيل الاقاليم المصرية، واقامه في بيت الشيخ البكرى الكاين في بركة اليزبكية، وكان المصريون يدعونه الوزير اي وزير المشيخة الفرنساوية. وارتقى هذا الى رتبة عليه، وكان عالماً بعلم الحسابات كاملاً بجميع الصفات. ولفظة كوميسارية هم الذين لا يتعلّقون بامور الحرب بل في مُعاطاة الكتابة والحسابات والصنايع وما ماثل ذلك. ثم ان بونابارته اقام خزندار الى المشيخة احد الكوميسارية المدعو استيفو [١]، وهو كان عالماً بعلم الحسابات وجميع الامور تصل اليه.

ثم امر امير الجيوش ان العلماء الفرنساويين والفلاسفة يسكنون في البيوت التى الى قاسم بيك وحسن بيك وما حولهم من بيوت الكشّاف التى هى في باب الناصرية النافذة الى مصر العتيقة. ثم ان امير الجيوش بونابارته امر ان يفرزوا محلاّت معيّنة خارجاً من المدينة بحفظ الكرنتينا، كذلك في مدينة الاسكندرية، ثم في مدينة رشيد، ثم لمدينة مصر تكون الكرنتينا في بولاق، ثم لمدينة دمياط فتمون الكرنتينا في مدينة القرية. وشرعوا في بناية المحلاّت المعلومة وذلك لمنع رايحة الطاعون المسمومة كما جرت العادة في بلادهم.

ثم ان امير الجيوش، من بعد ما رتّب الترتيب المقدّم ذكره، اخذ جانب [٢] من العساكر وسار بهم قاصد [٣] مدينة بلبيس لمحاربة الوزير باكير باشا وابراهيم بيك وخرج في شهر سفر [٤]. وحين قارب مدينة بلبّيس بلغه ان الباشا وابراهيم بيك هربوا الى الصالحية فتبع اثرهم، وهناك التقت بهم خيالة الافرنج وهجمت عليهم في تلك المرج. وابتدأ الحرب واشتدّ البلاء والكرب. واذا كانت الفرنساوية على الخيل لا يستطيعون مقاومة الغزّ المصريين، فرجعوا عنهم مكسورين، فمات منهم جملةمقتولين. ولما وصل الخبر الى امير الجيوش فسار في الحال، وحين بلغ الغزّ قدومه فولّوا منهزمين، ولم يزالوا سايرين الى ان وصلوا لمدينة غزّة، ورجعت العساكر الفرنساوية الى مصر وهم مايدين بالسعد والنصر. وبعد ذلك ابتدأ ابراهيم بيك يحرّر الى الاقاليم المصرية ويحثّهم على القيام على الفرنساوية، ويستخرج لهم البيورلديات [٥] من الجزّار وباكير باشا.

وكان جميع الغزّ يهيجون العربان والفلاّحين على العصاوة والقيام ضدّ الفرنساوية، فاحضر امير الجيوش بونابارته امراء الديوان وهم المقدّم ذكرهم، وشرح لهم السبب الداعى الى حضورهم لتلك

---

(١) استيفو Estève (او استيف).

(٢) جانبا: اي قسما.

(٣) قاصدا.

(٤) صفر.

(٥) البُيُورُلْدي: منشور الوزير، تركية، ومعناها: أمر (بالمجهول) او صدر الامر، والعامة تقول: بُيُوردي او بيلوردي (محيط المحيط).

الديار - وان ذلك باتّفاق مع الدولة العثمانية . وان الدولة الفرنساوية مساعدة الى الدولة العثمانية على قهر الدولة المسكوبية[١] وصدّها عن مطلوبها المبين ، واسترجاع ما تولّوا عليه بالتغلّب من بلاد المسلمين . وكتب لهم صورة كتابات ان يطبعوها بالعربية ويرسلوها الى الاقاليم المصرية . ففعلوا ما امرهم به من المأمورية . وهذه صورة كتابات من العلماء مصر والاعيان الى الاقاليم والى البلدان :

نخبّركم يا اهل المداين والامصار ، وسكّان الرياف[٢] والعربان ، كباراً وصغاراً ، ان ابراهيم بيك ومراد بيك وبقيّة دولة المماليك ، ارسلوا عدّة مكاتبات ومخاطبات الى ساير الاقاليم المصرية ، لاجل تحريك الفتن بين المخلوقات . ويدّعوا انها من حضرة مولانا السلطان ومن بعض وزرائه . وذلك كله كذب وبهتان . وسبب ذلك انه حصل لهم شدّة الغمّ والكرب والهمّ ، واغتاظوا غيظاً شديداً من علماء مصر ورعاياهم ، حيث ما وافقوهم على الخروج معهم وترك اعاليهم واواطانهم ، وارادوا ان يُوقعوا الفتن والشرّ بين الرعيّة والفرنساوية لاجل خراب البلاد وهلاك كلّ الرعيّة والعباد ، وذلك لشدّة ما حصل لهم من الكرب الزايد بذهاب دولتهم وحرمانهم من مملكة مصر المحمية . ولو كانوا في هذه الاوراق صادقين ، وانها من حضرة سلطان السلاطين ، لكان ارسلها جهاراً مع اغاوات من طرفه معيّنين . ونخبّركم ان الطايفة الفرنساوية ، بالخصوص عن بقيّة الطوايف الافرنجية ، دايماً يحّبون المسلمين وملّتهم ، ويبغضون المشركين وطبيعتهم . وهم احباب لمولانا السلطان ، قائمين بنصرته ، واصدقاء له ملازمين لمودّته ومعونته ، ويحبّون من ولاه ويبغضون من عاداه . وكذلك بين الفرنساوية والمسكوب غاية العداوة الشديدة ، لاجل عداوة المسكوب للاسلام واهل الموحّدين . واعلمهم ان المسكوب يتمنّى الاخذ لاسلامبول المحروسة ، ويعمل انواع الحيل والدسايس المعكوسة فى اخذ ساير الممالك العثمانية الاسلامية ، لكنّه لا يحصل على ذلك بسبب اتّحاد الفرنساوية وحبّهم واعانتهم الى الدولة العلية . ويريدون يستولون على اياصوفية وبقيّة المساجد الاسلامية ، ويقلّبوها كنايس للعبادة الفاسدة والديانة القبيحة الردية . والطايفه الفرنساوية يُعينون حضرة مولانا السلطان على اخذ بلادهم ان شاء الله ، ولا يبقون منهم بقية . وننصحكم يا ايّها سكّان الاقاليم المصرية انكم لا تحرّكوا الفتن ولا الشرّ بين البريّة . وايّاكم [أن] تعارضوا العساكر الفرنساوية بشيء من انواع الاذية ، فيحصل لكم الضرر والبلية . فاذاً ، لا تسمعوا كلام المفسدين ، ولا تطيعوا كلام المصرفين[٣] بالفساد فى الارض الغير مصلحين ، فتصبحون على ما فعلتم نادمين . وانما عليكم دفع الخراج المطلوب منكم لكلّ الملتزمين ، لتكونوا فى اوطانكم سالمين وعلى اعيالكم واموالكم آمنين . لان حضرة السرعسكر الكبير امير الجيوش

---

(١) الروسية .

(٢) الارياف .

(٣) المسرفين .

بونابارته اتّفق معنا انه: لا ينازع احداً على دين الاسلام، ولا يعارضنا فيما شُرع من الاحكام، ويرفع عن ساير الرعيّة الظلم، ويقتصر عن اخذ الخراج، ويُزيل ما ابدعته الظلمه من المغارم. ولا تعلّقوا امالكم بابراهيم ومراد، وارجعوا الى مالك الممالك وخالق العباد، فقد قال نبيّه ورسوله الاكرم: الفتنة نائمة لعن الله من ايقظها بين الأمم عليه افضل الصلوة والسلام.

الداعى لكم الفقير
السيد خليل البكرى نقيب
الاشراف عفى عنه

الداعى لكم الفقير
مصطفى الضاوى
عفى عنه

الداعى لكم الفقير
محمد الامير مفتى المالكى
عفى عنه

الداعى لكم الفقير
سليمان الفيومى المالكى
عفى عنه

الداعى لكم الفقير
موسى السرسى الشافعى
عفى عنه

الداعى لكم الفقير
عبد الله الشرقاوى
عفى عنه

الداعى لكم الفقير
محمد المهدى الخفناوى
الشافعى عفى عنه

الداعى لكم الفقير
احمد العريشى
عفى عنه

الداعى لكم الفقير
محمد الدواخلى الشافعى
عفى عنه

الداعى لكم السيد
مصطفى الدمنهورى
عفى الله عنه

ثم ان امير الجيوش، بعد طرد ابراهيم بيك وباكير باشا في شهر سفر [1]، ورجع الى مصر، احضر القنصل كارلو [2] وامره ان يتوجه الى مراد بيك في الصعيد، ويتكلّم معه ان يُقدم الطاعة الى امير الجيوش، ويكون عضواً من اعضاء المشيخة، ويتقلّد احكام مدينة جرجة [3] واعمال الصعيد، ويكتسب راحته وراحة البلاد والعباد، ويكون له الامان. فسار القنصل الى مراد بيك بذلك

---

(١) صفر (١٢١٣ هـ).

(٢) القنصل كارلو (او القنصل شارل Charles) هو القنصل «شارل روزيتي Charles; Rosetti» القنصل العام للنمسا وروسيا، في ذلك الحين، وقد لعب دورا سياسيا مهما في تاريخ مصر في تلك الحقبة. (Voir, Aîné, Op.cit P. 45. et P. 273 Note 6)

(٣) جرجا: مدينة فى اعلى الصعيد، جنوب سوهاج، على النيل، لا تزال موجودة، ومنها (الجرجاوي) العالم الشهير.

الخطاب، وفي وصوله ترحّب به مراد بيك غاية الترحيب، وقابله مقابلة الحبيب، لان كان هذا القنصل له مدّة مستطيلة في مصر، وكان محبوباً من ساير السناجق، ولا سيما من مراد بيك، وكان له عنده مبلغ من المال. ثم ان مراد بيك سأله مستخبراً عن احوال مصر، فاخبره القنصل بكلّما دبّره امير الجيوش، ثم قال له: ان بونابرته ارسلني اليك لاجل الاعتماد على اجراء الحبّ والوداد، وان تحقن دماء العباد، وتكتسب راحة البلاد. فقال مراد بيك إلى القنصل: ارجع وقل له يجمع عساكره ويرجع الى الاسكندرية، ويأخذ منا مصروف عسكره عشرة آلاف كيس، ويكسب دما[ء] اجناده ، ويُريحنا من كفاحه وجلاده. فرجع القنصل الى مصر، واخبر بونابرته بما سمعه من مراد بيك، فغضب امير الجيوش من ذلك، وفي الحال أمر الجنرال ديزه، المعيّن على اقليم الصعيد، بان يسير بالعساكر الى حرب مراد بيك، فاخذ الجنرال اربعة الاف مقاتل وسار بها الى الصعيد.

فنرجع ان امير الجيوش بونابرته، في ابتداء قدومه، اخرج العساكر من المراكب الى البريّة في ثغر الاسكندرية، وامر الى سرعسكر البحر انه يبقى مقيماً في البوغاظ لحماية الحصون، لانه قد احتسب ان لم يتوفّق له فتوح مصر فيحتاجوا الى العمارة. واوصاه ان لا يلقى مراسية في المينا[ء]، بل دايماً يطوف امام اسكندرية وهو مُشرّع القلوع.

ثم، بعد ان امير الجيوش فتح مصر، ارسل الى السرعسكر نجاباً [1] يامره بالقيام، وقيل ان ذلك النجاب مات في الطريق. ثم ارسال [2] له نجاباً ثانياً فلم يصله من العربان. وكان السرعسكر ارمى مراسيه في منية [3] بوقير واطمأن، وكانت مراكبه الكبار الحربية ثلثة وعشرين مركباً، ومنهم مركب عظيم وهو المدعو بنصف الدنيا [4]. وكان محموله ماية وثمانون مدفعاً وفيه الف من العساكر. وكان فيه اموال جزيلة وذخاير ثمينة اسلبوها [5] من تلك الممالك التى تملكّوها كما قدّمنا ذكرها.

وعند ما كانت تلك العمارة رابطة في البوغاظ، وغافلة عن الايقاظ، فدهمتهم مراكب الانكليز على بغتةٍ، وبدوا يطلقون عليهم القنابر والمدافع، واشتدّ عليهم الحرب يوماً وليلةً. فاحترق من تلك العمارة العظيمة اربع مراكب كبار، ومن هم [6] تلك السفينة العظيمة والقلعة

---

(١) النجّاب: الساعي.

(٢) ارسل.

(٣) ميناء.

(٤) مركب مشهور في اسطول بونابرت، اسمه بالفرنسية «La Moitie du Monde» ويذكر اينيه ان هذا المركب مسلح بماية وثمانية مدافع (وليس بماية وثمانين مدفعا كما اورد المؤلف الترك في كتابه الذي هو بين ايدينا)، ويتألف طاقمه من الف رجل. (Voir Ainé, op. cit. P. 47).

(٥) سلبوها.

(٦) ومنهم (ويقصد: ومنها).

الجسيمة المسمّاة بنـصف الدنيا. واستمرّت تتّقد في البحر اربعة ايّام. ومات من فيها من العسكر وسرعسكرها الذى بسوء تدبيره قد هلك واهلك معه نفوساً كثيرةً واحتوت الانكليز على اكثر تلك المراكب، واستأسرت من فيها من العساكر، واكثرهم هلكوا من ضرب المدافع والقنابر. ولما وصل ذلك الخبر المريع والخطب الشنيع الى امير الجيوش، فصار كالمدهوش، وصفّق بكفّه ودبّ برجليه واحمرّت مُقلتاه،وتسخّط على ذلك الجنرال لعدم اطاعته والامتثال، وقال: جزاه ما حلّ به من الوبال. وصاحت الفرنساوية: يـ لها من بلية، لقد خابت الامال وهلكت الرجال، وذهـب الحال والمال. لقد امتنع عنّا الامداد، وحرمت علينا البلاد، وشمتت بنا الاعداء والحسّاد، وطمعت بنا الاسلام وزاد علينا الخصام، وكان ذلك بدو الانكيس[1] واوّل التعكيس.

وقد ايقنت الفرنساوية بالتهلكة بعد كسب المملـكة، لحجز الامداد عنهم ونفور الاسلام منهم. لان الفرنساوية قد استعملت احتيالات كثيرة، وسلكوا مسالك غزيرة لاجل الضرورة، كاشتهارهم بالاسلامية ونكرانهم النصرانية، واظهارهم للحرّية واقرارهم بالاتّحاد مع الدولة العثمانية. وانهم باذنهم دخلوا الديار المصرية، وانهم مع الاسلام على اخلص طويّة واصلح نيّة، ويرغبون راحتهم ويحبّون ديانتهم.

وكان الفرنساوية مؤانستهم غريبة وطول اناتهم عجيبة. وكانوا احسـن سلـوكـاً مـن سايـر الجنوس. واشهروا[2] بالامن وطولة البال وطيبة النفوس، ونشروا العدل وحسن الاحكام. وقد احتووا الشرايع الحقيقية على التمام. ومـع كـلّ ذلـك قلـوب الاسلام غيـر آمنـة والاحقـاد في ضمايرهم كامنة. ويشتهون لهم المهالك والوقوع في اضيـق المسـالـك. فهـذا مـا الجاء امير الجيـوش إلى المخافة، فبدأ الاحتيال بحسن الرقّة واللطافة، لجذب القلوب وتحصيل المطلوب. وكان هذا الامير المشتهر اسد من الاسود، ونادراً في الوجود. رهط[3] من الارهاط العظام، حكيماً عليماً بمكايد الايّام.

ذكر ما صنعه امير الجيوش في جريان النيل

انه، من بعد دخول الفرنساوية الى القاهرة بمدّة قليلة، جبر[4] النيل السعيد، فاحضر امير الجيوش علماء الديوان، وسألهم عن العوايد في جريان النيل والقوانين وحرّرها عنده. ثم امر

---

(١) النكسة.

(٢) الاجناس، واشتهروا...

(٣) الرهط، لغةً: قوم الرجل وقبيلته، ومن ثلاثة الى سبعة الى عشرة او ما دون العشرة. والعامة تقول: فلان رهط: اي عمدة عظيمة (محيط المحيط)، وهي هنا بهذا المعنى.

(٤) جبّر النيل: فاض، وجبْر النيل: فيضانه.

باخراج العساكر من المدينة الى خارج البلد، وان يصطفّوا صفوفاً في مراتبها. واحضر لديه اعيان المدينة وعلماءها والحكّام والتجّار من النصارى والاسلام. وركب من منزله الكاين على البركة اليزبكية، وركبوا جميعهم معه، وخرجت اهالى مدينة القاهرة من ساير المِلَل، وكان موكباً عظيماً ومحفلاً يُذكر جيلاً فجيلاً، وفرّق مالاً غزيراً [1]. وضُربت في ذلك النهار مدافع كثيرة من ساير الاماكن ومن القلعة الكبيرة. وصنعت الفرنساوية في تلك الليلة حراقات عظيمة لم تكن صارت في المدن القديمة. وكان [الامان] شاملاً [2] لكلّ النّاس. وتخرج النساء والرجال من دون باس [3]. وصنع امير الجيوش وليمةً عظيمةً لساير الاعيان والعلماء، واهل الديوان والجنرالية والفيسالية، وحكّام الخطوط [4] المصرية. وقد اعجبت اهل القاهرة تلك الاحوال الباهرة والامور الصايرة.

ذكر ما صنعه امير الجيوش في مولد النبىّ الواقع في ١٢ ربيع اول سنة ١٢١٣ [5]

ان امير الجيوش، بعد تملّكه القاهرة، في اثنى عشر ربيع اوّل كان مولد النبيّ محمد. فصنع، في ذلك الاوان، مولداً عظيماً على بركة اليزبكية كعادة اهل القاهرة. وكانت ليلة عظيمة، لانه صفّ جميع العساكر الموجودة داخل القاهرة صفوفاً، بطبولهم والآلات الموسيقية، وامر بحراقات عظيمة، وضرب مدافع كثيرة. وكان احتفالاً عظيماً ومولداً فخيماً وحضر في الوليمة بمنزل الشيخ خليل البكرى، لان هذا المولد مختصّ بالسادات البكرية، وذلك مع كامل الجنرالات والفيسالية والعلماء والاعيان واصحاب الديوان. ثم اولى الشيخ خليل البكرى منصب النقابة عوضاً عن السيد عمر مكرّم نقيب الاشراف، لانه قد كان هرب مع الغزّ الى الشام. وقد كان الشيخ خليل البكرى محباً لجمهور الفرنساوية، فلاجل ذلك بغضته الاسلام المصرية.

ذكر العيد الذى صنعه امير الجيوش للمشيخة في ربيع ثانى سنة ١٢١٣ [6]

انه، حين دخل شهر ربيع الثاني، صنعت الفرنساوية عيداً عظماً للمشيخة في البركه

---

(١) ربما بقصد المؤلف: وفُرّق مال غزير.

(٢) وردت في الاصل (وكان امان شاملا) فاقتضى التصحيح.

(٣) خوف.

(٤) المناطق.

(٥) الموافق ليوم ٢٤ آب / اغسطس ١٧٩٨.

(٦) الموافق لشهر ايلول / سبتمبر ١٧٩٨م.

اليزبكيـة، وذلـك انهم اصطنعـوا عـامـوداً طـويلاً مـرصّعـاً وغـرسـوه في البركـة اليـزبكيـة، وصوّروا عليه صورة، لمطانهم وصـورة زوجتـه اللـذيـن قتلـوهما في مـدينـة بـاريـز. ثم جعلـوا من العامود الى البّر اخشاب مثلّثة الالوان، وصوّروا عليها صورة المؤقعات[1] التى حدثت في بّر امبابة وفتوح القاهرة، وصورة الاشخاص المحاربين من الفريقين، وصورة ايوب بيك المقتول في هذه المعركة، ومن مات من الغزّ وانهزامهم، وكلما تمّ في هذه المعركة. وكانوا يقولون ان هذه شجرة الحريّة. واما اهالى مصر كانوا يقولون ان هذه اشارة الخازوق الذى ادخلوه فينا واستيلاءهم على مملكتنا. واستمرّ هذا العامود نحو عشرة اشهر. وحينما رفعوه استبشرت اهل مصر وابتهجت بالفرح. وكانت الفرنساوية تصنع هذا العيد اينما وجدوا بفرح عظيم في كل سنة.

ذكر امير الحجّ لما خرج في الحجّ قبل دخول الفرنساوية

انه في سنة ١٢١٢ خرج الحجّ الشريف من مدينة مصر. وكان صالح بيك امير الحجّ. وبعد رجوعه من الزيارة الشريفة في الطريق، وصلت له الاخبار عن دخول الفرنساوية الى الديار المصرية وخروج الغزّ. فبكا صالح بيك على خراب اوطانه وتفرّق خلّانه، وذهاب ماله وسبى اعيالـه. وغاص في بحر الافكار وخاف من رجوعه الى تلك الديار. وصار حايراً من تلك المصايب وفرقة الحبايب. وقطع رجاه والامل ولم يعرف كيف العمل. واخذ بالمشورة مع اصحابه وخلّانه. فثبت رأيه ان يتوجّه الى القدس الشريف صحبته المحمل المنيف. ولم يزل سايراً بعزم ضعيف الى ان وصل الى القدس الشريف. فحينما شاهدوه اهالى المدينة بدوا يشتمون ويقولون: لعنكم الله يا ملاعين، ويا اظلم الظالمين، سلّمتم مدينة الاسلام الى الفرنساويـة اللئـام، وهـربتم مـن وجـه الكفّـار، وابتـديتم تخربوا هذه الديار. فلما سمع صالح بك تلك الشتايم المغمّة والالفاظ المسمّة، فاتقدت بقلبه النيران وغاص في البحران. ونزل في منزله وهو متل النشوان، ومرض جملة ايّام من قهره ثم توارى في قبره. وهكذا جرا الى ابراهيم بيك ولمن معه لما حضروا الى اراضى الشام، فكانوا يسمعون من الناس غليظ الكلام. وقد ذاقوا المشقّة والاتعاب وقضوا الاهانة والعذاب، في البرارى والقفار من الذلّ والاضرار. وكانوا اهالى الشام يعيّرونهم في الكلام، ويلومونهم وهم لا يستحقّون الملام. وما كانوا يدرون ما قاست الغزّ في الحرب والصدام من الكفرة الليئام. وكانـوا يظنّـون ان الغزّ هربت من تلك البلدان من دون حرب ولا طعان، ولم يدروا ما جرى عليهم من اوليك الشجعان. فهذا ما كان من الغزّ بارض الشام.

---

(١) الوقعات، المعارك.

واما ما كان من امير الجيوش فان[1]، بعد قيام الفرنساوية بمدّة طويلة في مصر، عدوا ان عدواتهم في سراير الاسلام مستكنّة. فلذلك لم تكن قلوبهم مطأنة[2]. وكانوا يخشون تسليم كتاباتهم للسعاة من اهل تلك البلاد. فامر امير الجيوش بابطال السعاة من مصر الى البنادر[3]، وكانوا يرسلون المكاتيب في المراكب. وكانوا يضعون فيها عدّة من الصلدات، لان المراكب كانت لاهل تلك البلاد، والنوتية منهم. ومن كون ان اهل تلك البلاد عازمين على ضرر الفرنساوية، ومهمّين[4] على تلك النية، فكانوا يضعون كثيراً من الصلدات مع الذين يسافرون الى البنادر. فالتزم امير الجيوش ان يبطّل ذلك، ورجّع السعاة من اهل البلاد كالمعتاد.

وقد كنّا ذكرنا ان امير الجيوش، حينما تسلّم مدينة الاسكندرية، قلّد السيد محمد كريم لتدبير امور البلد كعادة[5] في ايام مراد بيك. ففي ذلك الزمان وقع منه مكاتبة الى مراد بيك يحثّه على الحضور الى الاسكندرية لكي يسلّمه البلد. فلما وصلت تلك المكاتيب الى امير الجيوش ففسّرهم وفهم ما فيهم. وفى الحال ارسل الى الجنرال الحاكم في الاسكندرية بان يقبض على السيد محمد كريم ويرسله له. وحين حضر السيد محمد كريم قدّام امير الجيوش سأله عن تلك الكتابات فانكر ذلك، فاخرج له ايّاهم وحين نظر كتاباته صار مذهولاً ولم يعلم ماذا يقول. فامر امير الجيوش بارسله[6] الى شيخ البلد. وقد اتت العلماء والاعيان يترجّونه باطلاقه، فاجابهم ان قد عرض امره على الشريعة[7] وحكمت عليه بالموت. ودفعوا عنه خمسين كيس فلم يقبل ذلك، وقال لهم: «ان شريعتنا لا تقبل الرشوة، ولا يقدر احد ان ينقذه من الموت، حتّى ولا امير الجيوش. لان الشريعة اذا حكمت على احَد بالموت فلا بّد له من ذلك». ثم اعرض[8] عليهم تلك الكتابات، واحضر السيد محمد كريم وقال له: هذا خطّك [؟] قال: نعم. ثم رجّعه الى السجن الى ان انصرفت العلماء، وامر بان يمضوا بالسيد محمد كريم الى ساحة الرملة ويطلقوا عليه الرصاص. وكان [أي محمد كريم] وهو ساير ينادى: يا امّة محمد اليوم بى وغدا بكم. وحين قتل كان حزن عظيم عند المصرين، ومن ذلك الوقت تنافزت قلوبهم بالزيادة.

---

(١) فانه.

(٢) مطمئنة.

(٣) جمع بندر، وهو: المرسى والميناء والمدن البحرية، ومقر التجار من المدن. اسم فارسي معرّب (محيط المحيط).

(٤) مهمّون: عازمون.

(٥) كعادته.

(٦) بارساله.

(٧) المحكمة.

(٨) عرض.

وقد كانت الانكليز ، بعد تملّكهم عمارة الفرنساوية ، قد ربطت عليهم البواغيظ [1] ، وحاصرتهم في الديار المصرية . فارسل سرعسكرهم واعلم ملكهم بذلك الاقتدار ، فهاجت المملكة [2] واستبشرت بالانتصار ، وهيجوا معهم الدوَل الافرنجية ، واستنهضوا لمحاربة الفرنساوية . ومن حيث ان الجمهور الفرنساوي قد قهر ساير الممالك الافرنجية ، وظفر بهم وسلب اموالهم ، وتملّك منهم مُدُناً وقِلاعاً حصينةً ، وذلك ببطش مقدّمهم وناشر اعلامهم ، الفرد الظاهر والليث الظافر ، امير جيوشهم بونابرته . وقد ترك في ساير الاقاليم الافرنجية مخافة قلبية ، سيما بعد اطّلاعهم على التملّك في الديار المصرية . ولكن حين بلغهم ما فعلت بهم الانكليز ، وان قدّ ربطت عليهم البواغيظ ، فقويت قلوبهم واملوا بنيل مطلوبهم . فصمّموا النيّة على طرد العساكر الفرنساوية التى قد كان تركها في الاقاليم الافرنجية . واشهر الحرب ملك النمسا ،واستنهض معه ملك بروسا ، ونهضت ممالك ايطاليا مع رومية الكبرى .

هذا ما كان وسياتى الكلام عنه في غير مكان . وقد ذكرنا ان الفرنساوية ، حين تملّكوا مالطة ، ابقوا بها ستّة الاف من العسكر واصحبوا عوضها . وفى هذا الايّام توجّهت الانكليز الى تلك البواغيظ ، وحاصرت مدينة مالطه اشدّ حصار ، الى ان اضرّ بهم الجوع وايقنوا بالفجوع [3] ، فتسلّموا الانكليز المدينة بالامان ، وقويت شوكة الانكليز ، فاشتدّ باسهم في تملّك مالطه ، لانها بالقرب من الاسكندرية .

ذكر ما تمّ في ممالك الدولة العثمانية

انه عندما شاعت الاخبار بان الفرنساوية تملّك الديار المصرية ، هاجت جميع ممالك الاسلام لمحاربة الفرنساوية الليئام ، وصاحوا يا غيرة الدين وحماية المؤمنين . واستنهضت الدولة العليّة والسدّة الملوكية لاستخلاص الديار المصرية . وابرزت الاوامر والاحكام وساير الباشاوات والحكام تستنهضهم للمغازاة [4] عن دين الاسلام . وقد حضرت الاوامر الشريفة الى احمد باشا الجزار [5] بالمغازاة على هولاء الكفّار ويكون سردار العسكر [6] .

وكان امير الجيوش بونابرته ، حين بلغه استنهاض الاسلام الى تلك الديار ، فاستدرك الامر

---

(١) جمع بوغاز (المضايق)
(٢) اي المملكة الانلكيزية .
(٣) بالفجيعة .
(٤) بمعنى الجهاد والقتال .
(٥) والي عكا يومداك .
(٦) قائده .

بكتابات الى الجزّار، واستدعا باحد الكوميسارية [1] وارسله الى دمياط لكي يسير في مركب الى عكّا، وكتب كتاباً الى الجزّار على هذه الصورة بعد الترجمة:

انه من المعلوم عندكم اتّحاد الدولة الفرنساوية مع الدولة العثمانية بالحب والصدوقية [2] مُنْذ اعوام عديدة. ثم لاخفاكم عداوتنا مع دولة الانكليز، وسطاها [3] على بلداننا التي في اراضي الهند. فاضطرنا إلى الحضور الى هذه الاقطار المصرية، وذلك باذن الدولة العثمانية وبارادتها الكلّية، اوّلاً: لقطع شجرة المماليك العُصاة على الدولة العلية. ثانياً: لكي، بعد قطع هولاء الظالمين وتمهيد المملكة وخلاصها من يد القوم الفاجرين، فنسير الى الاقطار الهندية لتخليص بلادنا وارضنا من الدولة الانكليزية. وها نحن مباشرين في قرض [4] المماليك العصاة على السلطان. وما اتينا الاّ اننا نحامي عن المسلمين ونرفع شرايع الدين، ونسيّر محمد الحجّ الشريف الى المقام المنيف، ونبقي السكّة [5] والخطبة باسم حضرة محبّنا السلطان سليم دام بالعزّ والتنعيم. فبناً[ء] على ذلك اصدرنا لكم هذا الكتاب، لتعلموا منا حقيقة السبب الداعي لهذا الاياب، وتكونوا من قبلنا في حيّز الامان وغاية الاطماءن، وتفتحوا البنادر وتسيّروا المتاجر لعمار البلاد وراحة العباد، والسلام.

ثم توجّه ذلك الكوميسارية المدعو باظان [6] من مصر الى دمياط، ومن هناك توجّه في مركب احمد باشا الجزّار الذى كان رابطاً في الميناء، واصحب معه ترجماناً واثنين من التّجار. ولمّا وصل الى اسكلة [7] عكّا، فكتب [8] الكوميسارية باظان الى الجزّار يعلّمه عن قدومه من طرف امير الجيوش بونابرته. ونزل القبطان الى عكّا، وحينما دخل امام الجزّار فسأله عن مصر وعن احوالها، وعن سبب خلاصه من مدينة دمياط، فاجابه القبطان: ان الفرنساوية اطلقوا سبيلى،

---

(١) استدعى احد الكوميسارية = اي احد المفوضين (Commissaire).

(٢) الصداقة.

(٣) وسطوها.

(٤) المعنى: مباشرون في محاربتهم حتى ينقرضوا، اي: ينتهوا.

(٥) السكة: حديدة منقوشة يضرب عليها الدراهم، والمعنى هنا ان تبقى الدراهم مسكوكة باسم السلطان العثماني سليم.

(٦) بوفوازان Beauvoisin، وقد وردت في النسخة المطبوعة من تاريخ الامير حيدر الشهابي: «ثم ان توجه ذلك الجننار [الجنرال] الفيسالي المدعو باظان»، (الشهابي، لبنان في عهد الامراء الشهابيين، القسم الثاني، ص ٢٤٠).

(٧) ميناء.

(٨) الملاحظ ان المؤلف غالبا ما يدخل (فاء) زائدة على الفعل الماضي، وهي في هذه الحالة ليست بذات معنى، الا اننا لم نحاول تغيير صيغة اسلوب المؤلف في الكتابة.

وحضر معى كوميسارية من طرف سرعسكرهم بكتابة، وهو الان معى في المركب، ثم اعطاه كتاب الكوميسارية باظـان. فلمّا فهـم الجزّار ذلـك الخطـاب اشتـدّ بـه الغيـظ والغضـب، وقـال للقبطان: وجّه هذا الكافر ودعه يسافر. وان لم يرجع في الحال من هذه الديار احرقته بالنار. ثم سأله من الذى اتى معه، فقال له القبطان: ليس معه سوى ترجمانه واثنين من التجّار، وهم نصارى من ابناء العرب. فقـال الجزّار: اخـرج التجّـار بـارزاقهـم الى البلـد، ودع الكـافـر حـالاً يسـافـر. ورجع القبطان الى المركب واعلم الكوميسارية بما سمع من الجزّار. وفي الحال احضر له مركباً صغيراً ورجع الى دمياط من غير تأخير، وقبض الجزّار على تلك التجّار.

وكان بين الجزّار وبين الفرنساوية عداوة قديمة وبغضة جسيمة من طرد قناصلهم من بلاده، فلهذا السبب ما كان يودّ منهم اماناً. ثم ان الجزّار ابتدا يحررّ الى ساير الاقاليم المصرية، ويستنهضهم على القيام على الفرنساوية. وكانوا الغزّ الذين حضروا الى برّ الشام تهيّج الفلاّحين والعربان لذلك المرام، ويكتبوا لهم على النهوض والقيام. وقـد تظـاهـرت المصريـون في العصـاوة والاسيّة على الطايفة الفرنساوية [١]. وقامت الاربع اقاليـم المصريـة القبليـة والبحـريـة والغـربيـة والشرقية. وكان في كّل وقت يقع الخصام بينهم وبين الجنرالية من الاربع الجهات المصرية، وتُحرق البلاد وتهلك العباد، الى ان هلك عربان كثيرة العدد ومن فلاّحين البلد. واما ذلك الكوميسارية الذى رجع من عند الجزّار، فانه وصل الى دمياط، وفي الغد سـار الى مصر واخبر امير الجيوش بما تمّ له من الجزار، فاشتدّ بالغضب من ذلك السبب، وبدأ من ذلك الحين يباشر بتجهيز السفر وما يحتاج اليه من الاستحضار.

وقد كنا ذكرنا ان في المنصورة اقام من الفرنساوية ما ينيف عن مأية وثلاثين صلدات، وفي ذلك الوقت بدت [٢] اهالى البلد يتشاورون على قتلهم، واذ كانت هذه البلدة بعيدة عـن مـدينـة مصر، وبرّها مُتّسع وعربانها كثيرة. وقد كان فـي كلّ جمعة [٣]، نهار الخميس، يصير السوق، ويجتمع فيه كثير من الناس لاجل البيع والشرا[ء] ففي احد الايّام قامت اهـالى المدينـة وكبسـوا اوليـك الصلدات الفرنساوية، وانتشب الحرب بينهم. واذ تضايقت الفرنساوية وكاد يخلص ما عندهم من البارود، فخرجوا الى البرّ ونزلوا في احدى المراكب، فتكاثرت عليهم اوليك العوالم المجتمعة في يوم الخميس، وقد كان ذلك الوقت ايّام جير النيل فلم تسير معهم المراكب، والتزموا

---

(١) اي: تظاهر المصريون في عصيان الفرنسيين، والاسيّة: من الاسى والمواساة، الا انها تأتي هنا بمعنى معاكس تماما، اي بمعنى القسوة والشدة، وهي من الفاظ العامة.

(٢) بدأ اهالي البلدة.

(٣) اي اسبوع.

بالرجوع الى البرّ. وقصدوا يسيروا برًّا الى مصر فلم تمكنهم اوليك الامم، واورثوهم مواريث العدم. ولم يزالوا يكافحون وعن ارواحهم يدافعون الى ان قُتلوا عن آخـرهـم، ولم يبـق بقيّـة مـن اوليك الصلدات الفرنساوية. وحين وصلت الاخبار فاشتدّ بامير الجيوش الغيظ والغضب وامر الجنرال دوكا [١] بان يتوجّه الى المنصورة ويُحرقها ويقتل كلّ من بها. فسار الجنرال بثلثة الاف صلدات، وحينما بلغ اهالى المنصورة قدومه فهربوا منه ولم يبق الا القليل. وحين وصوله رأى البلد خراباً، وتقدّم اليه اوليك الباقون وابتدوا يعتذرون له بقولهم: ان اهالى المدينة ليس لهم ذنب بذلك الصنيع، وانما صدر ذلك من الفلاحين والعربان لكثرتهم في ذلك الميعاد من كلّ البلاد. وان اهل المدينة، حيث تحققوا ان ليس لهم اقتدار عن منع اوليك الاقذار، فرّوا هاربين خوفاً من الفرنساويين. فلمّا سمع الجنرال ذلك الكلام، قبل اعتذارهم وعفى عن خراب ديارهم. وامرهم في الرجوع والطاعة والخضوع. ثم ان الجنرال دوكا صنع ديواناً [٢] وقال لهم: انني مامور من امير الجيوش بان أُحرق هذه المدينة واقتل كلّ من وُجد بها، ولكننى قد قبلت عذركم وصفحت عن ذنبكم. ولكن من حيث ان قبل ما تقع هذه الشرور ما اعرضتم عنا [٣] انتم مُطّلِعين عليه من حقايق الامور، مع انكم تعرفون رداوة [٤] اهل البلاد وما هي عليه من العناد، فيلزمكم ان تدفعوا جريمة قصاصكم اربعة آلاف كيس فداً [٥] دماكم. فقبلت الرعيّة ذلك المقال، وفي مدّة قليلة اوردوه المال. وبعد ذلك ارسل الجنرال دوكا وعـرض [٦] على امير الجيوش ما تدبّر، فرجع له الجواب بان يامر اهل تلك الاقاليم ان يرفعوا بيراق الفرنساوية على رؤس المؤاذن [٧]. وكلّ بلد لا ترفع ذلك السنجاق حالاً تُحرق.

وقد كنّا ذكرنا انه، حين دخل امير الجيوش الى القاهرة ورتّب امورها، وقلّد الجنرالية الاحكام في الديار المصرية، وارسل الجنرال ويال [٨] الى مدينة دمياط. فهذا الجنرال كان ذا مكر واحتيال، وبطل من الابطال. فلّما استقرّ في مدينة دمياط، احضر اليه سبعة انفار من التّجار الكبار، واقامهم لتدبير البلد وتلك الديار. ثم رتّب اغا انكشارية، واقام والياً للبلد ومحتسباً للديوان، ورتّب الترتيب القديم. واحضر شيخ قرية الشعرا وهى بالقرب من مدينة دمياط، والبسه

---

(١) الجنرال ديغا Dugua وقد مرّ ذكره.

(٢) اي جمع الاهالي.

(٣) اعرضتم عنما: ابتعدتم عما.

(٤) رداءة.

(٥) فدية.

(٦) عرض.

(٧) ان يرفعوا العلم الفرنسي على رؤوس المآذن.

(٨) الجبرال فيال Vial وقد مرّ ذكره.

فروا وقلده سيفا ، واحضر لديه شيخ اقليم المنزلة المعروف بالشيخ حسن طوبال ، وقلّده سيفاً مذهّباً . وهذا الشيخ المذكور كانت اهالى تلك الاقاليم تمتثل رأيه وتقتدى به . وبعد ما تقلّد ذلك الالتزام ، اتت اليه الكتابات من احمد باشا الجزّار ومن ابراهيم بيك ، وبها يحثّوه ان لا يقبل الفرنساويين في ارضهم ، وان يستنهض اهالى الاقاليم ضدّهم ، ويكون مجاهداً في حربهم . وكانوا فى كتاباتهم له يوعدوه بسرعة وصولهم اليه بالعساكر الوافرة . ومن ذلك السبب تشاهر [١] هذا الشيخ المذكور في خبث النيّة ضدّ الفرنساوية ، وقد استنهض اهل تلك القرايا الذين حوله . وعمدوا رأيهم [٢] ان يجتمعوا في قرية الشعرا ، بالقرب من دمياط ، يكبسوا الفرنساوية ليلاً . واوصلوا العلم مع اهالى دمياط ، واتّفقوا جميعاً على ذلك الرباط . وفي شهر ربيع الثانى [٣] كبست الرجال البلد ليلاً ، وقد كان مسكن الفرنساوية فى الوكايل [٤] التى على البحر . وهجموا بضجيج عظيم وعجيج جسيم ، وهم ينادون : اليوم يوم المغازاة من هولاء الكفّار ومن يتبعهم من النصارى . اليوم ننصر الدين ونقتل هؤلاء الملاعين . فانتبهت الفرنساوية من المنام ، واستعدّوا للحرب والصدام . والتقوا في تلك الامم ، واورثوهم مورث العدم . واصطفّوا صفوف وضربوهم بالرصاص والسيوف ، ومنعوهم عن الدخول . وكانت ليلة مرعبة ونار ملهبة . فلله درّهم من الرجال ، ما اشدّهم بالحرب والقتال . لان كانت تلك الامم قدرهم اضعاف ، فكسروهم بلا خلاف واوردوهم موارد التلاف . وقبل ان يطلع النهار اخرجوهم من البلد قوّةً واقتداراً الى البرّ والقفار . ورجعوا الى قرية الشعرا خاسرين وفي امورهم حايرين .

وكان قد وصلت الاخبار عند طلوع الشمس الى اهالى [العزبة] [٥] وهى القرية صغيرة عند بوغاظ البحر المالح [٦] ، ان المسلمين كبست دمياط وقتلوا اوليك الكفّار ، ولم يبقوا منهم اثار . وقتلوا جميع نصارى البلد ولم يبقوا منهم احد . وكان في قرية [العزبة] خمسة انفار من الافرنج ، فهجموا عليهم وقتلوهم وقدم مركب فيه ثلثة انفار فقتلوهم . ثم هجموا على قلعة [العزبة] وكان بها عشرين من الفرنساويين ، فاغلقوا الابواب وارموهم بالرصاص فرجعوا عنهم خاسرين . وعند نصف النهار ، تحقّقت الاخبار بان الرجال المسلمين رجعوا منكسرين ، والفرنساوية في دمياط مقيمين . فندم اهل [العزبة] على تلك الفعال وخافوا على الحريم والعيال . وفى ساعة الحال جمعوا

---

(١) أشهر ، أعلن ، تظاهر .
(٢) اعتمدوا رأيهم .
(٣) سنة ١٢١٣هـ الموافق لشهر ايلول / سبتمبر ١٧٩٨م .
(٤) جمع وكالة ، وقد مرّ تعريفها .
(٥) وردت في الاصل (الغربة) والصحيح (العزبة) وهكذا وردت في نسخة الشهابي (قسم ٢ : ٢٤٣) .
(٦) البحر الابيض المتوسط ، ودمياط على ساحله .

اموالهم واخذوا عيالهم وانحدروا في المراكب هاربين. والى نواحي عكّا قاصدين. ووصل الخبر الى دمياط بما صار في العزبة من الاختباط[1]، فركب الجنرال ويال الى العزبة فلم يجد بها احداً، فنهبوا ما وجدوه واحرقوها بالنار، ورجع الى دمياط، وابتدات الافرنج تبنى في العزبة حصوناً للعساكر.

ثم، بعد رجوع الجنرال ويال الى دمياط، بلغه ان لم تزل اهل تلك البلاد مجتمعين، وفي قرية الشعرا مقيمين. فعزم الجنرال ويال [Vial] على المسير اليهم والقدوم عليهم، وامر بان المجاريح والمرضى من الافرنج ينزلوا الى المراكب خوفاً من مسلمين البلد ومما يتجدّد. وحين شاهدت النصارى ان الفرنساوية عازمين على تخليه البندر، فساروا الى ذلك السرعسكر وقالوا له: ما يحل لك ايّها الجنرال ان تذهب وتلقينا بايدى هؤلاء الاشرار، لاننا قد سمعنا منهم امراراً قايلين: اقتلوا النصارى قبل الفرنساوية لانّهم متّحدين معهم سويةً. فلمّا نظر الجنرال ويال ما حلّ بالنصارى من الخوف والوبال، انثنى عزمه عن القتال، وكتب الى الجنرال دوكا حاكم مدينة المنصورة يطلب منه الاسعاف، فوجّه له ماية وخمسين صلدات. وحين حضروا سار بهم الى قرية الشعرا بعد ما ترك اجناده في دمياط. وحين وصل الى الشعرا انهزمت منه تلك الجموع، فاحرق البلد، وقتل من وجد بها ورجع الى دمياط بقوّة ونشاط. وصنع شنلك[2] عظيم، ونشر البيارق علامة الانتصار، ونكس البيراق العثماني الذى كان ناشره سابقاً، حيث كان قد امر امير الجيوش ان في كلّ مكان توجد الفرنساوية فلينشروا سنجاق الدولة العثمانية. وبعد ايّام يسيرة حضر الجنرال دوكا الى دمياط، وعقد المشورة مع الجنرال ويال على اخذ الجيزة وبلد المنزلة. ثم رجع الجنرال دوكا الى المنصورة، ومن هناك سار بالعساكر الى البحر الصغير[3] قاصداً اقليم المنزلة، فخرجت له عربان ذلك البّر في محلّة يقال لها الجملة. والتقى في جماعة وفيّه وفرسان قويّة، فصادمهم هذا الشجاع والقرم[4] المنّاع، وشتّت عسكرهم وافنى اكثرهم، واحرق تلك البلدة، ثم سار الى المنزلة. فحين بلغ الشيخ حسن طوبال قدوم ذلك الاسد المغوار، فارتج رجةً عظيمة وطلب الهزيمة، وفرّ من ساعته الى الاقطار الشامية. وعندما وصل الجنرال دوكا الى بلدة المنزلة، التقته اهلها وقدّموا له الطاعة، واخبروه بانهزام الشيخ حسن طوبال، فاعطاهم الامان، واحضر اخا الشيخ حسن طوبال،

---

(١) الاضطراب.

(٢) شَنْلَك او شَنْك: فرح عظيم يتم فيه اطلاق النار ابتهاجا، (وصنع شنلكا عظيما: اي صنع فرحا عظيما). وقد وردت «شُنُكًا» في نسخة الشهابي (المصدر السابق، ص ٢٤٣).

(٣) البحر الصغير: تسمية يطلقها المصريون على بحيرة «المنزلة» الواقعة شرق دمياط.

(٤) الفحل.

واقامه شيخاً على تلك الديار، وضبط القوارب التى كانـوا يسيرون بها مـن المنـزلـة الى دميـاط في البحيرة المالحة [١]، وارسل تلك القوارب الى دمياط، وكانت كثيرة في العدد تنوف عن خمسة الاف. وقد امنت الافرنج في دمياط من نواحى اقليم المنزلة، لان قد كان حسن طوبال منتظراً قدوم عساكر الجزّار ليركب بتلك القوارب وياتى بها الى مدينة دمياط. وبعد ايّام يسيرة، رجع الجنرال دوكا الى المنصورة، من بعد ما حارب في طريقه عرباناً كثيرة، الذين كانوا يقصدون حربه ويقفون في دربه، واستمرّ اقليم المنزلة وبرّ دمياط طايعاً للفرنساوية، والعداوة في ضمايرهم مخفيّة.

وقدّمنا الشرح في تحكّم الجنرالات الفرنساوية في الاقاليم المصرية، فكان الجنرال ميراد [٢] قد قلّده امير الجيوش احكام اقليم القليوبية، وكان هذا الجنرال ذا شجاعة في القتال قوىّ البطش في الحرب والجدال. وحين سار في العساكر القويّة الى اقليم القليوبية، وكـان هـذا [الـ]اقليم اصعـب الاقاليم، لكثرة عربانه العُتاة وقومه العُصاة، وبراريه الواسعة ووديانه الشاسعة. فهذا البطل الشجاع اطاعته آل تلك البقاع والاصقاع، من بعد ما اذاقهم حروب شديدة واحرق بلدان واهلك عربان. وبحروب كثيرة افنى قبايل غزيرة. وكان شيخ هذا الاقليم يدعى الشيخ الشواربى، وكان يجمع خلقاً وافراً وبلده كان بعيد[اً] يوماً عن القاهرة. وكان من القوم الجبابرة وعربان اقليمه فاجـرة. فالتزم ان ينكس هاماً ويطيع قهراً وارغاماً. ثم ان هذا الجنرال، من بعد ما تملّك هذا الاقليم، جمع الاموال الميرية والترتيبات السلطانية، ورجع الى مدينة مصر بكلّ عزّ ونصر.

وامّا الجنرال لانوس [٣] حاكم الاقليم المنوفية والجهات الغربية، فهذا الجنرال سار الى مدينة منوف [٤] ومكث بها، وجمع الاموال منها ومن القُـرى والجبـال، وفـرّق عسـاكـره على بلدانها، واطاعته جميع سكّانها. وهذا الاقليم كان الين الاقاليم واهونها، واجملها واحسنها. ولم يحتاج هذا الجنرال النبيل الاّ لحرب قليل. لان كان اغلب اهالى الارض المصرية هابت شجاعة الفرنساوية، ورجفت [٥] قلوبهم من شدة حروبهم. لان الفرنساوية، مـن بعـد دخـولهم الى الديـار المصرية، وحريق عمارتهم على بوغاظ الاسكندرية، انقطع امالهم من الامداد، مع ما شاهدوه من الكره من اهالى البلاد، وما لهم في قلوبهم من البغض والاحقاد. فكانوا يتنفّسون الصُعداء من

---

(١) البحيرة المالحة: بحيرة المنزلة، والبحر المالح: البحر الابيض المتوسط.

(٢) الجنرال مورا Murat، وقد مرّ ذكره.

(٣) الجنرال لانس Lannes وقد مرّ ذكره.

(٤) المنوفية.

(٥) وردت في الاصل (ورجعت) فاقتضى التصحيح.

صميم الفواد ، ويهجمون ولا يهابون كثرة العدد ، ويحاربون بامور حكمية وفنون علمية وقلوب صخرية، غير هايبين الموت ولا خاشيين الفوت [1]. ومكث هذا الجنرال في اقليم المنوفية مدّة وفيّة، وجمع الاموال الميرية، ومهّد البلاد وطمّن العباد، ورجع الى مدينة مصر بعزّ ونصر. وقد ترك في مدينة منوف وكيلاً عوضاً عنه.

وقد ذكرنا ايضاً ان الجنرال ديزه [2] تقلّد من امير الجيوش بونابرته اقليم الصعيد، وقد تعيّن بالعساكر لحرب مراد بيك. وبعد ما فر مراد بيك الى الصعيد، وقد ذكرنا عن توجّه القنصل لعنده من امير الجيوش في الخطاب، وما كان من الجواب. فامر امير الجيوش الجنرال ديزه بالمسير بالعساكر اليه، وكانت اربعة الاف مقاتل. وكان مراد بيك قد تجمّع عنده الجيوش من الهوارا [3] والفلاّحين والعربان الى المنية، وكانت مسافة ثلاثة ايّام عن القاهرة. واجتمع اليه ما ينيف عن عشرين الفاً. وكان في برّ الصعيد عدّة من المماليك الهاربين، فحضروا لعنده. وحضر ايضاً: حسن بيك الجرداوى وعثمان بيك مماليك علي بيك الكبير، وهولاء كانوا مطرودين من الغزّ. وعندما تقابلوا مع مراد بيك تصافحوا، واخلصوا الوداد وتركوا الاحقاد، وغفروا السيئات وصفحوا عما فات، وقراوا الفواتح [4] على المغازاة في سبيل الله، وصاحو: يا غيرة الدين ونصرة المسلمين. الله اكبر على هولاء الكفارين. واستعدّوا غاية الاستعداد لملاقاة الاعداء والاضداد. وكانت الغزّ افرس الفرسان في ركوب الخيل والحرب والطعان. وكان الجنرال ديزه ساير اليهم فى العساكر وهو غير فاكر، الى ان وصل اليهم وكشف عليهم، فوجدهم جيوش كثيرة وطموش [5] غزيرة. فصفّ عسكره صفوف بالترتيب الموصوف، وقرع الطبول النحاسية، وتقدّم بالعساكر الفرنساوية، واطلق مدفعاً واحداً للتنبيه، ثم امر باطلاق ثانية، فنهضت الغزّ والعربان نهوض الاسود والشجعان، بالسيوف الهندية والرماح السمهرية، على ظهور الخيل العربية. وانقضّت انقضاض الغربان الى حومة الميدان، وصرخوا: اليوم يوم المغازاة وترك النفوس والمعادة. وحملت العربان والغزّ والفرسان، واندفقت على الفرنساوية اندفاق البحور العرمرمية، وتساقطت من الجبال سقوط الصواعق العلويّة، حتّى خيل للناظرين ان الجبال تزعزعت، والتلال تمزّقت. وانتشب الحرب والقتال، وابتدا ذلك الجنرال يروغ روغ المحتال، حتّى تملّك في

---

(١) الخسارة، الهزيمة.

(٢) الجنرال ديزيه Desaix وقد مرّ ذكره.

(٣) الهوارة: جماعات من العساكر المرتزقة غير المنظمة، كانت منتشرة في بلاد المشرق، واغلب الظن انها قبيلة وفدت من الغرب الى الشرق.

(٤) جمع فاتحة.

(٥) الطموش: مفردها (طمش)، والطمش: الناس.

المجال، ودهمهم بالقنابر والكل والرصاص الغير المحتمل، وبدأ يريهم فنون الحرب [الغريبة] [١] وانواع الاهوال العجيبة، التى لم تدركها العربان، ولا تعرفها الغزّ والفرسان. وصاح بهم صيحة الاسد الغضبان في تلك الجبال والوديان، حتّى لم يعودوا يقدروا على الثبوت تجاه ذلك البهموت [٢]. وزحمتهم اوليك الاسود حتّى ملكوا متاريسهم، واشهروا تنكيسهم [٣] وشتاتهم في الجبال والتلال، بشدّة الحرب والقتال، وملكوا مدافعهم واعلامهم ومضاربهم وخيامهم، وكسروا تلك الجماهير بقوّة العزيز القدير. وذهب مراد بيك مع عزوته [٤] الى اعلا الصعيد، وهو متحيّر من صلابة هولاء الصناديد، وقوّة قلبهم الشديد، وفنونهم العجيبة وشجاعتهم الغريبة. ودخل الجنرال ديزه الى مدينة المنية، واقام بها وحصن قلاعها وابراجها، وبدأ يسير ورا[ء] مراد [٥] بيك مرحلة بعد مرحلة، الى محرٍّ يقال له الاهون، وهناك حدثت بينهم وقعة عظيمة. وكان قد تجمّع مع مراد بيك جموع كثيرة وطموش غزيرة، فشتّتهم ذلك الجنرال في البرارى والقفار. ولم يزل ذلك الجنرال يقاتل في اقليم الصعيد، حتّى اطاعه الشيخ والوليد، وهابته الاسياد والعبيد. وهرب منه مراد بيك الى مدينة اصوان، ثم الى بريم. ومن هناك رجع الجنرال ديزه الى الصعيد، ودبّر الاقليم المذكور برأيه السديد، وأمر في بنيان الحصون الرفيعة في جميع تلك المدن المنيعة. ثم انه جبى الاموال الميرية والمعاليم [٦] السلطانية. ورتّب الصعيد ومهّد ذلك الاقليم غاية التمهيد. وكلّ [٧] مراد بيك من حروب الفرنساويين، من بعد حروب عديدة واهوال شديدة.

وكان حينما بلغ اهالى الحجاز دخول الفرنساوية الى الديار المصرية، فارتجّت سكّان تلك الارض وماجت، واضطربت وهاجت، فتحرّك من الاشراف السيّد محمد الجيلانى، وقد جمع سبعة الاف اماجيد، وحضر بهم الى الصعيد، واجتمع اليه العربان من اهل تلك البلدان، عشرة الاف من غير خلاف، وظهر امره واشتهر خبره. فبلغ الجنرال ديزه قدوم ذلك العسكر، فما هابه ولا تفكّر، بل انه كبس عليهم بالليل بكّل قوّة وشدّة وحيل، فما سلم منهم غير القليل، والذى سلم تشتّت في البرارى والقفار، وبليوا بالذلّ والدمار. ومات في تلك الوقعة السيّد محمد الجيلانى، اذ

(١) وردت في الاصل (الغربيّة) فاقتضى التصحيح، وقد وردت (الغريبة) في نسخة الشهابي (ص ٢٤٦).

(٢) البَهَموت: من اسماء الشيطان، ورجل بَهَموت: اي واسع الحيلة والدهاء والخبرة (محيط المحيط).

(٣) واعلنوا هزيمتهم.

(٤) عزوته: جماعته وانصاره.

(٥) يسير وراءه = بمعنى يطارده.

(٦) المعاليم: مفردها معلوم، وهي، عند المولّدين، ما يعطيه الكاهن من اجرة معينة (محيط المحيط)، وتأتي هنا بمعنى الاموال التي تجبى للسلطة الحاكمة.

(٧) كلّ = تعب.

كان هو على نفسه جانى، لانه كان يزعم انه يحذف الرمال والغبار في وجوه الكفّار، ويُعمى منهم الابصار، ويقبض عليهم باليد، فخاب منه الكدّ والجدّ. ثم بعد مدّة تجمّع الذين سلموا ورجعوا يُفسدون في البلاد ويستنهضون بالعباد، فارسل عليهم الجنرال ديزه شرذمة من العسكر، فهزموهم في البرّ الاقفر. وبعد ذلك راق الصعيد من محاربين الفرنساوية، واطمأن حال الرعيّة. واحبّوا الجنرال ديزه محبّة عظيمة، لاجل سلوكه واحكامه المستقيمة. وكان يحبّ العماير (١) الملاح، كريم بالعطاء والسماح. وكان رهطاً (٢) من الارهاط العظام، ونظم اقليم الصعيد احسن نظام.

وقد كان عنده من الاقباط المباشرين: يعقوب الصعيدى وهو رجل شديد البطش، مشهوراً بالفروسية والهمّة القوية، وهو الذى عند سليمان بيك. وكان الذين خدموا من النصارى اوّلهم الرجل السافرلى المدعو باترو، وهذا الذى كان يدعونه اهل مصر فريد الزمان، لما عنده من العلوم والفصاحة والقوّة والشجاعة. وكان يعرف في جميع اللغات، وفاق بالحسن عن حدّ الصفات. وكان قد خدم عند الفرنساوية، وانقاد اليه جماعة من الغزّ المماليك واحتموا به. ثم الرجل الرومى المدعو نقولا قبودان، فهذا المذكور كان خادماً عند مراد بيك، ومتروّساً على عدّة عساكر ومراكب في بلدة الجيزة، وكان شاباً موصوفاً بالشجاعة. وهذا المذكور كان متسلّم المتاريس في عسكر الاروام حين دخلت الفرنساوية الى برّ امبابة وامتلكوا القاهرة. ولـمّا امتلكت الافرنج المتاريس القى نفسه في بحر النيل وطلع الى مصر، ثم خدم المشيخة (٣) وامّا الذين خدموا الفرنساوية من الاسلام فهم كثيرون في العدد كالمقدّمين والقواصة والمترجمّين.

ذكر ما حدث بمصر
[معركة القاهرة]

انه، من بعد ان مكثت الفرنساوية في المملكة المصرية مقدار ثلاثة اشهر، فكان المسلمون يظنّون ان تورد لهم الاوامر من الدولة العثمانية بتقريرهم على المملكة، حسبما كانوا يشيعون انهم حضروا الى مصر بارادة السلطان سليم، وكانوا يوعدونهم في وزير الى القلعة السلطانية من طرف الدولة العثمانية. وقد كان يخبّر امير الجيوش بقدوم عبدالله باشا العظم من الشام الى مصر، واعدّ له منزلاً لينزل به، وامر بتدبيره وفرشه. واذ مضت المدّة المعيّنة ولم يحضر احد، فتسبّب من قبل ذلك

---

(١) هكذا وردت في نسخة الشهابي (ص ٢٤٧)، وترجمها اينيه Aîné إلى الفرنسية (عمارات جميلة beaux monuments). وربما تكون (عمايل ملاح، اي: اعمال حسنة)، ونحن نرجح ذلك، استكمالا لمعنى العبارة، حيث يمكن القول: «وكان يحب العمايل الملاح، كريما بالعطاء والسماح».

(٢) رهطا: بالمعنى العامي للكلمة، اي عمدة عظيمة، وقد مرّ شرحها.

(٣) أي الجمهورية (الفرنسية).

اسباب كثيرة للنفور وابداع الفتن والشرور ، من قتل السيّد محمد كريم لانه كان احد الاشراف ، ومن ورود المكاتيب من الامراء المصريين بالاستنهاض الى اهل تلك الاقاليم ، وكتابات احمد باشا الجزّار الى البلدان المصرية . واستنهاضهم على الفرنساوية ، وان قادم عليهم العساكر العثمانية . ثم قيام اهالى بّر دمياط والحوادث التى بدّتها العرب والفلاحين[١] ، وعفو الفرنساوية عنهم وعدم القصاص لهم وقد كان الفرنساوية يُخرجون النساء والبنات المسلمات مكشوفات الوجوه في الطرقات . ثم اشتهار شرب الخمر وبيعه الى العسكر . ثم هدم جوامع ومنارات في بركة اليزبكية لاجل توسيع الطرقات لمشى العربانات . وكان المسلمون يتنفّسون الصُعداء من صميم القلوب ويستعظمون هذه الخطوب ، وصاحوا : لقد آن اوان القيام على هولاء الليام ، فهذا وقت الانتصار الى الاسلام . فشعر امير الجيوش بما في ضمايرهم وما اكتموه في سرايرهم ، فابرز امراً لساير حكّام الخطوط[٢] بان كلاً منهم يامر بخلع الابواب المركّبة في الشوارع . وفي يوم واحد خُلعت تلك الابواب العظام ، وبعضها أُحرقت بالنيران . فركب امير الجيوش واخذ معه المهندسين ، ومنهم الجنرال كفرال الملقّب ابو خشبة[٣] ، لان كانت رجله الواحدة مقطوعة من ساقه ومصطنع له رجل من خشب ، فهذا الجنرال كان اعظم المهندسين في مملكة الفرنساوية . وبدأ امير الجيوش يجول بهذا الجنرال على ساير الاماكين التى حول دايرة مصر ، وغرس على راس كل مكان بيرقاً اشارةً لبناية القلع[٤] . [فاذ][٥] شاهدت الاسلام هذا الاهتمام تحركت للقيام ، وبدوا ينادون متبادرين[٦] إلى الجامع الاكبر المعروف بجامع الأزهر . وهناك عقدوا المشهورة[٧] وابرزوا ما بالضماير المُضمرة ، وارسلوا احد الفقهاء في شوارع مصر ينبّه المسلمين بالمبادرة الى الجامع الازهر حيث اجتمع العسكر . وبدأ ذلك الشيخ المذكور يدور وينادى بالجمهور : كل من كان موحّداً ياتى لجامع الازهر ، لان اليوم المغازاة بالكفّار ، ونزيل عنا هذا العار ، وناخذ منهم الثار . فبادر المسلمون ، واقفلت الحوانيت والوكايل لما سمعت صوت القايل .

ووصلت الاخبار الى دبوي[٨] الجنرال بان قامت اهالى البلد من الشيخ الى الولد . وكان ذلك

---

(١) الحوادث التي بدأها العرب والفلاحون .

(٢) حكام المناطق .

(٣) الجنرال كافاريليّ Maximilian Cafarelli du Falga (١٧٥٦ـ ١٧٩٩) اشتهر بشجاعته ونزاهته ، وقد رافق بونابرت في حملته الى حصار عكا حيث جرح في هذا الحصار وتوفي متأثرا بجراحه .

(٤) اي ان بونابرت جال حول القاهرة مع المهندسين ووضع اشارات على اماكن مرتفعة بقصد بناء قلاع في هذه الاماكن .

(٥) وردت في الاصل (فاذا) وقد حذفنا (الالف) الزائدة ، فاصبحت = فاذ ، بمعنى : عندما .

(٦) مبادرين .

(٧) المشورة .

(٨) الجنرال دببوي Dupuy وقد مرّ ذكره .

في عشرة جماد الاوّل نهار الاحد [1] . فنهض الجنرال المومى اليه والشرار تتطاير من عينيه ، ظاناً ان هذا القيام عليه ، وان هذا القتال لاجل ما طلب منهم من المال . وسار بثمانية انفار ليطمّن اهل تلك الديار ، ويفرق تلك الجماهير ، ويسكن روع الكبير والصغير . ولم يعرف ان ليس ذلك علّة المال فقط ، بل هى علل كثيرة الشطط وغزيرة النمط ، واحقاد كامنة في جوارح القلوب ، وعداوة لا يدركها سوى ربّ الغيوب . وفيما هو ساير في سوق النحّاسينّ فبرز اليه احد الاتراك وضربه بخشبة على خاصرته ، فسقط عن ظهر جواده مغشيًّا ، فحملوه اصحابه ورجعوا به الى جنينة الافرنج القديمة ، وفي وصوله مات هناك ، وشرب كاس الهلاك . وكانت العساكر الفرنساوية متفرّقين في المدينة ، ولعدم معرفتهم باللغة العربية ، ما يكونوا يدرون ما هى الحادثة في المدينة . فهجمت عليهم تلك الجماهير من كل ناحية ، وكانوا يقتلون كل من وجدوه في طريقهم من الافرنج الفرنساوية والملّة النصرانية ، من المعلّمين والرعيّة . وكان يوماً مهولاً عظيماً وخطباً جسيماً . ثم هجمت جماهير الاسلام على طور سينا [2] فقتلوا البعض من الرجال ، ونهبوا بيوت النصارى ، واخذوا ما احبّوا من الحاجات ، وضعوا النساء والبنات ، واحتموا بقوّة الرجال داخل دير الطور . وكان يوماً مشهور[اً] ، وكان اوليك الامم هايجين هيجات وحشية ، فتهاربت الفرنساوية الى البركة اليزبكية .

وكان في ذلك الوقت امير الجيوش في مدينة الجيزة ، فحضر لـمّا بلغه تلك الهيجة . وفي دخوله التقى مع ذلك الجمهور فولّوا من امامه ، ووصل الى بركة اليزبكية وفرّق العساكر حول البلد ، وامر ان تضرب من القلعة المدافع والقنابر . وكانت جماهير الاسلام في باب النصر والنحاسية وخان الخليل وخطّ الازهر والغورية والفحّامين خطّ المغاربة ، وهذه المحلاّت داخل البلد . وكانت الاسلام قد بنت متاريس في تلك الاماكن المذكورة ، فسقط خوف عظيم على الفرنساوية وذعرهم هذا القيام ، وداخلتهم الاوهام لمعرفتهم بكثرة الخلايق التى في مصر لانها كانت تجمع مليوناً من الناس ، ولا لكثرتهم قياس . وضربت الفرنساوية اوليك الجيوش الكثار بالقنابر والمدافع الكبار ، فتضايقت الاسلام من كثرة الكلل والقنابر والرصاص المتكاثر . واستقام [3] الحرب ثلاثة ايّام ، وفي اليوم الرابع كبست الفرنساوية على جامع الازهر ، فهربت الاسلام بالذلّ والتعكيس ، وامتلكوا منهم المتاريس ، وابلوهم بالضرر وملكوا منهم الجامع الازهر ، وسلبوا ما كان فيه من الودايع والذخاير . وابتدوا بعد ذلك يمتلكون مكاناً بعد مكان ، الى ان تملكوا اكثر المدينة . واختفت الاسلام في المنازل

---

(١) سنة ١٢١٣ هـ. الموافق ليوم ٢٠ تشرين الأول ١٧٩٨م . الا ان هذا اليوم يوافق ، وفقا لتقويم التواريخ الهجرية (للواء محمد مختار باشا) ، يوم السبت ، وليس يوم الاحد ، اما إذا كانت الحادثة قد جرت يوم الاحد ، كما ذكر المؤلف ، فيكون تاريخها ١١ جمادى الاولى الموافق لـ ٢١ تشرين الاول .

(٢) كنيسة ، أو دير ، للروم ، في الحي الاوروبي بالقاهرة .

(٣) استمرت .

والجدران، والقوا سلاحهم وصاحوا الامان. وكانت الفرنساوية كل من يرونه بلا سلاح لا يعارضوه، والذى يكون متسلحاً يقتلوه.

وحينما نظرت علماء الاسلام ان جيوشهم انكسرت والفرنساوية انتصرت، فساروا الى امير الجيوش بعقل مدهوش وقلب مرعوش، واخذوا يترامو [1] عليه بقيام العسكر من الجامع ورفع الحرب من كل مكان والمواضع. فبكّتهم [2] امير الجيوش بذلك الفعل الذميم والخطب العظيم، وكانوا يقسمون له بالله ان ليس عندهم من ذلك اثار، ولا علم ولا اخبار. بل علّة الحال طلب المال، وما قام إلاّ اوباش الرجال. فابى امير الجيوش تصديقهم وانكرا تحقيقهم، ولم يسمح لهم بتخلية الجامع من العساكر، واحرف وجهه عنهم وهو متعكّر الخاطر. فانصرفوا من امامه وهم باكين وعلى احوالهم نايحين [3]، وتأسّفوا على جامع الكنانة وخراب الديانة. ثم في ذلك النهار ارسلوا له الشيخ محمد الجوهرى، وكان في كل حياته ما كان يقابل احداً من الحكّام، ولا يعترض الى امور العوام [4]. وفي دخوله قال له: ما قابلت حاكماً عادلاً كان ام ظالماً، والان قد اتيت متوسّلاً اليك ان تامر باخراج العسكر من الجامع الازهر، وتغفر ذنب هولاء القوم الفجر [5]، واتخذ فى مدا العمر داعياً لك ناشراً فضلك. فانشرح امير الجيوش من ذلك الخطاب وانعطف و[أ]جاب، قائلاً: إنني عفوت وصفحت عن احبابك لاجل خطابك. ثم امر امير الجيوش برفع العسكر من الجوامع، واطلق المناداة في المدينة بالامان. وعقد الفحص [6] عن الذين كانوا مجتمعين في المشورة على قيام تلك الامور المفكرة، فقبض على شيخ العميان الشيخ سعيد، والشيخ الذى نادى في المدينة بجمع ذلك الجيش العديد، وعدّة فقهاء واناس فلتيه [7]. واخذوهم الى القلعة واذاقوهم كأوس [8] المنية، وقد كان مات بهذه الوقعة الفين صلدات، ومن اهالى المدينة ما ينيف عن خمسة الاف. وقد خسرت الاسلام ولم تربح، بهذا القيام، سوا الذلّ والاهانة وافتضاح جامع الديانة. وكان عندما استعدت اهالى مصر على القيام ضدّ الفرنساوية، كتبوا الى الشيخ الشواربى شيخ الصعيد يستنجدوه الى اعانتهم، وعيّنوا له زماناً ليحضر به بعشاير العربان. وقد اتى في الميعاد، اذ كانت الفرنساوية محيطة بالقاهرة. وحين نظروا العربان مقبلة خربوهم بالمدافع والرصاص، فولّوا منهزمين، لان

---

(١) يترامون عليه: يرجونه ويتضرعون اليه.

(٢) اي انّبهم ووبخهم.

(٣) نائحون: اي باكون (من النواح = البكاء).

(٤) اي انه لم يكن ليتعرض للشؤون العامة.

(٥) الفجار، وهكذا وردت في نسخة الشهابي (ص ٢٥٠).

(٦) عقد العزم على البحث.

(٧) من الفلتان، بمعنى التشرد والضياع.

(٨) كؤوس.

الفلاّحين والعربان لم يكونوا يستطيعوا على مقابلة النيران وحرب اوليك الشجعان، ورجعوا بالذلّ والخسران. وحين سكنت تلك الفتن سار الجنرال ميراد [Murat] الى بلدة قيلوب [1] وقبض على ذلك الشيخ، وحرق البلد، ثم ارسله الى امير الجيوش فقتله وولّى اخاه مكانه.

ثم اننا قد ذكرنا عن الجنرال المهندس لاجل بناية القلع [2]، وبعد ما سكنت تلك المفاسد من اهل مصر، امر امير الجيوش في بناية اربع قلعات بالقاهرة على اربع جهات: فالواحدة في كوم العقارب فوق الناصرية، وواحدة في كوم الليمون فوق اليزبكية، وواحدة في كوم الغريب فوق خطّ الازهر، وواحدة فوق جامع ابى برص خارجاً من باب النصر. وفي ايّام قليلة تمّت الاربع قلع، ونقل اليها جبخانة والمدافع والقنابر، وحصّنها بالعساكر. وبنى في القلعة الكبيرة ابراجاً، ونقل اليها مدافع كثيرة. وارسل اليها الزيت والمشاقة [3] ليرى اهالى مصر ان اذا نهضوا مرّةً ثانية يُتلف المدينة بالحراقة. وهكذا خبّر علماءهم ان يُخبروا الرعيّة. ثم عيّن، في بلد الجيزة من الفرنساوية، اصحاب الحرف والذين يسكبون المدافع والكلل، وابنى [4] في امبابة افراناً لاجل البقسماط، وعمّر طواحين في الهوا في الجيزة وفوق كوم الليمون، وكانوا يطحنون ما يكفيهم كل يوم. وامر بعمل البارود في مصر، مع ان قد كان معه الجبخانة تكفيهم عشر سنوات اذا كانوا يحاربون كل يوم.

ثم ان، بعد نهاية تلك الحركات التى قد حدثت وقتل الجنرال دبوى شيخ البلد، احضر امير الجيوش الجنرال دوسطين [5] وولاّه شيخ البلد على مصر مكان الجنرال دبوى. وكان هذا عاقلاً فاضلاً. وفرحت اهل البلد بموت الجنرال دبوى، لانه كان صعب الاخلاق وبطل لا يُطاق. وكان حينما قامت الاسلام على الفرنساوية، فهرب محمد اغة الانشكارية. وكان ذلك الرجل جباناً، وهذه الرتبة لا يوافقها ذلك، لانه يلزم ان يكون اغة الانشكارية بطلاً شديداً في الحرب والقراع، صاحب مكر وخداع، لان عليه ضبط البلد الليل والنهار، ولا يسأل عمّا يفعل. وبعد هذه الفتنة امر أمير الجيوش بعزلة، واقام عوضه مصطفى اغا جُربجى، وهو من مماليك عبد الرحمان اغا الذى كان قديماً اغة الانكشارية في زمان على بيك [6]. وحين دخل مصطفى اغا على امير الجيوش، لبّسه فرواً فاخراً

---

(١) قليوب، مدينة شمال القاهرة، وهي عاصمة محافظة القليوبية.

(٢) الجنرال كافاريلي.

(٣) المشاقة: الثياب الرثة، البالية، او قطع القطن. وربما يقصد بها ما يوضع من خرق بالية تبلل بالزيت وتكوّر ثم توضع النار فيها وترمي من القلاع بالمدافع.

(٤) وبنى.

(٥) الجنرال دستنغ Destaing.

(٦) اي علي بك الكبير الذي حكم مصر خلال النصف الثاني من القرن الثامن عشر، وتحالف مع الشيخ ضاهر العمر في فلسطين (عام ١٧٧٠م)، الا ان قائد جيشه محمد بك ابو الذهب انقلب عليه وطرده

وقلده سيفاً، وولاّه منصب الاغاوية على الانكشارية، وقال له: قد بلغني عن سيدك انه كان رئيساً في الاحكام، خبيراً بالايّام، متدبّراً بالنظام، ومُتقناً وظيفته على التام، فاودّ ان تكون مثله وتقتفي اثره. فقبّل يده وانصرف من قدّامه مسروراً. وبالحقيقة ان هذا المذكور اخلف سيّده في احواله وافعاله، وكان صادقاً في خدمته شديداً في همتّه، وقيل انه قتل مماليك كثيرة كما كان يفعل سيّده في حكمه. وكان ذلك الرجل[1] يكره المماليك وزمرتهم كونهم قتلوا سيّده. وكان حينما[2] وجد مملوكاً مستخفياً في المدينة يقتله سرّاً، لانه كثيرا [ما] كانت تدخل المماليك الى مصر مستخفيين. وبعد تلك الحوادث استكنت[3] مصر وكّلت[4] أهلها من الحروب مع الفرنساوية، وطاعتهم الطاعة الرغمية، لما كابدوا من شدّة باسهم وقوّة مراسهم. وقد كان الفرنساويون قد جذبوا اكثر الناس بحسن احكامهم العادلة، وعدم ميلهم للمشاكلة، وحسن سياستهم وعدم خيانتهم، وحبّهم المفرط للمسلمين ورفع المظالم عن الفلاحين، وضبط عساكرهم وتواضع اكابرهم، وصدق كلامهم حسن زمامهم، وانطلاق الحرّية لساير الرعيّة، واعطا[ء] الامان في كل مكان، والتفاتهم العجيب لنظم البلاد، وودّهم الغريب لراحة العباد. وقد قطعوا اثار اللصوص والنهّابين والعربان الخطّافين، واتقنوا الاحكام باحسن نظام، وتظاهروا بالكرم السخا[ء] ورخص القوت والرخا[ء][5]

[ذكر الحملة على بلاد الشام]

وبدأ امير الجيوش يجهّز الركبة[6] على الاقطار الشامية، وارسل القومانية[7] والمدافع

= من مصر فجاء الى فلسطين لاجئا عند حليفه الشيخ ضاهر (عام ١٧٧٢) ومعه نحو ثمانماية مملوك من انصاره، الا ان انصاره في مصر كانوا قد انحازوا، بعد فراره، الى خصمه ابي الذهب الذي استطاع استخدامهم كوسيلة لاغرائه واستدراجه للعودة الى مصر واسترداد الحكم بالقوة، على ان ينضموا اليه عند بدء القتال. فغادر علي بك عزة في ٢٢ نيسان / ابريل عام ١٧٧٣ بعد ان جمع نحو ثلاثة الاف مقاتل تخلى عنه معظمهم وهو في طريقه لملاقاة خصمه، ومع ذلك فقد خاض ضد ابي الذهب معركة، بالقرب من القاهرة، وبتاريخ ٣٠ نيسان، آملا ان ينضم اليه، خلالها، انصاره القدامى، الا ان هؤلاء كانوا قد غدروا به، فهزم ثم اسر وتوفي في الاسر، وقيل انه مات مسموما (الشهابي، لبنان في عهد الامراء الشهابيين، قسم ١: ١٠٨ - ١١٠ و
(Ismail, Adel, Documents diplomatiques et consulaires, T 2 P. 315).

(١) اي مصطفى آغا جربجي.
(٢) يقصد = كلما.
(٣) استكانت.
(٤) كلّ اهلها: تعبوا.
(٥) يظهر بوضوح، من المقطع السابق، ومن مقاطع غيرها، مدى اعجاب المؤلف بالفرنسيين وحماسه لهم وتعلقه بهم.
(٦) الحملة.
(٧) لم نجد تفسيرا لكلمة (القومانية)، واغلب الظن انه ما يصطحبه الجيش معه من تجهيزات.

والجبخانات الى مدينة بلبيس والصالحية ، ونبه على العساكر بتحضير ما يحتاجون من الات الاسفار . وقد شاعت الاخبار بقدوم ذلك الجيش الجرّار الى اراضى عكّا وتلك الديار . فاسرع احمد باشا الجزّار بتدبير ما يحتاج اليه في الحصار ، خشيةً من هجوم الكفّار واستيلايهم على تلك الاقطار . وحصّن مدينة عكّا بالابرجه والاسوار ، ووضع عليها القنابر والمدافع الكبار . وحصّن ايضاً مدينة حيفا ، وارسل الى يافا العساكر وحصّنها بالمدافع والقنابر . وامتدّ الى مدينة غزّة بعساكره وعشايره ، ووصلت جيوشه الى قلعة العريش واقاموا بها . واتّصل الايراد الى ساير البلاد . وتنبّهت الغزّ للجهاد . وفي شهر شعبان سنة ١٢١٣ [١] خرجت العساكر الفرنساوية الى مدينة بلبيس والصالحية ، وكتب الى الجنرال كليبر [Kléber] انَ يتوجّه من دمياط في البرّ على طريق قطية ، ويكون قايد العساكر الفرنساوية .

ثم ان امير الجيوش بونابارته ، من بعد ما سيّر العساكر ، احضر علماء الديوان ، ومصطفى كتخدا الذى جعله امير الحجّ ، والاغا والوالى والمحتسب ، وقال لهم : ان الغزّ المماليك ، الهاربين من سيفى في الاقطار قد التجوا الى احمد باشا الجزّار ، المتولّي بتلك الديار . فجمع لهم العساكر ، وحضروا الى العريش ، وعازمين على الحضور الى الديار المصرية ، لاجل خراب البلاد وقتل العباد وهلاك الرعيّة . فلذلك اخذتنى الغيرة ، واستخرت الله وهو نعم الخيرة . وعزمت اننى اسير اليهم بالعساكر ، واخرجهم من قلعة العريش بقوّة سيفى الباتر . وابذّرهم بتلك البرارى والقفار ، واجعلهم عبرةً للناظر واقطع اثارهم من تلك الديار ، بعون الواحد القهّار ، واريح منهم مصر وتلك الديار . وها قد ولّيت نايباً عنى وقايمقام في المدينة الجنرال دوكا [Dugua] ، فكونوا له طايعين ، والى كلامه سامعين وشيخ البلد عليكم الجنرال ضوصطين [Destaing] ، فعليكم ايها الحكام والأعيان والتجّار ، ان تنبّهوا على اهل هذه الديار برفع الاذية والاضرار . وان تكون الرعايا مطمأنين وفي منازلهم آمنين . وان كان يبدأ [٢] ، في غيابنا ، ادنى حركة من الحركات ضدّ العساكر والصلدات ، فقد امرت القايمقام وشيخ البلد وحاكم القلعة ان يهدموا البلد بالمدافع والقنابل ، ويقتلوا اهلها بحدّ السيف الباتر ، فكونوا على حذر من القضاء والقدر . فاجابوه اننا ضامنين وكافلين هدو الجمهور [٣] وعدم حدوث امر من الأمور . ثم امر إلى مصطفى كتخدا وعلماء الديوان ان يأخذوا الأهبة للمسير معه إلى العريش ، فاجابوه بالسمع الطاعة .

---

(١) يبدء شهر شعبان عام ١٢١٣هـ. بتاريخ ٨ كانون الثاني / يناير ١٧٩٩.

(٢) الاصح : يبدر .

(٣) اي : اننا ضامنون وكافلون هدوء الشعب .

وفي خامس يوم من شهر رمضان[1]، ركب امير الجيوش بونابارته في العساكر، وصحبته مصطفى كتخدا والعلماء، قاصداً مدينة بلبيس بالابطال الجبابرة والعساكر الوافرة. وحين وصل الى الصالحية، هرب امير الحاجّ محمد كتخدا الذي كان سابقاً الى مدينة غزّة. ومن هناك سار الى عكّا. وحين دخل على الجزّار قال له: انت الذى كنت اغة الانكشارية[؟] قال: نعم، ولكننى هربت منهم واتيت اليك. فقال له الجزّار: ما انت الاّ جاسوس. ثم امر بقلته. وكان العلماء بعد، وصولهم الى الصالحية، اعرضوا[2] الى امير الجيوش انهم لا يقدرون على الاسفار في البرارى والقفار، فاذن لهم بالرجوع، وسار امير الجيوش بتلك الجموع.

وكان قد امر امير الجيوش كبار الديوان، الشيخ عبد الله الشرقاوى والشيخ محمد المهدى، الباقيين في مدينة مصر، ان يرسلوا مكاتيب لساير الاقاليم، ويعرّفوهم عن مسيره الى الديار الشامية. فكتبوا كما امرهم، وطبعوها في المطبعة، ووزّعوها على ساير الاقاليم وهذه هي صورتها:

صورة الكتابة

من محفل ديوان مصر الخصوصى، الى جميع الاقاليم المصرية: نخبّركم ان امس، تاريخه خامس شهر رمضان المعظّم، توجّه حضرة الدستور المكّرم سرعسكر الكبير بونابارته، امير الجيوش الفرنساوية، مسافراً يغيب مقدار ثلثين يوماً، لاجل محاربة ابراهيم بيك الكبير[3] وبقيّة المماليك المصرية، حتّى يحصل الراحة الكلّية للاقاليم المصرية من هولاء الاعدا[ء] الظالمين، الذين لا راحة فيهم ولا رحمة في دولتهم على احد من رعيّتهم. وقد وصل الان مقدّمة الجيوش الفرنساوية الى العريش. وعن قريب ياتيكم خبر قطيعة ابراهيم بيك ومن معه من المماليك، نظير ما وقع قطيعة اخيه مراد بيك ومن معه في اقليم الصعيد. فيقطع دابرهم من برّ الشام كما انقطع دابرهم من اقليم الصعيد بالتمام. ويبطل القيل والقال، وتذهب الكاذبة[4] التى تسمعونها من اوباش الرجال.

---

(١) عام ١٢١٣هـ. الموافق لليوم العاشر من شباط / فبراير، عام ١٧٩٩م.
(يبدأ شهر رمضان ١٢١٣هـ. بتاريخ ٦ شباط / فبراير ١٧٩٩م).

(٢) اي: عرضوا على امبر الجيوش.

(٣) سبق وذكرنا ان ابراهيم بك الكببر كان فد وليّ حكم مصر، بالاشتراك مع مراد بك، بعد وفاة محمد بك ابو الذهب عام ١٧٧٥، وظلا يحكمان مصر معا حتى دخول بونابرت البها، حيث قاتلاه معا، وهزما امامه. الا ان ابراهيم بك عاد الى حكم مصر بعد خروج بونابرت منها وحتى عام ١٨٠٥ حيث طرده محمد علي باشا من الحكم، ولكنه بقي في مصر الى ان جرت مجزرة المماليك على يد محمد علي في قلعة القاهرة عام ١٨١١، فنجا بنفسه وفرّ من مصر الى بلاد النوبة.

(٤) الكدبة.

ونخبّركم ان حضرة السرعسكر المشار اليه يتجدّد له كل يوم نيّة الخير والرحمة، ويحدث[1] في تصميم الشفقة والرأفة. هذه هي نيّته لكم في كل الأقطار[ ][2] المصرية. ويحصل لهم النجاح والصلاح، ويكمل في ساير اقطارها السرور والاصلاح. وتفرح اقاليمها على يد سلطانها بونابارته، بمشية الله الذى مكّنه فيها، ونصره على من ظلم فيها من المماليك المفسدين. ولا يتم خلاصهم بالكلية وتتطهر من دولة المماليك الردية، الاّ ببذل همّته ورأيه السديد في تكميل نظامها بغنايهم لسيوفه[3] الباتره، وتكمل زروعها الفاخرة وانواع تجارتها الباهرة. ويُحدث فيها برأيه وحسن تدبيره التحف من انواع الحرف والصنايع النفيسة. ويجدّد فيها ما اندثر من صنايع الحكماء الاوّلين. ويرتاح في دولته كل الفقراء والمساكين. فالتزموا يا اهل الارياف والفلاّحين بحسن المعاملة والادب، واجتنبوا في غيبته انواع الكذب والقبايح، حتّى يراكم، حين يقرب بعد هذا الشهر، قد احسنتم المعاملة ومشيتم على الاستقامة. وينشرح صدره منكم ويرضى عليكم، وينظر اليكم بعين الشفقة. وان حصل منكم في غيابه ادنى خلل ومخالفة، حل بكم الوبال والدمار، ولا ينفعكم الندم، ولا يقرّ لكم قرار. واعلموا ان اذهاب[4] دولة المماليك بقضاء الله وقدرته. ونصرة سلطانكم امير الجيوش عليهم بتقدير الله وامره. والعاقل يمتثل الى احكام الله ويرضى بمن ولاّه. والله يوتى بملكه[5] من يشاء. والسلام عليكم ورحمة الله.

الداعى لكم الفقير عبد الله الشرقاوى ريس الديوان الخصوصى عفى الله عنه	الداعى لكم الفقير السيّد محمد المهدى الحنفاوى كاتم السرّ وباش كاتب الديوان عفى الله عنه

[ذكر حصار قلعة العريش واحتلالها]

وقد كنّا ذكرنا ان امير الجيوش ارسل الى الجنرال كليبر انه يسير بالعسكر الذى عنده في دمياط. ولما وصله ذلك الامر سار من مدينة دمياط على طريق قطية. ومن هناك صار[6] طالباً قلعة العريش، فتاه في الطريق وسار ثلثة ايّام من غير زاد. والجاهم الجوع حتّى اكلوا لحم الخيل والجمال. ثم اهتدوا على الطريق. وعند وصولهم للعريش كانت بعض عساكر الجزّار واردين

---

(١) ويحدّث.
(٢) وردت في الاصل (آل) زائدة فرأينا حذفها.
(٣) المرجح ان تكون العبارة: بفنائهم بسيوفه الباترة (اي ان النظام يكتمل في مصر بفناء المماليك بسيوف بونابرت الباترة)، وقد حذفت هذه العبارة من نسخة الشهابي (ص ٢٥٤).
(٣) ذهاب.
(٤) الصواب = ملكه.
(٥) سار.

بقومانية وذخيرة الى القلعة فعندما نظروا الفرنساوية مقبلين تركوا القومانية وهربوا. ووصلت الفرنساوية وقد فرحت بتلك الذخيرة واكتفوا بها ثلثة ايّام.

ثم حضر امير الجيوش وباقى العساكر ونصب الوطاق[1] امام القلعة. وكان فى قلعة العريش ثمانماية مقاتل، وكان بينهم احمد كاشف الكبير تابع عثمان بيك الاشقر، وابراهيم بيك كاشف الحبشي. وفى تانى الايّام، ارسل اليهم امير الجيوش ان يسلّموا القلعة، فلم يرضوا بذلك. فامر بضرب المدافع. وبقى الحصار على القلعة ثمانية ايام. ثم فرغت مونتهم[2] وبارودهم، فارسلوا يطلبون الامان. فاعطاهم الامان، وان يخرجوا من القلعة بغير سلاح، ويحصل الصلاح ويفوزوا بالنجاح، فلم يرضوا بذلك. وبعد يومين حضر قاسم بيك المسكوبى بجملة عسكر وجبخانة، وبقى بعيد[اً] عن القلعة. وكان قصده ان في الليل يدخل بغتةً فبلغ امير الجيوش وصوله، وربطوا عليه الطريق، وكبسوه ليلاً وذبحوا عساكره، ولم يسلم منهم غير القليل. وقتل قاسم بيك وعدّة من الكشّاف والمماليك. واخذوا كل ما كان معهم. وحينما بلغ ذلك الذين في القلعة حاروا في امرهم، وارسلوا يطلبون الامان بحيث يخرجون بسلاحهم. فامر لهم امير الجيوش بذلك، وخرجوا الى قدّامه فاطلق سبيلهم، وكل واحد منهم ذهب الى بلاده. واحمد كاشف وابراهيم كاشف وجماعتهما طلبوا من امير الجيوش التوجّه الى مصر الى منازلهم واعيالهم فاذن لهم بذلك، وارسلهم مع بعض من الصلدات لاجل حمايتهم في الطريق. وساروا الى القاهرة وادخلوهم على قايمقام الجنرال دوكا [Dugua] وشاعت اخبارهم في مصر، وحضرت خلايق كثيرة لاجل الفرجة عليهم. ودخلوا الى دار الكنانة بكل ذلّ واهانة، راكبين الحمير بملابس رثّة. ومن بعد مقابلة القايمقام وشيخ البلد توجّهوا الى بيوتهم. وبعد ثلاثة ايّام مات احمد كاشف من قهره وتوارى في قبره.

واما امير الجيوش، بعد تسلّمه قلعة العريش، وضع بها جانب[3] من العسكر. وقد ارسلوا الى علماء الديوان بان يوزعوا الكتابات كما جرت لهم العادة.

صورة كتابة علماء الديوان للديار المصرية

لا اله الا الله المالك الحقّ المبين، ومحمد رسول الله الصادق الواعد واليقين. نعرّف آل مصر وساير الاقاليم ان توجّهت الفرنساوية الى الديار الشامية، وحاصروا قلعة العريش من عشرة في رمضان الى سبع عشر[4]، ووقعت مقاتلة عظيمة خارج القلعة وكان في القلعة نحو الف وخمسايه

(١) كلمة تركية تعني: الخيمة، وجمعها: وطاقات.

(٢) مؤونتهم.

(٣) جانبا من العسكر = اي قسما منه.

(٤) سنة ١٢١٣هـ. اي من ١٥ الى ٢٢ شباط / فبراير ١٧٩٩م.

نفر غير من قتل خارجها. فلما طال عليهم الحصار، وتهدمت اسوار القلعة من ضرب الفرنساوية بالمدافع عليها وتيقّنوا بالهلاك، طلبوا الامان من حضرة السرعسكر الكبير، فاعطاهم الامان الكافى. وسافر منهم نحو ثمانماية من ناحية الشول[1] الى بغداد. وانعم عليهم حضرة السرعسكر بالحيوة بعد ان تيقّنوا بالهلاك. وهكذا اصحاب المروّات هولاء أعتقهم واطلق سبيلهم. وبعض الكشّاف والمماليك الذين كانوا في القلعة، نحو ستّة وثلاثين جندياً، طلبوا من حضرة السرعسكر ان ينعم عليهم برجوعهم الى مصر الى اعيالهم وبيوتهم، فاحسن اليهم وارسلهم الينا والى وكيله، ودخلوا عليه يوم الاحد في ستّة وعشرين رمضان معزوزين مكرومين[2] وارسل السرعسكر ان يوتى باكرامهم ان داموا على عهدهم الذى حلفوا به بالعريش. وان خانوا وهانوا فيحصل لهم من يده الانتقام. وامر في الفرمان ان الجنرال دوكا يامر التجّار بالقوافل الى برّ الشام، لينتفعوا بالمكاسب اصحاب التجّارة، وينتمعوا سكّان برّ الشام ببضايع مصر حسب العادة السابقة، ليحصل الامان بحلوله في تلك الاراضى. وكتب الى حضرة وزيره الجنرال اسكندر برتية[3] فرمان[4] يخبّرنا ويخبّر حضرة الوكيل بالحالة التى وقعت الى عساكر ابراهيم بيك وبعض من عسكر الجزّار المساعدين له. وان الفرنساوية وجدوا في قلعة العريش مخازن رزّ وبقسماط وشعير، وثلثماية رأس من الخيل الجياد، وحمير كثيرة، وجمال غزيرة اكتسبته جميعه الفرنساوية. ومع ذلك عندهم الصفح عن اخلاصهم عند قدرتهم عليهم. وهذا من صفات اصحاب المروّة من الرجال الابطال. فيا اخواننا لا تعارضوا الملك المتعال. واتركوا انفسكم من القيل والقال. واشتغلوا فى اصلاح دينكم والسعى فى معاش دنياكم. وارجعوا الى الله الذى خلقكم وسواكم. والسلام عليكم ختام.

---

(١) الشّوْل: الصحراء المقفرة.

(٢) معززين مكرّمين.

(٣) المارشال لويس الكسندر برتييه Louis Alexandu Berthier (١٧٥٣ـ ١٨١٥)، ولد في فرساي، وتطوع في الجيش الملكي، وحصل على رتبة عقيد خلال الثورة الاميركية، ثم اصبح جنرالا وعيّن قائدا للحرس الوطني، حيث امّن حماية العائلة المالكة في فرساي عام ١٧٨٩. وبعدها انضم الى بونابرت واصبح رئيسا لهيئة اركان جيش ايطاليا عام ١٧٩٦، ثم وزيرا للحربية الفرنسية (١٨٠٠ـ ١٨٠٧) فمساعدا لقائد الجيش الكبير (La G de Armee) الامبراطور نابوليون الأول (١٨٠٥ ـ ١٨١٤). حصل على لقب مارشال فرنسا عام ١٨٠٤. وقد وقّع على وثيقة استسلام نابوليون (عام ١٨١٤) وبعدها مباشرة انضم الى لويس الثامن عشر. وبعد عودة الامبراطور من منفاه (عودة المئة يوم ـ آذار ١٨١٥)، لجأ هو الى مدينة بامبرغ (Bamberg) في بافاريا حيث توفي، في العام نفسه، وفي ظروف غامضة.

(٤) فرماناً. والفرمان Firman: كلمة فارسية عرّبت، وتعني: الامر، وقد استعملها الاتراك. والفرمان هو كتاب السلطان يعطى للولاة ووكلاء الدول ليعلن تنصيبهم ومأموريتهم.

الفقير عبدالله الشرقاوى
ريس الديوان حالاً
عفى الله عنه

الفقير محمد المهدى
كاتم سرّ الديوان حالاً
عفى الله عنه

الفقير السيد خليل البكرى
نقيب السادات الاشراف
عفى الله عنه

[ذكر الحرب بين بونابرت والجزار واحتلال غزة ويافا]

واما امير الجيوش في تسعة عشر رمضان[١] نهض بالعساكر من قلعة العريش الى خان يونس. وفى الغد صارت[٢] مقدّمات العساكر على مدينة غزّة بنفوس معتزّة. واوّلهم الجنرال كلبير سرعسكر الجيش،والجنرال ميراد. وكانت عساكر الجزّار وعساكر الغزّ فى مدينة غزّة. فعندما شاهدوا عساكر الفرنساوية مقبلين ولّوا منهزمين. فدهمهم الجنرال ميراد بالرجال الشداد على الخيول الجياد. واطلق عليهم الرصاص. فما مكثوا امامه برهةً يسيرةً حتّى ولّوا منهزمين، والى النجاة طالبين. ولما كان الجنرال ميراد يحاربهم، دخل الجنرال كليبر الى البلد من غير قتال. وبات تلك الليلة في غزّة. وفى الغدّ سيّر العساكر على مدينة يافا. وكانوا وجدوا فى غزّة حواصل[٣] ذخيرة من بقسماط وشعير، واربعماية قنطار بارود، واثنى عشر مدفعاً، وحاصلا كبيراً من الخيام، وكلل وقنابر عظام، فحازوا على الجميع. ولم يزالوا سايرين حتّى وصلوا الى يافا، وبنوا المتاريس امام البلد ووضعوا المدافع عليها. ومن بعد اربعة ايام من وصولهم، وصل امير الجيوش واستخبر: كم في البلد من العساكر [؟]، فقالوا له: نحو ثمانية الاف. فكتب لهم وزيره اسكندر ينصحهم ان يسلّموا البلد لسلامة انفسهم فلم يرضوا بالتسليم، بل قبضوا على الرسول فتركوه مقتول. فبلغ امير الجيوش ذلك فاغتاظ غيظاً شديداً، وامر بضرب المدافع والقنابر على المدينة. وابتدا الحرب من اوّل النهار الى الساعة الناسعة، من ناحية حارة النصارى. ثم امر امير الجيوش بان يهجموا على البلد هجمةً واحدة، ويشنوا الغارة الجامدة، ويظهر ما عندهم من المكافحة والمجالدة. فغارت اوليك

(١) الموافق ليوم ٢٤ شباط / فبراير ١٧٩٩.
(٢) سارت.
(٣) مفردها: حاصل، اي مخزن.

الشجعان، وكان ليلة عيد رمضان، فيالها من ساعة كانت من ساعات القيامة، وتباً لها من ليلة لم يكن بها سلامة. وهجمت الفرنساوية هجم الاسود، واذ شاهدتهم عساكر الاسلام ايقنوا بالموت والعدم والخلود، وبقوا نادمين وفي امرهم حايرين. واذ لم يجدوا لهم سبيلاً للانهزام ولا منقذاً ينقذهم الى برّ السلام، فسلّموا الى قضاء الله والاحكام، وطرحوا سلاحهم وسلّموا ارواحهم. فبدت الفرنساوية يزجرونهم زجر الغنم. ولم يزل هول الحرب في امداد، والكرب في اشتداد، وتتناثر الرؤس وتهلك النفوس، وتنهتك الاحرار وتنكشف الاسرار والاستار، وتقتل الرجال والنساء والاطفال. وفاق صوت البكاء والعويل على صوت البارود الجزيل. وكنت تنظر واحد [اً] يقتل [و] واحد [اً] جذيل[1]، واخر دمه يسيل، والاخر بالأسر ذليل، ولا من يقيل ولا من يزيل. ولم يزل الجيش الفرنساوى في قتل وفتك وسبى وهتك، ورنّ سلاح وهزّ صفاح واخذ ارواح، من اوّل الليل الى اخر الصباح. وكان يوماً اليماً وحرباً عظيماً. وسلبوا كلما في المدينة من المال والامتعة الغوال. ولم يزل يعمل الصارم البتّار الى اخر النهار. وكان ذلك نهار العيد والخلق في حزن شديد. وحلّ الانكيس[2] في نهار ذلك الخميس. وفى ذلك الحين مات من العساكر ما ينيف عن الخمسة الاف، ومن اهالى البلد الفين وقد هجمت الفرنساوية على المراكب التي في المينا، واخذوا منها بضاعة ثمينة. واصبحت مدينة يافا لم يجد بها أحدا معافاً[3] ولا بها مستتر. وهي عبرة لمن اعتبر.

وفى ثانى الايّام، احضر امير الجيوش الاسارى، واطلق سبيل من كان من الاقطار الشامية. وميّز المصريين واكرمهم غاية الاكرام. وكان منهم السيّد عمر مكرّم نقيب الاشراف الذى كان هارباً واعطاه الامان، وامره ان يرجع الى الاوطان. واما الهوارا والارناوط امر بقتلهم جميعاً، لان كان البعض منهم في قلعة العريش، وحين اطلقهم امرهم ان يذهبوا الى بلادهم سالمين، فاتوا الى مدينة يافا وحاصروا بها. فقتلهم جميعاً من دون بعض انفار من الاغاوات الكبار، وارسلهم اسرى مع هجانة[4] الى قايمقام يعرّفه بالاخبار عن هذا الانتصار. وان يوزّع من الديوان الكتابات كما جرت لهم عادات. ويخبر [[5]] المصريين في انتصار الفرنساويين على مدينة يافا.

---

(١) جديلا: اي مجندلا صريعا. وقد وردت في نسخة الشهابي (ص ٢٥٧) «وكنت تنظر واحد [قتيل] وواحد جديل».

(٢) النكسة، الهزيمة.

(٣) لا يوجد بها احد معافى.

(٤) ورد في نسخة الشهابي (ص ٢٥٨): «ارسلهم اسارا مع هجانة الى مدينة القاهرة». وكان بونابرت قد انشأ في مصر فرقة من الهجانة.

(٥) وردت (الى) زائدة، آثرنا حذفها.

صورة الكتابات من علماء الديوان بمصر يعلّموا [1] الاقاليم بأخذ يافا

بسم الله الرحمن الرحيم. سبحان مالك الملك يفعل في ملكه ما يريد. سبحان الحاكم العادل الفاعل المختار ذو البطش الشديد. هذه صورة تمليك الله سبحانه وتعالى جمهور الفرنساوية لبندر يافا من الاقطار الشامية.

نعرّف اهالى مصر واقاليمها من ساير البرية، ان العساكر الفرنساوية انتقلوا من غزّة ثالث وعشرين شهر رمضان، ووصلوا الى الرملة في خامس وعشرين [2] منه في امان واطمئنان. فشاهدوا عسكر باشا الجزّار هاربين بسرعة قايلين: الفرار الفرار. ثم ان الفرنساوية وجدوا في الرملة ومدينة اللُدّ مقدار[اً] كبير[اً] من مخازن البقسماط والشعير، ورأوا فيها الف وخمساية قربة [3] مجهّزة، قد جهزها الجزّار ليسير بها الى اقليم مصر مسكن الفقراك والمساكين، ومراده يتوجّه اليها باشرار العربان من سفح الجبل. ولكن تقادير الله تُفسد الحُيَل [4] قاصداً سفك دماء الناس مثل عوايده السابقة. وتجبّره وظلمه مشهور، لانه من تربية المماليك الظلمة [5] المصرية. ولم يعلم، من خسافة [6] عقله وسوء تدبيره ان الامر لله وكل شيء بقضايه وتدبيره.

وفي سادس وعشرين من شهر رمضان، وصلت مقدّمات الفرنساوية الى بندر يافا من الاراضي الشامية، واحاطوا بها وحاصروها من الجهة الشرقية والغربية. وارسلوا الى حاكمها وكيل الجزّار ان يسلّمهم القلعة، قبل ان يحلّ بهم وبعسكرهم الدمار. فمن خساسة رأيه وسوء تدبيره سعى في هلاكه وتدميره، ولم يردّ لهم جواب، وخالف قانون الحرب والصواب، وقتل الرسول النجاب [7].

وفي آخر ذلك اليوم السادس والعشرين، تكاملت العساكر الفرنساوية على محاصرة يافا، وصاروا كلهم مجتمعين. وانقسموا ثلاثة طوابير: لطابور الاوّل توجّهَ على طريق عكّا بعيد[اً] عن يافا

---

(٣) المقصود = يعلموا، اي بخبروا.

(٤) سنة ١٢١٣هـ. الموافق للاول من آذار عام ١٧٩٩. (باعتبار ان شهر شباط ٢٩ يوما، وان بدء رمضان هو في ٦ شباط).

(١) رأوا = بمعنى وحدوا. اي وجدوا فيها الفا وخمسماية قربة. والقربة: وعاء، من الجلد او سواه، يوضع به اللبن او الماء، للسقاية.

(٢) الحيل، جمع حيلة.

(٣) الظالمة.

(٤) قلة.

(٥) الساعي.

اربع ساعات. وفى السابع والعشرين من الشهر المذكور امر حضرة السرعسكر الكبير بحفر خنادق حول السور، لاجل ان يعملوا متاريس امينة وحصارات مُتقَنة حصينة. لانه وجد سور يافا ملاناً بالمدافع الكبيرة، ومشحونة بعساكر الجزّار الغزيرة. وفى تاسع وعشرين من الشهر المذكور، لما قرب حفر الخندق الى السور مقدار ماية وخمسين خطوة، امر حضرة السرعسكر المشار اليه ان تنصب المدافع على المتاريس، وان يضعوا الهاون الكبير باحكام وتاسيس. وامر بنصب مدفع صيانةً لعساكره الصاعدين والمشتغلين بخرق السور. وامر بنصب مدفع آخر بجانب البحر لمنع الخارجين اليهم من مراكب المينا، لانه وجد في المينا بعض مراكب اعدّوهم[1] عساكر الجزّار الى الهروب. ولا ينفع الهرب من المقدّر المكتوب. ولما رأت عساكر الجزّار الكاينين بالقلعة ان عساكر الفرنساوية قلايل، فيُرأ[2] الفين للناظرين لسبب اختفآء الفرنساوية في الخنادق وخلفَ المتاريس. فغرّهم الطمع وفتحوا بجالهم[3] من القلعة مسرعين مهرولين، وظنّوا انهم يغلبوا الفرنساوية. فهجمت عليهم الفرنساوية وقتلوا منهم جملة كثيرة في الوقعة. والزموهم والجوهم[4] للدخول تانياً الى القلعة. وفى يوم الخميس غاية شهر رمضان، حصلت عند السرعسكر شفقة قلبية على الرعيّة، وخاف على اهل يافا من عسكره اذا دخلوها بالقهر والاكراه، فارسل اليهم مكتوباً مع رسول مضمونه:

لا الله الاّ الله وحده لا شريك له

بسم الله الرحمن الرحيم

من حضرة سرعسكر اسكندر كتخدا العسكر الفرنساوى، الى حضرة حاكم يافا. نخبّرك ان حضرة سرعسكر الكبير بونابارته امرنا نعرّفك، في هذا الكتاب، ان سبب حضوره الى هذا الطرف اخراج عسكر الجزّار فقط من هذه البلد. لانه تعدّى بارسال عسكره للعريش ومرابطته فيها. والحال انها من اقليم مصر التى انعم الله بها علينا. فلا يناسبه بالاقامة بالعريش لانها ليست من اراضيه. فقد تعدّى على ملك غيره. ونعرّفكم يا اهل يافا ان بندركم حاصرناه من جميع اطرافه وجهاته، وربطناه بانواع الحرب [والالات][5] والمدافع الكثيرة والكلل والقنابر الغزيرة وفي مقدار ساعتين [يقلب][6] سوركم وتبطل الاتكم وحروبكم. ثم نخبّركم ان حضرة السرعسكر المشار اليه بونابارته، لمزيد رحمته وغزير شفقته خصوصاً بالضعفاء من الرعيّة، خاف عليكم من سطوة عسكره

---

(١) أعدّها.

(٢) فيُرى.

(٣) وردت في نسخة الشهابي (ص ٢٥٩): «غرّهم الطمع [فخرجوا] لهم من القلعة».

(٤) وألجأوهم.

(٥) وردت في الاصل: والات، فاقتضى التصحيح.

(٦) وردت في الاصل: ليقلب، فاقتضى التصحيح.

المحاربين. واذا دخلوا اليكم بالقهر فاهلكوكم اجمعين. فامرنا ان نرسل اليكم هذا الخطاب اماناً كافياً لاهل البلد والاغراب، ولاجل ذلك اخر ضرب المدافع والقنابر ساعة واحدة. وانني لكم من الناصحين القلبية، والحال انهم جعلوا الجواب قتل الرسول مخالفين للقوانين الحربية والشرعية المطهرة المحمدية.

وحالاً، في الوقت والساعة، هاج السرعسكر واشتدّ غضبه على الجماعة، وامر بابتداء ضرب المدافع والقنابر الموجبة التدمير. وبعد مضى زمان يسير، تعطلّت مداف يافا المقابلة لمدافع المتاريس، وانقلب عسكر الجزّار في وبال وتنكيس. وفى الظهر من هذا اليوم، انخرق سور يافا وارتجّ له القوم. ونقب من الجهة التى ضرب فيها المدافع من شدّة النار، ولا مردّ لقضاء الله ولا مدافع. وفى الحال امر حضرة السرعسكر بالهجوم عليهم، وفي اقلّ من ساعة ملكت الفرنساوية البندر والابراج، ودار السيف في المحاربين، واشتد بحر الحرب وهاج. وحصل النهب فيها تلك الليلة.

وفي ثانى يوم الجمعة غرّة[1] شوال، وقع الصفح الجميل من حضرة السرعسكر الجليل، ورقّ قلبه على اهل مصر من غنى وفقير ومتجبّر وحقير، الذين كانوا في يافا، واعطاهم الامان، وامرهم بالرجوع الى الاوطان مكرومين[2]. وكذلك امر اهل دمشق برجوعهم الى اوطانهم سالمين، لاجل [ان][3] يعرفوا مقدار شفقته ومزيد رافته ورحمته، ويعفو عند المقدرة ويصفح وقت المعذرة، لكثرة تمكّنه ومزيد اتقانه وتحصّنه.

وقتل اكثر من اربعة الاف من عسكر الجزّار في السيف والبندق، لما وقع منهم من الانحراف. واما الفرنساوية لم يقتل منهم الا القليل، والمجاريح منهم ليس بكثير. وسبب ذلك سلوكهم للقلعة من طريق امينة خافية عن العيون. واخذوا ذخاير كثيرة واموال غزيرة. ومسكوا المراكب التي في المينا. واكتسبوا امتعة غالية ثمينة. ووجدوا في القلعة اكثر من ثمانين مدفع. ولم يعلموا [انه]، مع مقادير الله، الة الحرب لا تنفع[4]. فاستقيموا يا عباد الله وارضوا بقضاء الله. ولا تتعارضوا على احكام الله. وعليكم بتقوى الله. واعلموا ان الملك لله يوتيه لمن يشاء[5] والسلام عليكم ورحمة الله.

الفقير السيّد خليل البكرى	الفقير عبد الله الشرقاوى
نقيب الاشراف بمصر حالاً	رئس الديوان بمصر حالاً
عفى الله عنه	عفى الله عنه

---

(١) سنة ١٢١٣هـ. الموافق ليوم ٨ آذار / مارس ١٧٩٩م.

(٢) مكرّمين.

(٣) وردت (ما) فاستبدلناها بـ (أن).

(٤) وردت في نسخة الشهابي (ص ٢٦٠): «ولم يعلموا مع مقادير الله ان آلة الحرب لا تنفع».

(٥) الصواب: يؤتيه من يشاء.

الفقير محمد المهدى

كاتم سرّ الديوان بمصر حالاً

عفى الله عنه

طبع فى مطبعة الفرنساوية العربية (١) بمصر المحروسة (٢).

[ذكر حصار عكا]

ثم أن أمير الجيوش سار بالعكسر قاصداً مدينة عكّا على طريق الجبال. ولما وصلوا إلى أراضي قاقون، فكانت عساكر الجزّار والنوابلسية مكمنين في الوادى الذى هناك. وحينما بلغهم قدوم الفرنساوية اخرجوا منهم من فمّ الوادى خمسماية مقاتل، وبدوا يرمحون تجاه العسكر. وكان قصدهم ان يجرّوهم الى ذلك الوادى. فلما علم امير الجيوش مرادهم، قسم عساكره ثلثة اقسام: فالقسم الاوّل سيّرة الى فمّ الوادى. والقسمان اطلعها الى الجبل. وحين اقتربوا الى الوادى ضربوا المدافع واطلقوا الرصاص، فانحدرت اليهم الفرنساوية من اعلى الجبال، وانتشبت بينهم القتال، وكثر القيل والقال. وقد قتل من عسكر الاسلام اربعماية قتيل على التمام. وولّوا (٣) الباقون منهزمين، والى النجاة طالبين. ومن هناك صارت الفرنساوية مطمانين (٤) في تلك الديار، وباتوا تلك الليلة على العيون الصغار. وفى الغد ساروا إلى أن وصلوا الى وادى الملك. وقد كان بلغ الجزّار قدوم (٥) وقرب الفرنساوية الى تلك الديار، فأرسل الى حيفا احضر الجبخانة والعسكر. وعندما وصلت الفرنساوية الى تجاه مدينة حيفا، خرجت اهالى البلد الى مقابلتهم، وسلموا امير الجيوش مفاتيح البلد والقلعة، فاكرمهم واعطاهم الامان. ودخلت الفرنساوية مدينة حيفا، فوجدوا بها قارباً صغيراً فيه جماعة من مراكب الانكليز فاخذوهم اسارى (٦).

وبعد ذلك امير الجيوش انتقل بالعساكر الى تجاه مدينة عكا، ونصبوا المضارب والخيام في محلّ يقال له ابو عتبة. وبنو المتاريس الحصينة، ووضعوا فوقها المدافع المتينة. وشاعت الاخبار في تلك

---

(١) المعروف ان بونابرت حمل الى مصر مطابع بالعربية كان يطبع عليها جميع مطبوعاته بهذه اللغة.

(٢) يذكر اينيه Ainé، في ترجمته الفرنسية للكتاب (Op. Cit. P. 281)انه، في مخطوطة الكتاب التي استعارها من «كوسان دي برسيفال Coussin de Perceval»، وبعد كلمة (المحروسة) كتبت قصيدة مديح لبونابرت مطلعها «لله عصر قدرّها. فلك السعادة فيه دار». كما كتبت هذه القصيدة نفسها في آخر المخطوطة الموجودة في المكتبة الملكية، وفي آخر نسخة الشهابي. وقد اثبتناها بدورنا في آخر الكتاب.

(٣) وولّى.

(٤) صار الفرنسيون مطمئنين.

(٥) وردت في نسخة الشهابي (ص ٢٦١): «وكان قد بلغ الجزار قرب الفرنساوية الى تلك الديار».

(٦) المعنى: «فوجدوا بها قاربا صغيرا من مراكب الانكليز فيه جماعة فأخذوهم اسارى».

الاقطار بقدوم البطل المغوار، في ذلك العسكر الجرّار الذي هو كالبحر الزخّار. فخافت تلك الديار، وعزموا جميعهم بالتصميم على الطاعة والتسليم لذلك البطل العظيم، لما بلغهم من عظم سطوته وعلو همّته وشدّة صولته. وبقوا ينتظرون بما [١] يحلّ باحمد باشا الجزّار، بعد ذلك الضيق والحصار، من الهلاك والبوار. وقالت المسلمين اجمعين: اننا لله واننا اليه راجعين [٢] من شرّ هولاء الملاعين. وكان امير الجيوش كتب الى ساير مشايخ البلد ليحضروا الى مقابلته، ويحصلوا على امانه ورحمته. وبدت [٣] تاتى اليه اهل تلك البلاد ويأخذون منه الامان. وسار الجنرال كليبر والجنرال منوا [Menou] الى مدينة الناصرة، وارسل كومندا[ن] [٤] حاكما على شفا عمرو ومن بعد اتمام بناية المتاريس ابتدا فى الحرب على عكّا خامس يوم من شهر شوال سنة ١٢١٣ [٥]. وقام الحرب اربعة [٦] وعشرين ساعة. وكان حرباً شديداً مهولاً لم يكن مثله قطّ لان كانت الفرنساوية تضرب المدافع والقنابر. وفى المدينة كذلك، المدافع والقنابر من الابراج والقلاع والحصون والاسوار. وكانت المراكب العثمانية والمراكب الانلكيزية تضرب كذلك المدافع والقنابر. حتّى خيل للناظرين والسامعين ان مدينة عكّا لم يبق منها حجر على حجر واقفين. وارتجّ الجزّار من ذلك رجّةً عظيمة، وكاد أن يخلو [٧] المدينة. واحضر مراكبه للسفر والركوب، وهيّا نفسه للذهاب والهروب. فمنعه الجنرال سرعسكر الانكليز [٨] الذى كان مقيماً في عساكره على البواغيظ [٩]، وطمّنه قايلاً: اننى قد قطعت عزم اعدايك الفرنساوية، اذ قد اسرت منهم ثلثة مراكب جبخانية ومدافع قوية، فشجّع فؤادك على محاربتهم، لانني قد اضعفت قوّتهم.

وكان الامر كما ذكر، لان امير الجيوش، اذ كان لم يقدر على نقل الجبخانة والمدافع الكبار في البرّ، فامر ان يوسقوهم فى ثلثة مراكب ويرسلوها من دمياط. وحينما خرجت المراكب المذكورة

---

(١) ما.

(٢) وقال المسلمون أجمعين: انّا لله وانا اليه راجعون...

(٣) وبدأت.

(٤) المقصود: قومندان، اي ضابط كبير، وقد ترجمها اينيه (Op. Cit. P. 107) كما يلي: «وأُرسل ضابط (Officier) حاكما على شفا عمرو».

(٥) الموافق ليوم ١٢ آذار / مارس ١٧٩٩.

(٦) اربعا وعشرين ساعة (اما الحرب، فهي مؤنثة، وقد تذكر كما قال المبرّد).

(٧) يُخلي.

(٨) هو الاميرال البريطاني السير وليم سيدني سميث Sir William S. Smith (١٧٦٤ ـ ١٨٤٠) لعب دورا هاما في الدفاع عن عكا عام ١٧٩٩ ضد بونابرت والى جانب الجزّار، وقد كان قائدا للبحرية البريطانية في شرق البحر الابيض المتوسط في ذلك الحين. فأحبط الحصار الفرنسي لعكا وذلك بأن استولى على مدفعية الحصار الفرنسية في عرض البحر وساند الجزّار وقدم اليه المشورة.

(٩) جمع بوغاز، اي المضيق او الترعة، ويذكر اينيه في ترجمته الفرنسية (op. cit. P. 108) ان سميث كان مرابطا باسطوله عند مصابّ النيل (وهي دمياط ورشيد).

اصطادتها مراكب الانكليزا، وكان سرعسكر الانكليز المسمّى سند [سدني] سميت لم يزل يطوف في مراكبه على البواغيظ ليمنع الامداد على الفرنساوية. وحين وقع الحصار على مدينة عكّا، حضر بمراكبه واخرج منهم طبجية [1] الى القلع والاسوار. ثم، من بعد ذلك الحرب الشديد، قلّت جبخانة [2] الفرنساوية، وبلغ امير الجيوش ان الانكليز استاسروا الثلاث مراكب التى اتت من دمياط في الجبخانة. فاشتعل فيه الغضب، وارسل احضر ما كان في يافا من الجبخانة. ثم حضر الجزّار مركبين من اسلامبول بهم الجبخانة، ولما أقبلوا إلى أسكلة [ميناء] يافا وشاهدوهم الفرنساوية الذين كانوا باقيين هناك، رفعوا لهم البيراق العثمانى، ودخلوا الى الميناء بكل امان، ناشرين الاعلام لظنّهم ان المدينة بيد الاسلام. وبعد ما القوا المراسى، نزلت القبابطين [3] الى البلد، فقبضوا عليهم الفرنساوية، وضبطوا المراكب بكل ما فيها من المدافع والقنابر والجبخانة. وكان ستّت وثلثين الف دينار مرسلة اسعافاً للجزّار فصار ذلك اسعافاً للفرنساوية.

[ذكر معارك بونابرت في بلاد الشام]

وكنّا قد ذكرنا ان امير الجيوش، بعد حضوره الى تجاه عكّا، ارسل كتب الى مشايخ البلد الذين بالقرب منه، فحضر اليه الشيخ عبّاس ابن ضاهر العمر، واعرض [4] لديه احواله. فترحّب به واعطاه السلاح والكسوة وعشرة اكياس، وكتب له ان يكون متولّياً بلاد ابيه. وحضر ايضاً مشايخ بنى متوال [5] فاعطاهم حكم بلادهم. وصاروا من عند امير الجيوش الى مدينة صور وقدّموا له الذخاير من البلاد وتسلّموا القلعة التى كانت لابائهم. ثم حضر ايضاً رجل من جبل شيخا [6] اسمه مصطفى بشير، فاكرمه امير الجيوش، وامره ان يجمع عسكر[اً] من اهل تلك البلاد ويتوجّه الى مدينة صفد. فتوجّه المذكور بخمسين نفراً. ولما بلغ اهل البلد قدومه، طردوا عسكر الجزّار وسلموه البلد، وكان ذلك الرجل اصله من صّفد.

وقد ذكرنا عن توجّه الجنرال كليبر والجنرال منو الى الناصرة، وكان قد اجتمع من الشام عساكر الاسلام، من مغاربة وهوارا وعربان، والغزّ الذين حضروا مع ابراهيم بيك، الى ان بلغ جمعهم ثلثين الف مقاتل ما بين راكب وراجل. وخرجت هذه العساكر العديدة بقوة شديدة، ووصلت الى مرج ابن عامر. فبلغ كليبر قدوم ذلك العسكر، فسار اليهم بالف وخمساية مقاتل. وحينما وصلوا وشاهدتهم تلك

---

(١) من (طوب top)، وهي كلمة تركية معناها: المدفع. والطوبجية Topdjis هم سندة المدفع والعاملون عليه.

(٢) الجبخانة: كلمة فارسية، وهي ما يلزم الحرب من البارود والكل ونحوها.

(٣) جمع غير صحيح للقبطان، اي قائد السفينة والمركب.

(٤) وعرض عليه.

(٥) اي مشايخ جبل عامل.

(٦) وردت (جبل شيحا) في نسخة الشهابي (ص ٢٦٣). وقد ورد في (معجم البلدان) اسم (جبل شيحان) وهو جبل مشرف على جميع الجبال التي حول القدس. واغلب الظن انه هو الجبل المعنيّ.

الجموع ، انهزموا من قدامهم مكيدةً منهم . ولم يزل الفرنساوية في اثرهم الى ان وصلوا الى اطراف المرج . ومن هناك احاطوا فى الفرنساوية من كل جانب . ولما نظرهم الجنرال كليبر قد احاطوا بالعسكر ، فقسم رجاله اربعة اقسام ، مع كل قسمة منهم مدفع . واتّصل الحرب بينهم . فعندما شاهدت اهالى الناصرة كثرة جيوش الشام ، وان الفرنساويين قليلين جداً ، فبادروا حالاً واخبروا امير الجيوش ، فاحضر حالاً الجنرال تركو [1] وامره بتحضير ثلثة الاف صلدات . ومن بعد ساعة واحدة جهّز العسكر المذكور ، واخذوا معهم اربعة مدافع . وامر الجنرال بونابارته ان يسيروا على وادى عبلين[2] . ومن بعد مسيرهم بثلاث ساعات ، ركب امير الجيوش وسار ورا[ء]هم طالباً اثرهم . وفى نصف الليل وصل بالعساكر الى بير البدوية ، وارسل الى بلدة قريبة منهم اسمها سافورا [3] ، وطلب ما احتاجه من الذخيرة [4] تلك الليلة .

وعند الصباح سار بالعسكر الى ان نفذ الى مرج ابن عامر ، وصعد الى تلّ عالٍ فكشف ارض المرج . ونظر الى الجنرال كليبر في وسط البيدا[ء] ، وعساكر الاسلام محتاطة به ، والهجمة من كل ناحية ، وليس لهم عليه استطاعة . ثم نظر الى جبل بعيد وعليه المضارب والخيام ، وكان هذا اوردى [5] الغزّ . فنزل امير الجيوش وافرز خمساية مقاتل وامرهم ان يسيروا على الجبل ويكبسوا على الاوردى . وقسم العسكر الذى بقى معه ثلثة اقسام : قسمان منهم الف ، والقسم التالث خمساية . فاخذ منهم قسماً واحداً ومدفعاً واحداً وتوجّه بذاته ، والقسم الثانى تبعه من بعيد ، والقسم الثالث الخمساية ، ومعهم مدفعين ، امرهم ان يسيروا الى الحرب من الطرف الثاني ، الى ان تصير العساكر المحاربين في وسطهم محتاطين [6] بهم . وحينما وصل امير الجيوش الى عندهم ضرب مدفعاً واحداً ، ثم ضرب القسم الثاني ثم الثالث ، وحينما سمعوا العساكر المحاربين [7] المدافع ، ونظروا [8] قدوم النجدة وعلموا انهم صاروا في وسطهم قولوا منهزمين وللنجاة طالبين ، وصاروا يتراكضون في الجبال وكانت الفرنساوية يضحكون عليهم . وعندما انقطع أثرهم اتى امير الجيوش الى عند الجنرال كليبر وتصافحا

---

(١) الجنرال لونيرك Leture .

(٢) وادي عبلّين : واد يقع شمال بلدة «شفاعمرو» في فلسطين ، وتقوم بمحاذاته بلدة تسمى باسمه (انظر خارطة فلسطين) .

(٣) صفورية ، وهي بلدة في فلسطين تقع جنوب شرقي شفاعمرو ، على الطريق بين الناصرة وعكا (انظر خارطة فلسطين) .

(٤) المؤونة .

(٥) اوردي : وردت (عرضي) في نسخة الشهابي (ص ٢٦٣)، وترجمها اينيه (معسكراً). (Ainé, Op.cit. P. 111) واغلب الظن انها كلمة تركية تعني : معسكر الاورطة (فرقة من الجند)، كما سيتبين لنا فيما بعد .

(٦) محيطين .

(٧) وحينما سمع العساكر المحاربون .

(٨) وانتظروا .

مع بعضها بعض، وتعانقا وفرحا بانهزام الاعداء. وحينا كانا واقفين، واذ بالخمساية صلدات الذين صاروا الى الجبل راجعة بالغنايم الوافرة، لانهم كبسوا على اوردى الغزّ، وكان فيه مقدار ماية مملوك فقط. واما باقى الغزّ فكانت تحارب فى ارض المرج بعيد[اً] عن اورديهم مقدار ساعتين. فعندما نظرت المماليك ان الفرنساوية مقبلين عليهم، تركوا الاوردى وولّوا منهزمين. فكبسوا عليه الخمساية صلدات واغتنموه. وكان فيه خيرات كثيرة. واخذوا الخيل والجمال والخيام والامتعة والاسلحة والملبوس. وبات امير الجيوش تلك الليلة فى ارض المرج، وحينا اصبح الصباح، ارسل خمساية صلدات الى قرية جنينين [1] وامرهم ان ينهبوها ويحرقوها، ففعلوا كما امرهم. ثم ان امير الجيوش احرق تلك القرايا التى في جبل نابلوس، لانهم ما طلبوا منه الامان. ثم رجع الى الناصرة، وبعده حضر بالعسكر الى تجاه عكّا.

وقد كنّا ذكرنا ان امير الجيوش كان قد ارسل مصطفى بشير الصفدى الى صفد وملك قلعتها، وصاروا [2] الذين كانوا من قبل الجزّار الى الشام. وجمع ابن عقيل عسكراً وحضر الى صفد فنهبوها وحاصروا القلعة. ولعلمهم بقلّة الرجال بها هجموا بقوّة شديدة. وكانوا الذين في القلعة يضربوا عليهم بالرصاص، فهلك منهم عدّة رجال. ثم ان رجل [3] من القلعة سقط من شباك وهجم ورا[ء] عسكر الشام وضرب البيرقدار [4] برصاص فقتله، واخذ البيرق ورجع الى القلعة. وحين بلغ امير الجيوش قدوم عسكر الشام الى صفد، امر الجنرال ميراد ان يسير بخمساية راكب. ولما بلغ عسكر الشام قدومه رحلوا الى جسر بنات يعقوب. وحين دخل الجنرال ميراد صفد بلغه هروب عسكر الشام فتبعهم، ولما وصل الى الجسر فما وجد واحداً واعلموه انهم ساروا الى الشام. واما مصطفى بشير حضر الى عند امير الجيوش فترحّب به واكرمه، وقد اخبروه عن فعل ذلك الرجل فاعطاه ماية وخمسين غرش. وامر مصطفى بشير ان يعيّن عسكر[اً] من الفلاّحين، ولكل انسان ثلثين فضة كل يوم. فتوجّه المذكور وعيّن جماعة وسار بهم الى جسر بنات يعقوب لعند الجنرال ميراد، فتركهم الجنرال على الجسر محافظين ورجع الى عكّا. واما الجنرال منو كان لم يزل مع الجنرال كليبر فى الناصرة، فبلغه ان فى مدينة طبرية عسكر الجزّار، فاخذ ثلثماية راكب من الفرنساوية، والشيخ

---

(١) وردت في نسخة الشهابي (ص ٢٦٤) جانين، والصواب: جنّين.

(٢) وسار.

(٣) رجلا.

(٤) اي حامل البيرق.

صالح والشيخ عبّاس اولاد ضاهر العمر [١] ، ولما قربوا من طبرية خرج عسكر الجزّار الى ملاقاتهم ، وكانوا نحو الفين مقاتل. وحين تقابلا العسكران وانتشبت بينهما الحرب، انكسر عسكر الجزّار وولّوا منهزمين وللنجاة طالبين. ولحق هذا الشجاع رجل[٢] من العسكر وضربه بحسامه وارماه شطرين، وقتل منهم اوفر من مايتين. ورجع الجنرال ميراد الى طبرية، فوجد بها حواصل [٣] حنطة وشعير ودرّا [٤] ما ينوف عن الفين غرارة[٥]. فارسل اعلم بها امير الجيوش، فرجع الجواب ان يطحنهم ويرسلهم الى العسكر. وفي شهر شوال الموافق لشهر آذار [٦] ، تباين الطاعون في العساكر الفرنساوية ، وكانت عليهم اعظم بلية ، ومات منهم خلق وافر.

وكانت الحروب قايمة الى مدينة عكّا الليل والنهار ، وهم يهجمون على الاسوار ، والكلل والقنابر عليهم مثل سيل الامطار. وقد اهلكوا من العساكر الاسلامية والانكليزية خلقاً لا يُحصَى ، لما كانوا يخرجون الى محاربتهم. وقد هدموا ابراج واسوار عكّا من ضرب المدافع والقنابر وهيجان العسكر. ولما نظر الجزّار هدم البروج والاسوار ، فبدا يقيم حيطانها من الازقّة والشوارع ، وخرق البيوت والمنازل الى بعضها بعض وجعل لها منافذ خوفاً من هجوم الفرنساوية، لما شاهد من جسارتهم القويّة. وكانت الفرنساوية لم تكلّ عن الهجمات على الاسوار والوصول الى الجدار ، ولم يبالوا بذلك العمار ، ولا يخشو قصر الاعمار وهلاكهم في هذه الديار. بل هامّين الى العزّ والانتصار ، وقهر احمد باشا الجزّار ، وتملّكهم على هذه الاقطار. واذ كان اعداءهم الانكليز ، الذين قد اهلكوا عمارتهم على البواغيظ ، واسعف عليهم ذلك العزيز ، والقاهم في تيّار التغلّب والتعجيز. فلذلك اظهرت الفرنساويّة انواع العجايب ، في هذه المعامع والمواقع ، التي تُذكر جيلاً بعد جيل، اذ لم يكن لها مثيل. وقد مات في هذه المواقع الجنرال كفريل[٧] المهندس الكبير والعالم الخبير والشهم الشهير ،

---

(١) تسلم الشيخ ضاهر العمر ولاية عكا طيلة ربع قرن (١٧٥٠ـ ١٧٧٥)، وكان قد بدأ طموحه السياسي بجيش صغير من الصفديين (اهالي صفد التي حكمها في بدء حياته السياسية خلفا لوالده الشيخ عمر الزيداني)، ثم صار جيشه يكبر ورقعة حكمة نتسع شيئا فشيئا ، فأخذ طبريا (عام ١٧٣٧)، ثم ضم اليه عكا (عام ١٧٥٠) حيث اصبح والبا عليها ، وتحالف مع علي بك الكبير حاكم مصر ومع العامليين ، وحارب العثمانيين في صيدا (عام ١٧٧١)، وظل حاكما لولاية عكا حتى وفاته ١٧٧٥، حيث خلفه عليها احمد باشا الجزّار الذي اضطهد اولاد ضاهر العمر بعد وفاة والدهم ، فتحالفوا مع بونابرت ضده.

(٢) رجلا.

(٣) مخازن.

(٤) الذرة.

(٥) الغرارة : الجوالق ، وهو عدل كبير منسوج من صوف او شَعر يوضع فيه التبن ونحوه ، والغرارة ، في المكيلات ، اثنا عشر كيلا ، والكيل : ستة أمداد (محيط المحيط)، فتكون الغرارة اثنين وسبعين مدا.

(٦) شوال ١٢١٣هـ. الموافق لشهر آذار ١٧٩٩م. وتباين : ظهر.

(٧) الجنرال كافاريلّي Cafarelli وقد مرّ ذكره.

لان هذا البطل المهول قد تقرّر عنه القول انه كان برجل واحدة، والاخرى كان مُلبّسها خشب. وكانت اهل مصر تدعيه[١] الجنرال ابو خشبة. فهذا المذكور اصابته كلّة فى كتفه، واخذت الجرايحية يداونه[٢]، فسألهم: هل الجرح يطول ليبرأ؟ فاجابوه: انه يحتاج الى مدّة طويلة، واما إذا قُطعت اليد من الكتف فبروءه قريب. فاجابهم: اقطعوا يدى ودعونى انهض الى تكميل خدمة المشيخة[٣]، ثم قطعوا يده من كتفه. واذ كان هذا الجنرال لا يمكنه الكنون[٤] والسكون حتّى يختم جرحه، طفق يدور على المتاريس ليدبّر الطبجية، ويدلّهم على الاماكن التى تضرب عليها المدافع والقنابر. فمن الشمس والهوا ورم عليه جرحه ومات وعدمت المشيخة مهندساً عظيماً ومدبّراً عليماً. وفى هذه المواقع مات الجنرال بون[٥]، فهذا البطل تعلّق على السور وحدف[٦] البرنيطة الى داخل البلد، وكان من الشجعان الشداد. وقد ارتعشت عساكر عكّا ذلك النهار من فعل ذلك البطل المغوار، وبقوا يضعون اللحف بالزيت والقطران ويحدفوها على الاسوار بعد ما يشعلوه بالنار، ويضربوهم بالقنابر والمدافع الكبار، وهم لا ينكفوا[٧] عن طلوع الاسوار والرصاص عليهم متل سيل الامطار، ويرموهم ايضاً من الاسطِحة بالحجار الكبار. وهذا الجنرال اصابته حجر فى راسه وهو متعلّق على السور، فسقط وحملوه العسكر ومات، وشرب شراب الافات.

[ذكر تخلي بونابرت عن حصار عكا وعودته إلى مصر]

ثم بعد هجمات كتيرة وحروب خطيرة، وتعب شديد وهول مكيد، عزم امير الجيوش على القيام عن مدينة عكّا العسيرة، لعلّة خطيرة واسباب كثيرة، وهو انه: اوّلاً ان ورد مركب صغير من بلاد خرسان[٨] الى الاسكندرية، وفيه رجل من مدينة باريس، ومعه مكاتيب الى بونابرته من بعض رؤساء المشيخة المحبّين له، يخبّروه ان رؤساء المشيخة ارفاقه[٩] الكبار مخامرين[١٠] عليه، وقد

---

(١) تسمية، تدعوه.
(٢) واخذ الجراحون يداوونه.
(٣) الجمهورية.
(٤) الاستكانة.
(٥) الجنرال بون bon.
(٦) رمى.
(٧) لا يكفّوا.
(٨) يذهب اينيه، في ترجمته، الى ان (خرسان) هي جزيرة (كورسيكا) (Aine, op cit. PP. 284 - 285). ونحن نذهب مذهبه، حيث اغلب الظن ان حامل البريد قد اتى من باريس الى كورسيكا فالاسكندرية، خاصة وانه لا علاقة (لخراسان) بموضوع البحث اطلاقا.
(٩) رفاقه.
(١٠) متآمرون.

منعوا عنه الامداد ليهلك فى هذه البلاد. وايضاً ان الانكليز قد اخذت منهم كلّما اكتسبوه من الاقاليم، وهيجّوا ملوك الافرنج عليهم. وان لم يحضر اليهم سريع [1] والاّ يذهب تعبهم ويضيع. فهذه المكاتيب التى حضرت من بعض رؤساء المشيخة. وايضاً اتتهم الاخبـار ان العمارة [2] العثمانيـة العظيمة قد تجهّزت، وقريباً تصل الى الديار المصرية، وسرعسكرها مصطفى باشا كوسا. وايضاً اتتهم الاخبار ان العمارة المسكوبية [3] حاصرت جزيرة كورفو [4] من اعمال البندقية، وقد أخرجت منها الفرنساوية. ولما علم امير الجيوش بتلك الاخبار، وان العالم كلّه نهض ضدّه، وانه صار مضطراً ان يحارب جميع المسكونة بهذا الجيش القليل. وقلب ذلك البطل الشديد اقوى من الحديد. فما اراعته الاهوال ولا اعتراه الانذهال، ولا تغيّرت منه الاحوال، ولا التوى عنانه ولا تزعزع جنانه. بل اخفى الكمد واظهر الجلد، ثم ارسل احضر الجنرال كليبر من الناصرة، وامره ان يهجم الهجمة الاخرة. فعند ذلك نهض هذا البطل المذكور، واظهر حربه المشهور، وقرع طبول الحرب، وتقدم الى الكون والضرب. وكان يوماً اعظم الايّام، وحرب [5] يشيب منه رأس العلام. وهاج ذلك الجنرال هيجان الاسد الاذرع [6]، الذى لا يهاب الموت ولا منه يفزع. واندفقت عليهم الكلل والقنابر، برّاً وبحراً على هولاء العساكر، اندفاق البحور الزواخر. واتّقدت عليهم النيران، واظلم الجو من الدخان. واستدّت المسامع من صوت المدافع، واشتدّت المعامع. وقفزت الفرنساوية الاسوار ودخلوا الى الجامع. وكانت ساعة من ساعات القيامة وحرباً لم يكن فيه سلامـة، ويـوم [7] غريب الاحوال شديد الاهوال عظيم الوبال، تشيب من هوله الاطفال، وترتعب من ذكره صناديد الرجال. وتبادرت [8] العساكر الذين فى المدينة، والمراكب التى فى الميناء، بالحراقة والنيران، بالزيت والقطران، وجادوا بالكلل والرصاص والقنابر والقواص [9]، وبالضجيج العظيم والصراخ الذميم. وارتدّت الفرنساوية بحمية عن ذلك الشرّ والنكد، بعد ما كانوا دخلوا البلد المحمية، وخطفوا طاسات النحاس الاصفر فى سبيل [10] الجامع المشتهر. وخرجـوا مـن المدينـة كـاسبين،

---

(١) سريعا.

(٢) الاسطول.

(٣) الاسطول الروسي.

(٤) جزيرة كورفو Corfou وقد مرّ ذكرها.

(٥) وحربا.

(٦) الأذرّع، لغة: الافصح، والاسرع، وتأتي هنا بمعنى: الاشجع.

(٧) ويوماً.

(٨) تبادر، اي بادر كل منهم بالضرب تجاه الآخر.

(٩) اطلاق النار.

(١٠) السبيل: ماء جارية في باحة الجامع أو أي مكان آخر يشرب منها المارة وابناء السبيل.

وبقى منهم فى الجامع مابة وعشرين . وكانوا قد انشغلوا فى القتال الى ان حالت [1] عليهم الرجال، وبد[أ]وا يحاربون وعن ارواحهم يدافعون. فتراكمت عليهم العساكر كالبحور الزواخر، وقد ايقنوا بالموت والاقتناص، وفرغ بارودهم والرصاص. وعند ذلك بادر اليهم الكومنضا [2] سميت سارى عسكر الانكليز، وطفق يكلّمهم بالفرنساوية كلام حريز، وان المشيخة ما ارسلوا رئيسكم الى هذه المماليك الآ ليرموه فى بحر المهالك، وها نحن رابطين عليكم البواغيظ، ولا ندع ان يجيكم لا كثير ولا وجيز [3]. وقد بقيتم مسجونين فى هذه البلاد، وانقطع عنكم الاسعاف والامداد. وجميع المالك ضدّكم، مجاهدين على عدمكم [4]. فكفاكم تهلكون نفوسهم، وتطيعون هوى رئيسكم. فاطلبوا الاقالة من هذه الحروب، والخلاص من هذه المصايب والخطوب. ونحن نضمن لكم الوصول بالسلام والامان الى ارضكم والاوطان. ولما سمعوا ذلك الكلام سلّموا له واخذهم بامان [5]. بامان.

واما امير الجيوش حين نظر ان ليس فى ذلك الحرب محصول، والدخول الى عكّا بعيد الوصول. وقد فهم ان الصلدات صاروا ينفرون من الهجوم والمصادرة، ويطلبون الرجوع الى القاهرة. وان قد مات ثلاثة الاف وخمسماية صلدات على اسوار عكّا. ومات فى الطاعون وعلى الطرقات ما ينيف [6] عن الف صلدات. ومع ذلك [7] المخاوف التى قضوها والبلايا التى ذاقوها. وهم لم يزالوا فى طاعة غريبة ومحبّة عجيبة الى امير الجيوش. اذا كان عندهم كالاه [8] يخضعون الى امره، ويصبرون على مرّه وحرّه. ملازمين على حمده وشكره.

وفى احد عشر يوم من ذى الحجة سنة ١٢١٣ [9] امر امير الجيوش بالقيام بجميع المضارب والخيام، وانتقل الى مدينة حيفا، وكان فيها عدّة حواصل قطن الجزّار، فامر بحرق الجميع. ومن هناك ساروا الى مدينة يافا، فاخذوا ما كان لهم من الامتعة والمدافع الكبار ودفنوها فى

---

(١) تحولت.
(٢) القومندان سمبث.
(٣) اي لا ندعكم تنالون الكثير او القليل من هذه البلاد.
(٤) اي ساعون لافنائكم.
(٥) الاصح = وأخذهم الامان.
(٦) ينوف: يزيد.
(٧) اضافة الى ذلك.
(٨) كإله.
(٩) الموافق ليوم ١٦ ايار / ١٧٩٩ (بدء شهر ذي الحجة عام ١٢١٣هـ. هو يوم ٦ أيار / مايو ١٧٩٩).

الارمال[1]. وقد كانوا اخذين من العساكر العثمانية اربعة الاف بندقية، فارموها فى البحر واحرقوا المراكب التى كانوا اخذوها من الاسلام. واخذوا الذين فيها اسارى، وكانوا نحو ثلثماية نفر. فامر امير الجيوش ان يصنعوا اخشاباً كالنعوش، ويضعوا عليها المجرّحين والمشوّشين[2]. وكل اربع انفار من هولاء المـاسورين يحملوا على اكتافهم خشبة ويمشوا امام العسكر. وقبضوا على السيّد يحيي مفتى مدينة يافا، واربعة انفار من التجار، واخذهم صحبته. ونهض من مدينة يافا الى غزّة، وكان الجنرال القايم بها قبض على خمسة انفار من التجار فى البلد، وطلب منهم جانب[3] من المال. ثم سار امير الجيوش الى قلعة العريش، وهناك وضع المشوّشين والمجروحين. وامر الجنرال كليبر ان يسرى على قطية بعساكره الى مدينة دمياط. وسار امير الجيوش بباقى العسكر الى مدينة القاهرة، وامامه اوليك الاسرى ماشيين. ووصل الى العادلة بالقرب من مدينة بلبيس[4]، وارسـل اخبر القيمقام الجنرال دوكا بقدومه، فخرج المشار اليه مع شيخ البلد وساير الجنرالية، والعساكر وعلماء البلد والحكّام والاعيان وارباب الديوان والاوجاقات، واقبلوا عليه وهنّوه بقدومه. وبعد الجلوس قال لهم: لقد بلغنى ان بعض المفسدين والاعداء الكاذبين قد اشاعوا عنى الاخبار اننى قد متّ في تلك الديار، فامعنوا النظر بى لتتحقّقوا الخبر. وانظروا هل ان بونابرته مات ام بعده فى الحياة، وقولوا للمفسدين [أن] لا يتأمّلوا بهذا الامل. [فإن] بونابرته قد جاء سالماً غانماً باذن المالـك العزيز، ولم يمت حتّى يدوس جميع المماليك. فاجابوه: لا باس على امير الجيوش. لقد كذب كل من قال [ذلك] اطال الله لنا بقاك، ولا شمت بك اعداءك، وجعلنا مـن الدنيـا فـداك. وبـالحقيقـة كانت شاعت عنه تلك الاخبار، وفرحت اهل تلك الديار. ثم دخل مصر بموكب شهير، ورآه الكبير والصغير. ومشت امامه جميع العساكر الفرنساوية، وحكّام واعيان وعلماء واغاوات مدينة مصر المحمية. ودخل من باب النصر، بالعزّ والنصر، نهار الجمعة عـاشر يـوم مـن شهـر محرّم الحرام افتتاح سنة ١٢١٤[5]. وكان يوما عظيماً، وموكباً جسيما. وحينما ولج بمنزله الكـايـن على بـركـة اليزبكية، كتب فرماناً باللغة الفرنساوية، وارسله الى ديوان العلماء، وامرهم ان يترجّموه الى اللغة العربية، خطاباً من علماء الديوان الى ساير الاقاليم المصرية. ويطبعوه فى اللغة العربية، ويعلّقوه على شوارع القاهرة، ويفرّقوه على جميع الاقاليم العامرة.

---

(١) الرمال.

(٢) ربما يعني: المشوهين.

(٣) جانباً = بعضاً.

(٤) بلبيس، بكسر الباءين، وهي مدينة مصرية قديمة كانت تقع على بعد عشرة فراسخ عن فسطاط مصر على طريق الشام.

(٥) الموافق ليوم ١٤ حزيران / يونيو ١٧٩٩.

وهذه هي صورة ذلك الفرمان

من محفل الديوان الخصوصي بمصر المحروسة، خطاباً الى اقاليم مصر الشرقية والغربية والمنوفية والقليوبية والجيزة والبحرية. النصيحة من الايمان، قال الله تعالى في مُحكَم القرآن. فلا تتبعوا خطوات الشيطان. وقال تعالى: لا تطيعوا امر المسرفين الذين يفسدون في الارض ولا يصلحون. فعلى العاقل ان يدبّر الامور قبل وقوع المحذور. نخبّركم، يا معشر المؤمنين، انكم لا تسمعوا كلام الكذّابين، فتصبحوا على ما فعلتم نادمين. وقد حضر الى محروسة مصر المحمية، امير الجيوش الفرنساوية، حضرة بونابرته محبّ الملّة المحمدية. ونزل بعسكر في العادلية، سليماً من العطب والاسقام، شاكراً لله موحداً للملك العلاّم. ودخل الى مصر، من باب النصر، يوم الجمعة عاشر محرّم سنة ١٢١٤ من هجرته عليه السلام، في موكب كبير عظيم، بشنّك [١] جليل فخيم، وعسكر كثير جسيم، وصحبته العلماء الازهرية، والسادات البكرية والعنانية، والدامورشية والخضوية والاحمدية والرفاعية والقادرية، والاوجاقات السبعية السلطانية [٢]، وارباب الاقلام الديوانية، واعيان التجار المصرية. وكان يوماً مشهوراً عظيماً لم يقع نظيره في المواكب السابقة قديماً. وخرجت سكّان مصر جميعاً لملاقاته، فوجدوه هو الامير الاوّل بونابرته بذاته وصفاته. واظهر لهم ان الناس يكذبون عليه. وشرح الله صدره للاسلام ونظر الله بعين لطفه اليه. والذين اشاعوا عنه هذه الاخبار الكاذبة، العربان الفاجرة والغزّ الهاربة، ومرادهم بهذه الاشاعة هلاك الرعيّة، وتدمير اهل الملّة الاسلامية، وتعطيل الاموال الديوانية، ولا يحبّون راحة العباد. قد ازال الله دولتهم من شدّة ظلمهم.

وقد بلغنا ان الالفي توجّه الى الشرقية مع بعض المجرمين من العربان والقبايل الفَجرة المفسدين، يسعون في الارض بالفساد وينهبون اموال المسلمين، ان ربّك بالمرصاد. ويزوّرون على الفلاحين مكاتيب كاذبة. ويدّعون ان عساكر السلطان حاضرة. والحال ليس لها تحضير، فلا اصل لهذا الخبر، ولا صحة له ولا اثر. وانما مرادهم وقوع الناس في الهلاك والضرر. مثلما كان يفعل ابراهيم بيك في غزّة، حين كان يرسل فرمانات بالكذب والبهتان، ويدعي انها من طرف السلطان. ويصدّقوه اهل الارياف خُسَفاء [٣] العقول، ولا يعتبرون بالعواقب فيقعون في المصايب. واهل الصعيد طردوا الغزّ من بلادهم خوفاً على انفسهم وهلاك اعيالهم واولادهم. فان المجرم يوخذ من الجيران. وقد غضب الله على الظَّلَمه ونعوذ بالله عن غضب الديّان. فكانوا اهل الصعيد

---

(١) شنّك: من العامية، وهي الدفعات المتتالية من اطلاق النار، ابتهاجا. مصدرها تركي: شُنْلك وتعني: الفرح العام. وقد مرّ شرحها.

(٢) الاودجاقات السبعة السلطانية، وقد مرّ ذكرها.

(٣) سخفاء.

احسن عقولاً من اهل البحرى، بسبب هذا الرأى السديد. ونخبـركم ان احمد باشا الجزّار سمّـوه الاسم لكثرة قتله الانفس، ولا يفرق بين الاخيار والاشرار. وقد جمع طموش[1] كثيرة من عساكر العثمانية، ومن الغزّ والعرب واسافل العريش. وكان مراده الاستيلاء على مصر واقليمها، واحبّوا اجتماعهم عليه لاخذ اموالها وهتك حريمها. لكن لم تساعده الاقدار، والله يفعل ما يشاء ويختار. وألطافه خفية والكلام على صفو النية. وقد كان ارسل بعض هذه العساكر الى قلعة العريش، ومراده يصل الى قطية. فتوجّه سارى عسكر امير الجيوش الفرنساوية بونابرته، وكسر عساكر الجزّار الذين كانوا فى العريش، ونادوا الفرار الفرار، بعد ما حلّ باكثرهم القتل والدمار. وكانوا نحو تلثين الف[2]. وملك قلعة العريش، واخذوا ما فيها من ذخاير الجزّار بلا خلاف. ثم توجّه السرعسكر الى غزّة فهرب من كان فيها من عسكر الجزّار، وفرّوا منه كما يفرّ من الهرّة العصفور. ولما دخل قلعة غزّة نادى فى رعيّتها بالامان، وامر باقامة العشاير الاسلامية، واكرام العلماء والتجار والاعيان. ثم انتقل الى الرملة، واخذ ما فيها من ذخاير الجزّار من بقسماط ورزّ وشعير وقرب، اكثر من الفين قربة عظام كبار، كان جهّزها الجزّار لذهابه الى مصر ولكن لم تساعده الاقدار. ثم توجّه الى يافا وحاصرها ثلثة ايّام، ثم اخذها واخذ ما فيها من ذخاير الجزّار بالتمام. ولنحوسة[3] اهلها انهم لم يرضوا بامانه، ولم يدخلوا تحت طاعته وسلطانه وشمول احسانه. فدّور فيهم ضرب السيف من شدّة غيظه وقوّة سلطانة، وقتل منهم نحو اربعة الاف ويزيد بعد ما هدم سورها بفعل الله الذى يقول للشيء كن فيكون. واكرم من كان فيها من اهالى مصر واطعمتهم وكساهم، وانزلهم فى المراكب، وغفّرهم[4] بعساكر خوفاً من العربان. واجزل عطاياه. وكان فى يافا نحو خمسة الاف من عسكر الجزّار فهلكوا جميعاً وبعضهم ما غاطاهم[5] الاّ الفرار.

ثم توجّه من يافا الى جبل نابلوس، فكسر من كان فيه من العساكر بمكان يقال له قاقون[6]، وحرق خمس قرايا من بلادها، وما قدّره سبحانه فيكون. ثم اخرب سور عكّا، وهدم قلعة الجزّار التى كانت حصينة، ولم يبق فيها حجر على حجر. حتى انه كان قد بنا[7] حصاراتها وشيّد اسوارها

(١) طموش = مفردها طمش، اي الناس، وجمع طموشاً = اي جمع اناسا (وقد مرّ معنا ذلك).
(٢) نحو ثلاثين الفا.
(٣) نحس اهلها وسوء حظهم.
(٤) اي جعل عليهم خفراء (حراسا) يحرسونهم من غارات العربان.
(٥) كلمة لم نجد لها تفسيرا، وربما تكون «غطّاهم» اي حماهم أو أنقذهم.
(٦) حصن بفلسطين قرب الرملة، وقد مرّ ذكره.
(٧) بنى.

في نحو عشرين سنة، وظلم في بنايها [١] عباد الله، وكذا عاقبة الظالمين. ولما توجّهت اليه اهل بلاد الجزّار من كل ناحية، كسرهم كسرة شنيعة، فهل ترى لهم من باقية. ونزل عليهم صاعقة من السماء، فان قال اهل الشام كما قلنا [٢].

ثم توجّه راجعاً الى مصر المحروسة لاجل سببين: الاوّل: انه اوعدنا برجوعه الينا باربعة اشهر والوعد عند الحرّ دين. والسبب الثاني: انه بلغه ان بعض المفسدين من الغزّ والعربان يحركون في غيابه الفتن والشرور في بعض الاقاليم والبلدان، فلما حضر سكنت الفتنة وزالت الشرور مثل زوال الغيم عند شروق الشمس وسط النهار. فان همّته العلية واخلاقه المرضية متوجّه، في البكرة والعشية، لا زالت[٣] الفجور والشرور من الرعيّة. [أ]وجد لمصر واقليمها شيء عجيب [٤]، ورغبته في الخير لاهلها ونيلها بفكره وتدبيره العجيب. يحبّ الخير لاهل الخير والطاعة، ويرغب ان يجعل فيها احسن التحف والصناعة. ولما حضر من الشام احضر معه جملة اساري من خاصّ وعامّ، وجملة مدافع وبيارق اغتنمها في الحروب من الاعداء الاخصام. فالويل ثم الويل لمن عاداه، والخير ثم الخير لمن والاه. فسلّموا يا عباد الله لقضاء الله، وارضوا بتقدير الله، فان الارض لله. واقتبلوا احكام الله فان الملك لله يوتيه [٥] لمن يشاء من عباده. هذا هو الايمان بالله. ولا تسعوا في سفك دماكم وهتك اعيالكم، ولا تسبّبوا في قتل اولادكم ونهب اموالكم. ولا تقولوا ان الفتنة اعلا[ء] كلمة حاشا الله لم يكن فيها الاّ الخذلان وقتل الانفس وذلّ امّه النبي عليه السلام. والغزّ والعربان يطغوكم ويغرّوكم لاجل ان ينهبوكم، اذا كانوا في بلد وقدمت عليها الفرنساوية ففرّوا هاربين منهم كانهم جنود ابليس.

ولما حضر الساري عسكر الى مصر، أخبر اهل الديوان من خاصّ وعامّ انه يحبّ دين الاسلام، ويعظّم النبيّ عليه السلام، ويحترم القرآن ويقرا به كل يوم باتّقان. وامر باقامة شعاير المساجد الاسلامية، واجراء خيرات الاوقاف السلطانية، وسلّم عوايد [٦] الاوجاقية، وسعى في حصول اقوات الرعيّة. فانظروا هذه الالطاف والمزية، ببركة نبيّنا اشرف البراية. واوعدنا بامرين عظيمين في الاسلام: انه يبنى لنا مسجداً عظيماً بمصر لا نظير له في الاقطار، وانه يدخل في دين النبيّ المختار

---

(١) بنائها.

(٢) جملة غير واضحة، وهي تعني ان عسكر الجزّار توجه نحو بونابرت من كل ناحية، فكسرهم كسرة شنيعة، ولم تبق لهم باقية، كأنما نزلت عليهم صاعقة من السماء، ويؤكد اهل الشام قولنا هذا.

(٣) لازالة.

(٤) اوجد لمصر واقليمها شيئا عجيبا.

(٥) يؤتيه من يشاء.

(٦) عوايد = عادات وتقاليد، اي انه حافظ على عادات الاودجاقات الانكشارية وتقاليدها.

عليه افضل الصلوة والسلام ختام.

ثم وضعوا امضاهم كما مذكور قبل وهم العلماء المصرية والاغاوات والاعيان الاوجاقية.

وقد طبع هذا الفرمان ووزّعه على الاقاليم المصرية. وكان ما ذكر في هذا الفرمان عنه قصده لتهذيب اخلاقهم، وتليين اعناقهم، وترقيد الفتن والمشاجرات وعدم المناكرات. اذ كان عارفاً ما يورد عليهم من الحادثات. وانه مضطرٌ الى الرحيل لما قد بلغه عن قيام المالـك. وانه سيترك الفرنساوية بمصر بكل ضيق وحصر. فلذلك كان يودّ المسلمين ويظهر لهم الحبّ اليقين، ويشهـد لهم بحسن الدين، وانه واياهم على الحق المبين. وهم كانوا لهذا الكلام غير محقّقين. وان كل ذلك خداع ونفاق وابتداع، فكانوا غير مطمأنين. هذه وهو غير فاتر عن مسألتهم، وجذب قلوبهم ومؤانستهم. وكان يباحثهم بامور الدين، ويريهم انهم على الحق اليقين. وكان مملوءاً من الحكمة والعلوم. وقيل انه كان يعلم بامور القلم الفلكي، اذ انه كان يتفوّه بامور تحدث في ميقاتها قبل اوقاتها. ويقول هو المنصوص على طهوره فلا ينتظروا احداً بعده. وهو الذي يملا الارض عدلاً. وقد حدّق كثيرون منهم أنه هو المهدي. ولم تتغيّر عليهم سوى الملابس الافرنجية، فلو جاء بالفرجية لا منت به الرعيّة.

وقد كنّا ذكرنا كلما جرى للفرنساوية في ابتداء دخول[١] الى الديار المصرية في نصف شهر محرّم افتتاح سنة ١٢١٤، وما قضوا من المكافحات والجهاد والشرور والفساد. وقد مات منهم جمع غفير، وكابدوا تعباً كثيراً. واعداءهم الانكليز رابطين عليهم البواغيظ. ونفور البلاد العربية وعدم ميلهم عليهم، ووصول الاذية اليهم. لان اهالي البلاد قتلوا منهم اناساً كثيرين بالانفراد، وكانوا يدخلونهم الى منازلهم بالامان ويقتلونهم ويخفونهم. وكانت الفرنساوية قلوبهم مطأنة[٢] من قبل الاسلام، ولا ينقلون السلاح الآ في وقت الحرب والكفاح. وكانت نساء مصر وخوارجها[٣] كثيرة، فكانوا ياخذون الفرنساوية الى منازلهم الزاماً، ويقتلونهم ويرمونهم في الابيار، ويخفون منهم الاثار. وقد فقد منهم كثيرون بهذه الوسايط والانكاد[٤]، ووقع كثير منهم في علّة الجدام[٥]

(١) دخولهم.

(٢) مطمئنة.

(٣) النساء الخوارج: النساء الناشزات.

(٤) من النكد = اي الشدة والعسر، والإنكاد هنا بمعنى المكائد.

(٥) الجذام. علة رديئة تنتشر في البدن كله فتفسد مزاج الاعضاء وهيئتها، وغالبا ما تحدث عُجَراً (تورماً وتصخماً) في الوجه وتمرّطاً في شعر الاجفان، وتنتهي الى تآكل الاعضاء وسقوطها من شدة التقرّح. ويقال لهذا العلّة: داء الاسد، لهجومها على صاحبها هجوم الاسد على فريسته (محيط المحيط). والبرص من مقدماته.

من ذلك الفساد. وذلك المرض وجوده كثير فى تلك البلاد. وقد مات من الفرنساوية، من ابتـدا[٤] دخولهم الى الديار المصرية، الى حين رجوعهم من الديار الشامية، ما ينوف عن خمسة عشر الفاً. وقلّ عددهم ولكن لم يضعف جلدهم. وكانوا، مع كلّ تلك الاحوال والبلاء والنكـال[١]، ما ازدادوا إلاّ قوةً وباس وصعوبةً ومراس[٢]، وحسـن الشيم والعطـا والكـرم. وكثر في زمـانهم، في تلك الاقاليم، الرخص والخير العميم، وعدم الظلم والعدوان، واظهار العدل والايمان.

وكان، بعد رجوع امير الجيوش الى مصر، قد هرب القاضى وترك اعياله[٣] فى البلد، فامر ان يـرفعوا ولده الى القلعة، ويختموا على جميع ارزاقه. فاجتمعت العلماء وارباب الديوان، وكتبوا عرض حال يترجّوا امير الجيوش بذلك الحال، وطلق[٤] ولده من القلعة، ورفع الضبط عن المال والعيال، فقبل سؤالهم وارثى لحالهم، واطلق الولد بشرط ان لا يقيم فى البلد، وصرّفه فى ماله واعياله. ثم انه احضر شيخ العريش، والبسه فرواً فاخراً ثميناً، واقامه قاضياً اميناً.

وفى شهر محرّم الحرام افتتاح سنة ١٢١٤[٥]، ظهر فى اراضى البحيرة، عند دمنهور، رجل مغربي، وقيل انه سلطان الغرب[٦] فجمع من المغاربة والهواره والعربان والفلاّحين جمعاً عزيـزاً[٧]، وقطع الطرقات. فبلغ خبره الى حاكم الاسكندرية، فارسل اليه شرذمة من عسكر الفرنساوية وكبسوا عليه. وانتشر بينهم القتال، فانهزم ذلك المغربى بعسكره فى البرارى والتلال، ولم تزل الفرنساوية فى اثارهم حتّى اهلكوا اكثرهم. وكان هذا الرجل يدّعى النبوّة، ويقول إنه حينما يلقى نظره على الكفّار فيتلاشون كالغبار. فكان الأمر [بصدّ][٨] ذلك الاقرار. وقد جرّعوه كـؤوس المهالك وتشتّتت تلك الجموع، ورجعت الفرنساوية بالسكون والهجوع.

[ذكر الحرب بين بونابرت والعساكر العثمانية]

وفى اثنى عشر صفر سنة ١٢١٤ هجرية[٩]، حضر هجان من الاسكندرية بكتابة الى امير

---

(١) النّكال: ما ينال المرء من تنكيل، وما ينزل به من نوازل. وقد جاء في القرآن الكريم: ﴿ان لدينا أنكالا وجحيما﴾ (المزمل ١٢)، والأنكال: مفردها (نكل) وهو القيد الشديد الثقيل.

(٢) قوة وبأسا وصعوبة ومراسا، او: قوة بأسٍ وصعوبة مراس.

(٣) عياله.

(٤) واطلاق.

(٥) الموافق لشهر حزيران / يونيو ١٧٩٩م.

(٦) سلطان المعرب.

(٧) جمعا غريرا.

(٨) وردت في الاصل (بضدّ)، فاقتضى التصحيح.

(٩) الموافق ليوم ١٦ تمور / يوليو ١٧٩٩م.

الجيوش يخبره ان العمارة العثمانية طهرت فى ثغر الاسكندرية ، وعدّتها ثمانون مركباً كباراً وصغاراً . وانهم اذا لم يقدروا [ان] يستقبلوا البوغاظ من الكلل والقنابر الكثير[ة] فتعمّدوا [الذهاب] الى قلعة ابو قير . وكان وصول ذلك الهجان عند الغروب ، وهو على صفرة[1] الماكول والمشروب . فنهض بالحال كالمرعوب ، وامر بحضور الخيل للركوب ، وفرّق الاوامر على الجنرالية ، وامرهم ان يتبعوه بالعساكر الى الرحمانية . وكتب الى الجنرال كليبر ان يحضر من دمياط على طريق البرّ ، ثم ركب من ذلك المحضر بعسكره الخاص الذى يلبس الجوخ الاخضر ، وسار على تلك النيّة حتّى وصل الى اراضى الرحمانية . فاتاه الخبر من الاسكندرية ان المراكب العثمانية ملكت قلعة ابو قير وهربت منها الفرنساوية . وان العساكر ـ بيعاً خرجت الى البريّة ، وبنوا بمساعدة الانكليز متاريس عظيمة في تلك الاقطار ، ووضعوا فوقها المدافع الكبار ، وفرّقوا البيورلديات على جميع تلك الديار . واستنهضوا للقيام الفلاّحين والعربان واهل تلك البلدان ، ولبسوا من مصطفى باشا الاكراك[2] ، وابتهجت الاسلام بورود عسكر الاتراك . وخشى امير الجيوش من قيام العامّة من مصر وغيرها من البلدان ، فكتب فرمان الى علماء مصر وارباب الديوان يخبرهم بورود المراكب وخروج عساكرها الى البّر ، وانهم مراكب النصارى ، ولكن ربّما معهم بعض مسلمين . وتعريفه بذلك استناداً على الفرمان الذى ورد من الدولة العثمانية الى الجزّار والاقطار الشامية ، حيث يقول : قريباً تحضر لكم الضوننما[3] الهمايونية ، مع ضوننما دولة المسكوبية[4] المتّحدة مع دولتنا بالحبّ الصدوقية . ويحضر لكم ايضاً عشرين الفاً مقاتل في البرّ من الدولة القوية ، غير العساكر البحرية ، لاجل طرد الملّة الفرنساوية . وهذا الفرمان قد حضرت صورته الى امير الجيوش ، واطّلع عليه العلماء والاعيان واهل تلك البلدان . ولاجل ذلك حرّر امير الجيوش لهم ذلك الفرمان ، لاجل ترقيد الفتن والهرج ، وان تلك المراكب من النصارى الافرنج .

وهذه صورة الفرمان نقلاً عن المطبعة

من حضرة ساري عسكر امير الجيوش الكبير بونابرته ، خطاباً الى ديوان مصر المحروسة ،

---

(١) على السفره ، اي على مائده الطعام .

(٢) الاكراك : مفردها كَرك ، وهي ، لغة ، اللون الاحمر . ترجمها ابنيه بخلعة الشرف (Pelisses d'hommeur, Aîné, op cit. P. 135) . وغالب الظن ان المؤلف يقصد خلعة الامارة او الولاية التي يخلعها الباشا على من يوليهم الحكم من اتباعه . وربما تكون تلك الخلعة رداء مزركشا باللون الاحمر علامة التباهي والغطرسة .

(٣) الدوننما ، او الدونمانمة ، او الطونانمة : كلمة تركية تعني : الاسطول . وقد عُرف الاسطول المصري في عهد محمد علي وكل من الخديوي عباس وسعيد واسماعيل ، باسم «الدوننمة المصرية» . كما عُرف الاسطول العثماني باسم «الدوننمة الهمايونية» و «الدوننمة السلطانية» .

(٤) الدولة المسكوبية : الدولة الروسية .

اوّله: لا اله الاّ الله محمد رسول الله ﷺ. نخبر حفل علماء الديوان بمصر، المنتخب من احسنهم واكملهم في العقل والتدبير، عليهم سلام الله ورحمته وبركاته. بعد مزيد السلام عليكم وكثرة الاشواق اليكم، نخبركم، يا اهل الديوان المكرّمين، اننا وضعنا جماعة من عسكرنا بجبل الطونا [1]، وبعد ذلك سرنا الى اقليم بحيرية [2]، لاجل ما نردّ [3] راحة الرعايا المساكين، واقاصص [4] اعداءنا المحاربين. وقد وصلنا في السلامة الى الرحمانية،وعفونا عفواً عموميًا عن كلّ اهل البحرية. حتّى صار اهل الاقاليم في راحة تامّة ونعمة عامّة. وسكنت الفتنة واطمأنت. ثم نخبركم انه وصل ثمانون مركباً، صغاراً وكباراً، حتّى ظهروا بثغر الاسكندرية، وقصدوا ان يدخلوها فلم يمكنهم الدخول لكثرة كلل والمدافع النازلة عليهم. فرحلوا عنها وتوجّهوا إلى ناحية ابوقير، وابتدوا ينزلوا في برّ ابوقير. وانا الان تركتهم وقصدي انهم يتكاملوا الجميع في البرّ، وانزل عليهم واقتل من لا يطيع، واخلّى في الحيوة الطايعين، واتيكم بهم محبوسين، لاجل ان يكون في ذلك شان عظيم في مدينة مصر. والسبب في مجئ هده العمارة الى هذا الطرف، العشم [5] بالاجتماع على المماليك والعربان لاجل نهب البلاد وخراب الاقليم المصري. وفي هذه العمارة خلق كثير من الموسكوب الافرنج الذين كراهتهم ظاهرة لكلّ من كان موحّد الله،وعداوتهم واضحة لمن كان يؤمن برسول الله. يكرهون الاسلام ولا يحترمون القرآن. وهم، نظراً الى كفرهم في معتقدهم، يجعلون الالهة ثلثة [6]، وان الله ثالث تلك الثلاثة، تعالى الله عن الشرك. ولكن عن قريب يظهر لهم ان الثلثة لا تعطى القوّة، وان كثرة الالهة لا تنفع لانّها باطلة. بل ان الله الواحد هو الذي يعطي النصرة لمن يوحّده، وهو الرحمن الرحيم المساعد الامين المعين، المقوّى للعادلين الموحّدين، المبعث الماحق رأى الفاسدين المشركين. وقد سبق، في عمله القديم وقضآءه العظيم وتقديره المستقيم، انه اعطاني هذا الاقليم العظيم. وقدّر وحكم بحضوري الى مصر لاجل تغيير الامور الفاسدة وانواع الظلم، وتبديل ذلك بالعدل والراحة مع صلاح الحكم. وبرهان قدرته العظيمة، ووحدانية المستقيمة، انه لم يقدّر [7] ذين يعتقدون ان الله ثلثة قوّة مثل قوّتنا، لانهم ما قدروا ان يعملوا الذي عملناه. ونحن المعتقدون بوحدانية الله، ونعرف انه العزيز القادر القوىّ القاهر المدبّر الكاينات، المحيط علمه بالسماويات والارضيات،

---

(١) جبل في الوجه البحري، بين القاهرة ومحافظة البحيرة.

(٢) اقليم البحيرة: محافظة البحيرة، وعاصمتها دمنهور، في الوجه البحري، شمال مصر.

(٣) لاننا نريد.

(٤) والاقتصاص من.

(٥) العَشَم: الطمع.

(٦) يقصد بذلك الديانة المسيحية التي تؤمن بالتثليث: الأب، والابن، والروح القدس، محاولا، بقوله هـذا، التقرب من المسلمين، موهما اياهم انه اشهر اسلامه، كما ظهر من مختلف خطاباته للمسلمين فى مصر.

(٧) الواضح انها بمعنى: لم يهب (من وَهبَ) وقد ترجمها اينيه (Ainé, op. cit. P. 139) بهذا المعنى.

والقايم بامور المخلوقات. هذا ما في الايات وبالكتب المنزلات. ونخبركم بالمسلمين إن كانوا صحبتهم يكونوا من المغضوبين لمخالفتهم لوصية النبيّ عليه افضل السلام، بسبب اتّفاقهم مع الخارجين الكفرة اللئام. لان اعداء الاسلام لا ينصرون الاسلام. ويا ويل لمن كانت نصرته في اعداء الله. يكون المنتصر كافر[اً] أو يكون مسلّم[1]، فهولاء ساقهم التقدير الى الهلاك والتدمير. وكيف المسلم[2] ان ينزل فى مركب تحت بيراق[3] الصليب، ويسمع في حقّ الله الواحد الاحد الفرد الصمد، من الكفّار كلّ يوم، كلام تجديف واحتقار. ولا شكّ ان هذا المسلم في هذا الحال اقبح من الكافر الاصلي في الضلال.

منكم يا اهل الديوان ان تخبروا بهذا الخبر جميع القرايا والبلدان، لاجل ان يمتنع اهل الفساد من الفتنة بين الرعيّة، في ساير الاقاليم المصرية. لان البلد الذي يحصل فيها الشرّ يحصل لهم الضرر والقصاص. وانصحوهم بحفظ انفسهم من الهلاك، خوفاً عليهم ان نفعل فيهم متلما فعلنا فى اهل دمنهور وغيره من البلاء والشرور، بسبب سلوكهم مسالك القبيحة قاصصناهم. والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

تحريراً في رحمانية يوم الاحد في ١٧ صفر سنة ١٢١٤ [4]
طبع بمطبعة الفرنساوية العربية.

ثم ان امير الجيوش، بعد ان تكامل عنده جيش الفرنساوية، سار من الرحمانية طالب[5] قلعة ابوقير، وحرب[6] ذلك الجمع الغفير والجيش الكثير. وحين فهم ان متاريسهم منيعة عالية، اخذ يدبّر كيفية تملكّها بحسن فطنته السامية. فاحضر الجنرال ميراد الذي كان من القوم الشداد وسارى عسكر الخيالة الجياد، وامره ان يهجم اولاً بالخيل، حتّى اذا اطلقت الاعداء مدافعها فتصيب الخيل وتسلم الرجال، ثم تهجم طوابير المشاة، من اليمين واليسار، على المتاريس، ويملكوها فى الحال. ثم اصطفّت الصفوف ودقّت البوقات[7] والطبول للحرب، [واستعد][8] الفريقان للطعن والضرب. وبرز الجنرال ميراد بالخيل الشداد، وهجم على تلك العساكر بالفرسان الجواسر والليوث الكواسر.

---

(١) او يكون مسلما.
(٢) وكيف للمسلم.
(٣) بيرق = راية.
(٤) الموافق ليوم ٢١ تموز / يوليو ١٧٩٩م.
(٥) طالبا: اي قاصدا.
(٦) وحارب.
(٧) الابواق.
(٨) حذفت (الف) زائدة في آخر كلمة (واستعدّ).

فضربت عليهم المدافع من متاريس الاتراك، فصابت [1] الخيل وتساقطت من على ظهرها الرجال، واكثرهم بلي بالموت والنكال. والذي سلم ما خطر له الموت على بال، بل تقدّم للحرب والقتال. وهجمت العساكر المشاة من اليمين والشمال. وعظمت الاهوال وكثر النكال. وذاقت الاسلام حرب [2] لم يخطر لهم على بال. واخذهم الخوف والانذهال. وايقنوا بالذلّ والوبال. وتملّكت الفرنساوية المتاريسُ وابلوهم بالموت والتعكيس. وحاطوا بالاسلام من كلّ مكان، وابهتوهم بالضرب والطعان، والقطيعة والخذلان.

وحين رأت الاسلام ان ليس [لهم] نجاة، وايسوا من الحيوة [3]، القوا السلاح طمعاً بسلامة الارواح. وطلبوا الامان واختاروا الاسر والهوان. وصارت الفرنساوية تقبض عليهم باليد وهم في عنا[ء] وكدّ. ولم يخلص من تلك القبايل لا فارس ولا راجل. بل اخذتهم الفرنساوية عن اخرهم. فمنهم قتل ومنهم أُسر، ومنهم متّخن بالجراح. وكثير اجساد بلا ارواح. والذي منهم كان هارب لم يقدر يصل الى المراكب. وهجم احد الصلدات على صيوان [4] الوزير مصطفى كوسا باشا وقبض عليه، واراد قتله، فعرّفه بنفسه، بعد ان كان ضربه بالسيف وجرحه بيده، فعفى عنه، واحضره الى قدّام امير الجيوش، فترحّب به، واخرج من جيبه منديل ثمين، وربط يد مصطفى باشا فيه، واجلسه بالقرب منه، واكرمه غاية الاكرام. ثم قبضوا ايضاً على عثمان خواجا، [و]هذا كان متسلّم بزمان الغزّ على مدينة رشيد، ولما حضروا الفرنساوية هرب الى القسطنطينية، وحضر صحبة مصطفى باشا أو حين حضر الى قدّام امير الجيوش وفهم امره، امر بحفظه. وكان [أن] دخلت شردمة من عسكر العثماني الى قلعة ابوقير، ومعهم ابن مصطفى باشا، فامر امير الجيوش ان يضربوا عليه الكلل والقنابر. وبعد اربعة ايّام سلّموا بالامان، وقبضوا على ابن مصطفى باشا واحضروه قدّام امير الجيوش، فامر ان ياخذوه الى خيمة ابوه بكلّ اكرام.

وكان امر امير الجيوش الى المجروحين من تلك العساكر ان ينزلوا بثلاث مراكب ويسافروا الى بلادهم، ويخبروا بحالهم وما جرى عليهم وما نالهم. وابقى الاسارى السالمين تحت الاسر المهين. وغنمت الفرنساوية بهولاء العساكر. اذ لم يخلص منهم احد سوى الذين سافروا مجروحين في

---

(١) فأصابت.

(٢) حربا.

(٣) وييئسوا من الحياة.

(٤) الصّوان، لغة: الوعاء الذي يصان الشيء فيه. الا ان المؤلف استعمل هذه الكلمة بمعنى. الدبوان او الايوان، وهو معنى شائع.

المراكب. وكانت هذه الوقعة في اربعة وعشرين شهر صفر سنة ١٢١٤ [١] وجمعوا اوليك الاسرى، وكانوا نحو ثلثة آلاف الآن، عدا عن تلك المجاريح الذين منّ عليهم امير الجيوش بخلاصهم، وسيّرهم الى أعيالهم. وباقى تلك العساكر افنتهم الفرنساوية بالسيف الباتر والرصاص المتواتر. وكان قد انجرح الجنرال ميراد [Murat] جرحاً بليغاً بحنكه [٢] من رصاص اصابه، فاغتاظ لاجله امير الجيوش غيظاً عظيماً. وقتل الجنرال تركو [Leturc] مع مقدار ثلثماية صلدات. وحين وقعت النصرة على الاسلام، ارسل امير الجيوش يخبر القيمقام في الذى صار وما وقع من الانتصار، فعمل في مصر فرحة عظيمة تلتة ايام، وكتب الى علماء الديوان يخبرهم بهذه البشارة الجليلة الشان.

صورة مكتوب الجنرال دوكا [Dugua] قيمقام امير الجيوش

من حضرة سارى عسكر الجنرال دوكا، قيمقام امير الجيوش بمصر حالاً، الى الاسلام وكافة ارباب الديوان.

بعد السلام عليكم وكثرة الاشواق اليكم، لا يخفاكم انه وصلني خبر صحيح بان العساكر الفرنساوية ملكت قلعة ابوقير فى ١٥ شهر ترميدور الموافق الى شهر صفر سنة ١٢١٤ [٣]. وأنّهم استاسروا فيها تلتة الاف نفر، ومن الجملة مصطفى باشا. وغاية ما وقع ان العمارة التي نزلت فى ابوقير كانت بها عساكر خمسة عشر الف لم يخلص منهم احد، بل الكلّ تلاشوا وهلكوا. ثم اخبركم، عن لسان حضرة السارى عسكر الكبير بونابرته، انكم، في الحال، تُظهرون هذا الخبر بين الخاصّ والعامّ، وتشهروه في الاقاليم المصرية. فانه خبر فيه سرور وفرح. والزمكم انكم تعرّفوني، في الحال، عن اشهار هذا الخبر الفاخر المعتبر. واخبركم ان حضرة السارى عسكر الكبير بونابرته يحضر اليكم عن قريب. والله تعالى يحفظكم. والسلام ختام.

تحريراً في ٢٢ شهر ترميدور سنة السابعة لمشيخة
الفرنساوية الموافقة إلى ٢ ربيع الاول سنة ١٢١٤ [٤]
طبع بمطبعة الفرنساوية العربية بمصر حالاً

---

(١) الموافق ليوم ٢٨ تموز / يوليو ١٧٩٩. الا ان الجبرتي (المصدر السابق، ج ٢: ٢٩٩) يذكر ان وقعة ابيقير جرت ليلة الاربعاء في ٢٠ صفر ١٢١٤هـ. (الموافق لـ ٢٤ تموز ١٧٩٩). ونحن نرجح ما ذكره الجبرتي.

(٢) بفكّه.

(٣) يذكر الجبرتي (م. ن. ص. ن.) ان الفرنسيين استولوا على قلعة ابي قير ليلة الاربعاء في ٢٠ صفر، اي ليلة الوقعة نفسها.

(٤) الموافق ليوم ٤ آب / اغسطس ١٧٩٩م.

واما امير الجيوش بونابرته ، [فقد] نهض بالجيوش من اراضي ابوقير الى الرحمانية ، وارسل عثمان خواجا الى بندر رشيد ، وامر بقتله هناك . وحين تواردت الاخبار الى القاهرة بما جرى على العساكر العثمانية ، فنزل على مسلمين مصر البلية ، وخابت منهم تلك الاملية[1] . وحزنوا حزناً عظيماً ، [إذ][2] كان في املهم ان تملك الاسلام تلك الاقاليم . وفي خامس شهر ربيع اوّل[3] . حضر امير الجيوش الى مصر ، ودخل بالعزّ والنصر . وبليت اعداؤه بالذلّ والقهر . وصحبته مصطفى باشا وولده ماسورين مع جملة الاسارى . وفي ثاني يوم من وصوله ، حضرت لعنده جميع الحكام والعلماء والاعيان وارباب الديوان ، وهنّوه بقدومه وانتصاره فنظر اليهم بعين فراسته واعتباره ، وقد وجدهم في حزن عظيم . وقد بلغه الهرج الذي حدث بغيابه ، وعزمهم عليه في انقلابه ، والكتابات التي اتت اليهم من مصطفى باشا وعثمان خواجا حين حضروا الى ابوقير ، فقال لهم : قد اخذ في منكم العجب ايها العلماء والسادات ، اذ انني اراكم تغتمون وتحزنون من انتصارى . حتى الان ما عرفتم مفداري . وقد خاطبتكم مراراً عديدة ، واخبرتكم باقوال بانني انا مسلم موحّد ، واعظّم النبيّ محمد[اً] واود المسلمين . وانتم الى الان غير مصدّقين . وقد ظننتم ان خطابي هذا اليكم خشيةً منكم ، مع انكم شاهدتم باعينكم وسمعتم باذنكم قوّة بطشي واقتداري ، وحققتم فتوحاتي وانتصارى . فقولي لكم اني احبّ النبيّ محمد[اً] وذلك لانه بطل مثلى ، وظهوره مثل ظهورى ، بل وانا اعظم منه ، اذ انني غزوت اكثر منه . واما لى باقى غزوات غزيرة وانتصارات كثيرة ، سوف تسمعونها باذانكم وتشاهدونها باعيانكم . فلو كنتم عرفتموني لكنتم عبدتموني . وسوف ياتيكم زمان به تذلّون ، وعلى ما فعلتم تندمون ، وعلى ايّامنا تتحسّرون وتبكون . فانا قد بغضت النصارى ولاشيت[4] ديانتهم ، وهدمت معابدهم وقتلت كهنتهم ، وكسرت صلبانهم ورفضت ايمانهم . ومع ذلك اراهم يفرحون لفرحى ويحزنون لحزنى . فهل تريدون ان ارجع نصرانيّا ثانيّا [؟] فاذا رجعت فلا ترون في رجوعى فايدة . فدعوا عنكم هذه الاحوال ، واقتبلوا لامر الله المتعال ، وكونوا فارحين مطمأنين ليحصل لكم النجاح والصلاح . وقد نبهتكم مراراً عديدة ، ونصحتكم نصايح مفيدة . فان كنتم تعرفوها وتذكروها فتربحوا وتنححوا ، وان كنتم رفضتوها تخسرون وتندمون .

ثم انصرفت العلماء وهم منذهلين من هذا الخطاب ، ومتعجّبين كلّ الاعجاب . ولم يقدر أحد [أن]

---

(١) اي خابت آمالهم .

(٢) وردت في الاصل (اذا) فاقتضى التصحيح .

(٣) سنة ١٢١٤هـ. الموافق ليوم ٧ آب / اغسطس ١٧٩٩م. (يبدأ شهر ربيع الاول عام ١٢١٤هـ. يوم السبت الواقع في ٣ آب / اغسطس ١٧٩٩م).

(٤) أنهيت .

يردّ له جواب. واسكن مصطفى باشا وولده وبعض اتباعه في مسكن عظيم، وعيّن لهم المصاريف التي تلزم اليهم. وابتدا يكاتب الدولة العثمانية عن يد مصطفى باشا، ويذكرهم صداقة الفرنساويين القديمة، واتّحادهم مع الدولة العثمانية من اعوام عديدة وايّام مديدة. ويحرِّصهم [1] من باقى الدول الافرنجية، وان الاوفق لهم اقامة الفرنساوية في مصر، وانهم انسب من الغزّ، ويعاهدوا ان يكونوا طايعين والى اوامر الدولة سامعين، وتبقى الخطبة والسكّة [2] كما هي باسم الدولة العثمانية، ويمشي الحج كعادته القديمة، ويدفعوا الاموال المعتادة للخزينة. وارسل مصطفى باشا هذا الخطاب مع احد اتباعه. وابتدا امير الجيوش يدبّر له امر النفوذ الى مدينة باريز، لان التهب فواده من تملّك الانلكيز. وقد ذكرنا ان امير الجيوش بونابرته قد ارسل عثمان خواجا الى مدينة رشيد، وعندما وصل القوه فى السجن، وارسل الجنرال الموجود في رشيد احضر عدّة شهود اسلام، واستشهدهم قدام الديوان الخصوصي. فشهدوا له قدّام القاضي والمفتى ان عثمان خواجا، في ايّام مراد بيك، كان رجل ظالم، وهو الان مستوجب الموت. واخرج فتوى من جميع الاعيان، وامر ان يطوفوا به المدينة ويقتلوه. وارسل الفتوى الى جميع الاقاليم المصرية ليعلّمهم بقتله.

وهذه هى صورة الفتوى، حكم الشرع الشريف، الذى صدر من محكمة رشيد، دام جلالها، على عثمان خواجا. خطاباً الى حضرة الجنرال الحاكم فى البلد المذكورة، مؤرخ باربعة وعشرين من شهر ترميدور. سنة السبعة من اقامة الجمهور الفرنساوى، يعنى فى الثامن من ربيع الاوّل سنة ١٢١٤ [3].

وصلنا مكاتيبكم بالامر اننا نستخبر ونكشف عن جميع الاعمال التي حدثت من طرف عثمان خواجا كرولى، وننظر إن كان حصل منه الشرّ اكثر من الخير. وبموجب هذا الامر، بحضور حضرة سيدنا شيخ الاسلام العالم المتورع الشريف احمد الخضارى مفتى حنفى، ونقيب الاشراف المكرّم المحترم الشريف بدوى، وقدوة الاعيان الحاجّ احمد اغا السلحدار، والمكرّم على شاوش كتخدا، وقدوة التجّار احمد شحال، والمكرّم سليم اغا، والمكرّم ابراهيم الجمال، والشريف على الجمانى، والشيخ مصطفى طاهر، والشريف ابراهيم، سعيد، والمكرّم محمد القادم، والحاجى باشي سليمان، وبحضور جماعة المسلمين خلاف المذكورين اعلاه. ثم حضر رمضان حمودى، ومصطفى الجبّار، واحمد شاوش، وعبد الله والحاجّ حسن ابو جوده، والحاجّ بدوى المقرالى، وعلى ابو زرازى، وبدوى دياب، وحسن عرب. وثبت، من اقرارهم ومن شهاداتهم، ان عثمان الخواجا

---

(١) يحذرهم.

(٢) صك العملة، او سكّها = ضربها. والسكّي: الدينار.

(٣) الموافق ليوم ١٠ آب / اغسطس ١٧٩٩ م.

المذكور كان ظلمهم ظلماً شديداً بالضرب والحبس من دون حقّ، ونهب املاكهم. وخلاف ذلك سئل، من جماعة المسلمين الحاضرين فى المجلس، إن كان حصل من طرف عثمان خواجا الشرّ اكثر من الخير، فكلّهم قالوا بلسان واحد: ان حصل من طرف عثمان خواجا الشرّ اكثر من الخير. وبسبب ذلك انقطع راس عثمان خوجا حاكم رشيد سابقاً. مطابق لاصله ومعناه باسم حاكم رشيد الان.

طبع بمطبعة الفرنساوية العربية بمصر المحروسة

[ذكر مغادرة بونابرت مصر خلسة الى باريس]

ومن بعد حضور امير الجيوش الى مصر فى ١٢ ربيع الاوّل[1] صنع مولد النبيّ حسب السنة الماضية، وعمل محفلا عظيماً، واحضر مصطفى باشا وجميع العلماء والاعيان، وصنع وليمة عظيمة لها قدر وقيمة. واحضر الات الطرب والموسيقة. ثم، بعد اربعة ايّام، ركب بعسكره الخاصّ، واظهر انه يريد [ان] يدور على الاقاليم المصرية، لاجل تطمين الرعية. واخذ معه الجنرال اسكندر، وتلنهاية من العسكر، والجنرال ميراد. وقصد مدينة منوف[2]. ومن هناك انتقل الى الاسكندرية. وبعد ايّام وجيزة، دبّر امر السفر، وهيّا له ثلثة مراكب. وارسل لهم، ليلاً، عدّة صناديق مملوءو الجواهر[3] الثمينة والاسلحة العظيمة، والامتعة والقماش، والامور التى كان اكتسبها، وعدّة من المالك[4] الصغار كان استخدمهم عنده، وزخرف اطواقهم[5] وكساهم. وبعد ذلك التدبير، صنع وليمة عظيمة الى الجنرال سميت سرعسكر الانكليز. وكان، حين ارتفع الحصار عن الجزّار، توجّه بمراكبه الى تجاه الاسكندرية. ومن عادة الافرنج ان، في الايّام التى لم يكن فيها حروب، فليس فيه امتناع عن بعضهم بعض. وحين حضر الجنرال سميت سارى عسكر الانكليز، وقدّم له امير الجيوش غاية الاكرام، واعطاه هديا جزيلة الثمن، ثم طلب منه بان ياذن له ان يرسل ثلثة مراكب صغار الى بلاد فرنسا[6]، فاذن له بذلك. وبعد رجوع سارى عسكر الانكليز الى مراكبه في تلك الليلة، نزل بونابرته في تلك المراكب بمن معه من الرجال، وخرج من البوغاظ بريح عاصف. وفي ثاني الايّام بلغ خبر مسيره الى الجنرال سميت، فعظم عليه ذلك الامر، واقلع بمراكبه في طلبه، فلم يجد له خبر[اً] ولا

(١) سنة ١٢١٤ هـ. الموافق ليوم ١٤ آب / اغسطس ١٧٩٩ م.

(٢) بلدة المنوفيه.

(٣) بالجواهر، وقد وردت في نسخة الشهابي (ص ٢٨٠): من الجواهر.

(٤) المماليك، وقد وردت كذلك (المماليك) في نسخة الشهابي (ص. ن.).

(٥) مفردها (طوق) وهو ما يلبس حول العنق.

(٦) كان الاسطول البريطاني في مياه البحر المتوسط، لذا، كان لا بد من الاتفاق مع الانكليز، لكي يتمكن بونابرت من إرسال سفنه من مصر الى فرنسا عبر هذا البحر.

رأى له اثر. ونجى منهم بحسن خبرته ومزيد فطنته وسموّ حكمته. وقد استغنم الفرص وفرّ منهم كما يفرّ العضفور من القفص. وبقوّة المولى العزيز نجى من أعدائه الانكليز، ووصل الى مدينة باريز، وخلص حاله بتدبير ذلك الامر. وكان نفوذه من عجايب الدهر. واستغرب اهل ذلك العصر. وقالت الناس ما ذلك إلا من غرايب الامور، ودليل على سعده المقدور. وكانت اقامتـه في الديـار المصرية اربعة عشر شهرا.

[ذكر تكليف الجنرال كليبر قيادة الجيش الفرنسي بمصر]

وكان، قبل نزوله فى المراكب، كتب الى الجنرال كليبر يعلمه بذلك التدبير، ويوعده ان يرسل له الاسعاف والامداد، بعد وصوله لتلك البلاد. وانه يكون قايم عوضه امير الجيوش. وكان وقتيذٍ فى مدينة دمياط. وكتب ايضاً الى الجنرال دوكا القيمقام انه يكون كما كان من ذلك الاهتمام. وان يعلم اهل الديوان ليوزعوا الاعلام على الرعيّة بكلّ البلدان، ويكونوا كما كانوا بامـان واطمينان. وكتب ايضاً الى جميع الجنرالية يعرّفهم بذهابه، وكيف يتدبّرون بعد غيابه. ويوصيهم بحفظ البلاد والسلوك مع العباد، ويوعدهم بالاسعاف والامداد، وانه قريباً يرجع اليهم بالعساكر الشداد والابطال الجياد. وجعل لهم الى رجوعه ميعاد، وهى اربعة اشهر تمام. واذا ابطىء [1] عليهم بعد تلك الايّام، فلهم الاذن ان يسلّموا المملكـة للاسلام بـالصلـح، ويجعلـوا الاتّفـاق عـن يـد الانكليز، ويذهبوا الى مدينة باريز.

وعندما شاعت الاخبار فى تلك الديار والاقطار المصرية عن ذهاب امير الجيوش، فرحت اهل مصر، فحزنت الفرنساوية [وامر] [2] الجنرال دوكا اصحاب الديوان ان يكتبوا الى ساير البلـدان ويخبروهم بذلك الشان.

صورة الكتابات

من محفل الديوان الخصوصى، خطاباً الى سايـر الاقطـار المصريـة، مـن الاقـاليم جهـة القبليـة والبحرية، وكامل الرعايا وفقهم الله.

نخبركم انه حضر الى الديوان مكتوب من حضرة الجنرال دوكا القيمقام، بان سارى عسكر بونابرته الكبير، امير الجيوش الفرنساوية، توجّه الى البلاد الفرنساوية، لاجل حصول الراحة

---

(١) أبطأ: تأخّر.

(٢) وردت في الاصل (وأمّا)، والصواب = وأمر. وقد وردت كـذلـك (وأمـر) فى نسخـة الشهـابـي (ص ٢٨١).

الكاملة الى الاقطار المصرية. وانّه كان حضر له استعجال من الجمهور فى بلاده لطول غيابه. واخبرنا السارى عسكر دوكا بان السرعسكر الكبير، قبل غيابه، اقام عوضه رجلاً كاملاً عاقلاً، فيه شفقة ورحمة عامّة على الرعيّة، جعله اميراً على الجيوش الفرنساوية. واخبرنا القيمقام اننا نكون في غاية الامان والاطميئنان على ديننا ومتاجرنا واموالنا واسباب معاشنا، كما كنّا في زمان حضرة السرعسكر الكبير بونابرته. فتنصحكم يا ايّها الرعايا لا تطيعوا اهل الفساد، واتركوا الفتن والعناد، وامتثلوا امر خالق العباد. والسلام عليكم ختام.

الفقير السيد خليل البكرى
نقيب الاشراف
الفقير محمد المهدى
كاتم سرّ الديوان
الفقير سليمان الفيومى
المالكى
الفقير على كتخدا مجرلى
باش اختيار
الفقير لطف الله
المصرى
الفقير جبران
سكروج
الفقير بودوف [2]

الفقير عبد الله الشرقاوى
رئيس الديوان
الفقير مصطفى الصاوى
الشافعى
الفقير السيّد احمد
المحروقى
الفقير يوسف باش شاوش
تفنكجيان
الفقير يوسف
فرحات
الفقير لومار [1]

الفقير ذو الفقار كتخدا
كوميسار الاسلام

نظر وعلم وكيل الفرنساوية جلوتيه [3].

طبع بمطبعة الفرنساوية العربية بمصر المحروسة

ثم حضر الجنرال كليبر من دمياط الى بولاق، والتقاه القيمقام الجنرال دوكا وشيخ البلد الجنرال دوسطين. ودخل الى مصر بالعزّ والنصر. ونزل الى منزل امير الجيوش وهو بيت محمد بيك الالفى الكاين على بركة اليزبكية. وفى ثانى الايّام حضر اليه ساير الجنرالية والحكّام الفرنساوية

---

(١) لومار Lomar.
(٢) بوديف Bodeuf.
(٣) المفوض الفرنسي (دجيلوتييه Djéloutié).

والكوميسارية والفسيالية [١] وهنّوه بقدومه وإمرته. وحضر علماء الديوان والاغاوات والوالى والمحتسب والتجّار والاعيان وهنّوه بقدومه، فالتقاهم بوجه باش، وامّنهم وطمّنهم وامرهم يطمّنوا الرعيّة. فشملهم الاندهاش من هيبته والانذهال من صولته، اذ كان هذا المقدّم اسداً درغام، ذا قوام واعتدال، مهاباً بالرجال، حسناً بالجمال، له صورة ترعش الكبود [٢] وترعب الاسود. فنزلوا من امامه وهم في خشية من كلامه. وبعد ذلك حضر مصطفى باشا وولده وهنّوه بقدومه، فالتقاهم واكرمهم وجلس امير الجيوش كليبر على تخت [٣] القاهرة. وكان من القوم الجبابرة. وفحص الكتابات التى ابقاها له بونابارته، واطّلع على جميع الارتشاد [٤] الذى ارشده به، وفهم الكتابات التى توجّهت الى الدولة العثمانية على يد مصطفى باشا. فابتدا امير الجيوش كليبر يتداول مع مصطفى باشا بامر الصلح.

وكان قد انتشر الخبر في خروج صدرالاعظم يوسف باشا ضيا المعدنى من مدينة قسطنطينية، بالعساكر الهمايونية، لاستخلاص المملكة المصرية من يد الفرنساوية. فوصلت الكتابات للامير كليبر من الصدر الاعظم عن يد مصطفى باشا كوسا، وكان خروج وزير الختام [٥] من القسطنطينية فى شهر ربيع الاول سنة ١٢١٤ [٦]. وقد استكنت [٧] حركة مملكة مصر فى تمليك هذا الامير، وكان هو يحبّ الهدو والسكون، وعدم مقاتلة الناس. ويميل الى التنعّم والتعظّم. وكانت الات الموسيقة تضرب امامه بكرةً ومساءً. وكان جولانه قليلاً، وسقطت رعبته [٨] في قلوب المملكة.وابقى هذا الامير جميع ما كان نظمه بونابارته فى الديار المصرية، من دون تغيير ولا تبديل.

وفي ايّام جبر النيل، خرج امير الجيوش بمحفل عظيم مع ساير الجنود وقطّان [٩] القاهرة. وكانت

---

(١) سبق وذكرنا انها من كلمة «Vassai» بالفرنسية، أي «التابع» (وهو لقب اطلق في عهود الاقطاع على الاشخاص المرتبطين بالسيد او الاقطاعي). وقد ترجمها اينيه (Ainé, op. cit. P. 154) بالموظفين المدنيين. وربما تكون من كلمة «Officiers» اي صباط، كما سبق ان ترجمها «اينيه» نفسه في مكان آخر (Ybid. P. 16). وربما تكون من كلمة «Officiels» اي: الرسميون.

(٢) الاكباد.

(٣) ترجمها ابنيه (Ybid): على عرش القاهرة، والمقصود: على كرسي الحكم في القاهرة.

(٤) الارشادات.

(٥) وزير الاختام، وهو الصدر الاعظم يوسف باشا ضيا.

(٦) الموافق لشهر آب / اغسطس ١٧٩٩م.

(٧) اسكانت.

(٨) بمعنى: اشتدت رهبته.

(٩) مفردها: قاطن. وقطّان القاهرة = ساكنوها والمقيمون فيها.

ايّام ظاهرة وافراح وافرة ومواكب فاخـرة وامـن عظيم وانس جسيم [١] . وضرب في تلـك الوقـت مدافع ليس لها عدد . وبعد حضور الامير كليبر من دمياط اقام مقامه حاكماً ، الجنرال.ورديه [٢] .
ففي هذه المدّة ، حضر نحو خمسين مركب من مراكب الدولة العثمانية الى ثغر دمياط مشحونة بالعساكر . وبعض مراكب من مراكب الانكليز المقيمين على البواغيظ . وكانت هذه المراكب المذكورة هي التي اتت الى بوغاظ الاسكندرية صحبة مصطفى باشا كوسا وعساكره . ولمّا طلعت العساكر الى برّ ابوقير ، وحصل لهم ذلك الانكسار والتدمير ، فاقلعت المراكب في البحر ، ورجعت جهّزت جانب [٣] من العسكر ، وحضرت الى بوغاظ دمياط . وعند وصولهم ، اخرجوا العساكر من المراكب ليلاً الى العزبّة . فبلغ الجنرال ورديه بان عساكر المسلمين خرجت غلى البرّ وبنوا المتـاريس ، فنهض الجنرال المذكور وصار الى العزبة بخمسماية صلدات . وقبل شروق الشمس اقبل عليهم ، وقسم عساكره ثلثة اقسام ، وهجم على عساكر الاسلام . وثارت نيران الحرب والقتال ، وازدحمت الرجال والابطال ، وحمى الضرب والطعان . وما مكثوا الاّ برهةً من الزمان ، حتّى ذاقوا الموت اشكالاً والوان . فارموا سلاحهم وطلبوا الامان . واكثرهم القوا انفسهم في البحر ، خوفاً مـن الموت والقهر والذلّ والأسر . فمنهم من صعد الى المراكب ، ومنهم من مات غريق . وكانوا ثلثة الاف ، فأسروا منهم ثمانماية بلاخلاف . ورجع الجنرال ورديه الى دمياط بالعزّ والنشاط ، وصنع شنّكاً عظيماً لاجل ذلك الانتصار ، وافتخر اعظم افتخار . وكان قد قبضوا على مقدّم ذلك العسكر وهو الزرناجي [٤] باشي ، وكان مجروحاً جرحـاً بليغـاً . واحضر لـه الجنرال ورديـه الحكماء وامـرهـم بمداواته . واخبر امير الجيوش الامير كليبر بذلك الانتصار على ذلك العسكر ، فلامه على عجلته عليهم بسرعة القدوم اليهم ، وانه كان واجب امهال [٥] الى حين تخرج الجميع من المراكب ، ويبليهـم بالهلاك والمعاطب . ثم من بعد اربعة ايام ، مات الزرنـاجي باشي من ذلك الجرح الاليم والقهر العظيم ، فامر الجنرال ورديه ان يصنعوا له ميتماً [٦] عظيماً واحتفالاً فخماً كعادة رؤساء العساكر . واحضر علماء المدينة وساير الاعيان ، وقواد العساكر وارباب الديوان ، وامرهم يمشون قدّام نعشـه وبندقهم [٧] منكسة . والبس الخيل الحلل السود ، ودفنه باكبر الجوامع وافخر المواضع .

---

(١) وكانت (تلك الايام) اياما مشهودة وافراحا كثيرة ومواكب فاخرة وأمنا عظيما وانسا كبيرا .
(٢) الجنرال فردييه Verdier .
(٣) جانبا من : قسما من .
(٤) وردت في نسخة الشهابي (الدرناجي باشي) .
(٥) كان يجب امهالهم .
(٦) مأتما .
(٧) بنادقهم .

وفي آخر شهر ربيع الاوّل سنة ١٢١٤ [١]، قدم الوزير الاعظم والدستور الافخم الى اراضي الشام بالعز والانعام، بالعساكر الكثير والجيوش الغزيرة. وارتجت لقدومه الاقطار، وخشيت سطوته الكبار والصغار. وكان وزيراً عادلاً عاقلاً فاضلاً، وعن امور الشريعة مناضلاً. يبعض الظلم والعدوان، ويحبّ العدل والامان. فامتلأت الارض من العساكر والعشاير، والجيوش والدساكر [٢]. وبادرت الى حكمته الامراء والحكّام، والخاصّ والعامّ، واصحاب المقاطعات والاقاليم بالنحيّة والتسليم. وقدّموا له الهدايا الفخيمة والذخاير العظيمة. ثم انتقل الى غزّة بالاكرام والعزّة، وصحبته الجيونس العظام، والباشاوات الفخام، والغزّ المصريين الذين كانوا من الافرنج هاربين، وعن ديارهم مطرودين. ونشر العدل والامان في جميع القرايا والبلدان. وطمّن الرعيّة. وان يكونوا في غاية الحمية [٣]، حسب الخطوط الشريفة العثمانية والهبات السلطانية. وكان قد طلب الجزّار الى المسير اليه بعساكره القويّة، فاعتذر عن الحضور، وتباين بالعصاوة والنفور، وامتنع عن تقديم الذخاير وارسال العساكر، وخالف الامر الشريف الفاخر. وبعد وصول الصدر الاعظم الى غزّة، ابتدأت المراسلات من امير الجيوش الفرنساوية بالصلح والاتّفاق، ورفع الشرّ والنفاق. وكان متعاطي تلك الامور مصطفى باشا كوسا، الماسور الذي ذكره تقدم وسبق، وسنذكر ان شاء الله كلّما تمّ واتّفق.

[ذكر المفاوضات لجلاء الفرنسيين عن مصر]

وكنّا قد شرحنا ان امير الجيوش الامير كليبر قد تدبّر، حسب ارشاد سالفه بونابارته، بالمراسلات عن يد مصطفى باشا، باقامة الفرنساوية بمصر حسبما قدّمنا. وابت الدولة العثمانية [ ] [٤] ذلك، وقدم الوزير الاعظم عقد الصلح بشروط حقيقية وعهودات ملوكية، وان يسلّم مملكة مصر المحمية، ويخرج بالعساكر الفرنساوية على حية [٥]. وحين تحقّق امير الجيوش عدم قبول الدولة العثمانية الى اقامتهم بالديار المصرية، اجاب الى اذهابهم [٦] بشروط امينة وعهود متينة. وارسل

---

(١) الموافق للاول من ابلول / سبتمبر ١٧٩٩م.

(٢) الدساكر: القوى، وتأتي هنا بمعنى: اهالي الدساكر.

(٣) الحماية.

(٤) وردت في الاصل: «وابت الدولة العثمانية عن ذلك»، وترجمها اينيه (Ainé, op. cit. P.159) «لم توافق الدولة العثمانية على ذلك اطلاقا»، مما يؤكد المعنى الوارد في النسخة التي بين ايدينا. اما في نسخة الشهابي (ص ٢٨٥) فقد وردت العبارة بمعنى آخر، اذ جاء فيها: «واذ آبت الدولة عن ذلك»، اي رجعت عنه، مما يوحي بأن كانت هناك موافقة من الدولة العثمانية على بقاء الفرنسيين في مصر، وهو ما نستبعده. لذلك، فقد اعتمدنا ما ورد في النسخة التي بين ايدينا، وآثرنا حذف (عن) الزائدة.

(٥) اي ان يخرج الفرنسيون من مصر بأمان.

(٦) ذهابهم.

احضر الجنرال ديزه Desaix من الصعيد ، وكان هذا سامياً في المقام ، صاحب عقل وتدبير ، ومقام خطير . واحضر غيره من الجنرالات الكبار . وعقد ديوان [1] وقصّ لهم الخبر ، فنظر ان الاكثر لهم ميل الى السفر ، لعدم الامداد وكثرة الاخصام والاضطهاد . وقد خلص [ا]لميعاد الذى وعد به بونابارته [2] . وحضر[ت] كتابات من الوزير ، تهديد وتوعيد بالوبال والدمار ، ان لم يخرجوا من تلك الديار . ويدهمهم بالرجال والابطال كالرمال ، والسيل اذا سال ، بفرسان جبابرة وسيوف باترة . وان يسلّموا البلاد ويربحوا دما[ء]هم ودما[ء] العباد . وان لم يسمعوا نصيحته ولا يخشوا سطوته ، فيحلّ بهم العدم ، ويندموا حيث لا ينفع الندم . فردّ عليه الامير كليبر الجواب : امّا قولك ان عساكرك مثل نجوم السماء فهذا حقيق معلوم ، الاّ انها بعيدة عن طاعتك كبعد الارض عن النجوم . وامّا قولك انها كالرمال هذا ليس فيه محال ، فهم كثيرون فى العدد قليلون على الصبر والجلد . وقلوبهم اصغر من حبّة الرمل ، وقوّتهم اضعف من قوّة النمل . وامّا عساكرنا الشداد ، فهى قليلة التعداد ، ولكنها قوية البطش في الجلاد ، قريبة الينا ودايماً طَوّع لدينا . فان دفعناها الى الموت تندفع ، وان ردنا رجوعها ترتجع ، وان منعناها تمتنع . ونحن فى كلّ دقيقة من الزمان ، مستعدّين للحرب والطعان ، وقهر الفرسان والشجعان ، وقبول ما يقدّر علينا العزيز الرحمان.

واستمرت الامور على هذا المنوال ، والخوف منقسم بين الفريقين على كلّ حال . فلهذا جعل كل من الفريقين وسايط الى الصلح والاصطلاح ، وعدم النزاع والكفاح ، وحقن دم العباد وعدم خراب البلاد . وكان وسيط بذلك مصطفى باشا كوسا ، ما بين الامير كليبر وبين الوزير . ثم تقدّم الى التوسط الجنرال سميت سرعسكر الانكليز القايم فى البحر ورابط البواغيظ . وانعقد الاتّفاق على ارسال شخصين من طرف الوزير الاعظم ، وشخصين من طرف الامير كليبر ، ان يتقابلا فى حدود العريش . وهناك تتواقع المفاوضات والمداولات ، وتوضح الفرنساوية شروطاتها وربوطاتها [3] . ثم توجّه من طرف الوزير الاعظم مصطفى افندي الدفتردار ومصطفى افندي رئيس الديوان . وتوجّه من طرف امير الجيوش الأمير كليبر الجنرال ديزه والكوميسار بوسلنج [Poussielgue] . وتقابلا الفريقان باراضى العريش ، وابتدأت المداولة بين هولاء الاربعة اشخاص ، وقدمت الفرنساوية شروطها ، وقدّمت العثمانلى ربوطها . وكلّ من الفريقين يكتب ما يتوقّع الى والي امره ويستنظر الجواب . والوزير فى ارض غزّة

---

(١) وعقد ديوانا : اي عقد مجلسا .
(٢) اي انه انقضى موعد عودة بونابرت الى مصر .
(٣) بمعنى الشروط ايضا ، او ما يرتبط به فريق تجاه آخر .

[ذكر عملية قلعة العريش]

وكان حينما تمّ ذلك الايراد، وشاعت اخبار الصلح بين العباد، تقدّمت بعض عساكر الاسلام الى اراضى العريش، ونصبوا الوطاق قريب[1] من القلعة. واما عساكر الفرنساوية الذين فى القلعة كانوا ثلثماية صلدات، وسرعسكر الجنرال غزال[2]. وبقى البعض من العساكر يتقدّمون إلى القلعة، ويخاطبون العساكر الصلدات ويعرّفوهم فى الصلح الذى توقع فيما بينهم، وصارت الصلدات الفرنساوية تنزل من القلعة ويختلطون فى عساكر الاسلام. ووقع الوداد بين الجنرال غزال وبين مصطفى باشا ارناووط، فدعا الجنرال المذكور [[3]] مصطفى باشا الى القلعة وصنع له وليمة عظيمة.

وحضر الباشا الى القلعة باناس قليلين العدد، وارشد عساكره ان، بعد دخوله الى القلعة، يهجمون هجمةً واحدةً على الباب، ويملكون القلعة ويقتلون من بها. وكان داير القلعة خندق، وامام الباب جسر من خشب. وكانوا الفرنساوية يرفعوه ويضعوه في الحبال. وكان، من بعد دخول مصطفى باشا من باب القلعة هجمت اوليك العساكر بضجيج عظيم على الباب، فلم يعد يمكن الفرنساوية ان يرفعوا الجسر عن الخندق، ودخلت العساكر الى القلعة، ودار السيف بينهم. وعندما نظرت الفرنساوية هذه الخيانة، سارع احد الصلدات الى جبخانة البارود والقى فيها النار، وطلعت الجبخانة والناس متزاحمة، وطارت تلك العوالم. ويا لها من ساعة كانت مهولة اذ قد احترق بها خلق ما له عدد من العساكر العثمانية والصلدات الفرنساوية. وسقط حيط القلعة الى ناحية الباب. ومات مصطفى باشا حريقاً بالنار. ولم يبق من الفرنساوية سوى نحو ماية نفر، فتراكمت العساكر وقبضوا عليهم.

وحضرت الاخبار الى امير الجيوش كليبر فيما جرى على الفرنساوية الذين فى قلعة العريش. فاخذه العجب واشتد به الغضب، ونبّه على العسكر باخذ الأهبة للسفر. واحضر مصطفى باشا كوسا، واخبره بما جرى وتدبّر على عسكره من الموت والضرر. وشرح له غدر الاسلام وخيانتهم وعدم امانتهم. فتصاعب الامر عليه وكبر ذلك لديه، وقال له: على موجب هذا الاسلوب كيف تامن منّا القلوب. فبدا مصطفى باشا يقدّم له الاعتذار ويطرد من قلبه النار، ويدعى جهل عساكرهم وعدم طاعتهم الى اكابرهم. ويلطّف له الحادثة، ويتمنّاه ان لا يجعل الامور ناكثة. وكان امير الجيوش لم يزل مصراً على الركوب ومستعدًّا للحروب.

---

(١) قريبا، والوطق: الخيمة، جمعها: وطاق، وهي تركية.

(٢) الجنرال غزال Gazal، احد قادة الحملة الفرنسية على مصر.

(٣) ورد في الاصل (الى) زائدة آثرنا حذفها.

وفى مبادى شهر شعبان سنة ١٢١٤ [١] ركب من مدينة مصر الى مدينة بلبيس بالصالحية بعدّة عساكر قويّة. وقبل خروجه من الكنانة، احضر العلماء وارباب الديوان وباقى الحكّام والاعيان، واوصاهم على الصيانة وعدم الخيانة، ورفع البلابل والقلاقل، وحفظ الديار من القوم الاشرار. ويوعدهم بالدمار والدثار إن كانوا يذكرون عوايدهم السابقة، ويتبعون الرأيات [٢] المنافقة والمشاقّة. فتضمّنت [٣] له العلماء والاعيان بهدؤ الرعايا وعدم الافتنان [٤]. وسار من مدينة القاهرة وشرار الغضب في فواده ظاهرة، وتنفّسات الصعداء من احشائه طايرة. وعندما وصل الى ارض الصالحية، بدأ يختبر العساكر بفطنته الزكيّة، فوجد قلوبهم منقسمة ووجوههم غير مبتسمة. ونفوسهم قلقانة ومن النفور ملانة. وقلوبهم الى السفر طمأنة. ومتحسّرين من نفور اهل الكنانة. وخاشين من الخيانة. وقد كان اخبره حاكم مدينة بلبيس انه طلب الصلدات الى المسير فامتنعوا. ثم اخبروه ايضاً ان الجنرال وردية [Verdier] ، حاكم مدينة دمياط، انه دقّ طبول المسير الى اراضي قطية حسب امر امير الجيوش، فامتنعت الصلدات وابدت التنكير وابت عن المسير. فقلق الجنرال قلقاً عظيماً، اذ كان ذلك ضدّ عوايد العساكر الفرنساوية. ثم بلغه ايضاً، من حاكم مدينة الاسكندرية، ان الصلدات الفرنساوية نهضوا على بعض الكوميسارية المسافرين بامر امير الجيوش الى البلاد الافرنجية، ومنعوهم عن السفر بالكلّية. وقالوا لهم: نحن نظيركم بالسوية وبالحرّية، ومن المحال ان ندعـاكم [٥] تسيروا بهذه الاموال، ونحن نقاسى الوبال والنكال. إمّا اننا نسير سويّةً، وإمّا نمكث سويّةً. بلغه ايضاً ان احد الجنرالية، وهو جايـز [٦] في اراضي طنطـة، مقـام السيّـد البـدوي عليـه اشرف السلام المشهور فى اراضى مصر، خرجت عليه شرذمة من العربان والفلاحين، وكان صحبته ثلثة الاف صلدات، فلم يرضوا يحاربوهم. وحينما تواردت الاخبار الى امير الجيوش بذلك الديوان، وعلم ذلك الشان، واتّضح لديه بان قلوب الفرنساوية غير مستوية، فكتم ذلك بسّره، وعمل على الصلح والتسليم.

هذا ما كان من الفرنساوية. وامّا ما كان من صدر الدولة العثمانية، انه كان باذل جهده باخراج الفرنساوية من المملكة المصرية، من غير حرب ولا قتال، احتساباً ممّا يعلمه من بطشهم في الجدال، وقوّة باسهم وشدّة مراسهم وعدم اكتراثهم. ومخافةً على خراب البلاد وهلاك العباد

---

(١) يبدأ، شهر شعبان عام ١٢١٤هـ. بتاريخ ٢٩ كانون الاول / ديسمبر ١٧٩٩م.
(٢) الآراء المنافقة والشقية (الشرّيرة).
(٣) فصمنت.
(٤) الفتنة.
(٥) ندعكم.
(٦) عابر.

وتلاف الاجناد [1] . فلذلك ما سرّه اخذ قلعة العريش بالسيف، مما حلّ بعسكره من الحيف، بذلك الحريق الفظيع والامر المريع. فكان يُريهم الحرب والمصادمة، ويتهددهم بالاوامر الصارمة. واما قصده ومرامه بان يخرجوا بالسلامة، وتستخلص دار الكنانة. وكان هذا هو الصواب، لان الفرنساوية من اصعب القوم الصعاب، وحربهم مرّ العذاب. وكانوا قد تمكّنوا القلع المكينة والحصون المتينة والاقاليم والمدينة. ويعلم بان حروبهم كثيرة ومقاومتهم خطيرة. فلذلك كان يرغب امر الصلح.

وقد كان كلّ من الفريقين مقصوده الامن والنجاح، والتقريب والأيلاف. وتدبير الامور من غير خلاف. ورفع الخصام وبلوغ المرام. فولجت الوسايط بعقد الرباط، ورجعوا على ما كانوا عليه من الارتباط، وتوفيق الشروط وتمكين العقد المربوط. وما زالوا يثبتوا اشياء وينكروا اشياء، ويقبلوا اشياء ويرفضوا اشياء، حتى تـمّت الموادّ وحصل المراد. واتّفقت الامور على خروج العسكر الفرنساوي من مملكة مصر بالصلح والامان، وتسليم الديار المصرية لدولة آل عثمان، على شروط وثيقة وعقود حقيقية. وامضى عليها الامير كليبر ووزيره الجنرال داماس [2]، ثم الجنرال ديزه، ثم بوسلنج مدبّر الحدود. وامضى عليها الوزير الاعظم، والدفتردار رشيد، ومصطفى افندى رئيس الكتّاب. وكلّ من الفريقين اخذ نسخة الشروط. وارسل الوزير الصورة إلى الدولة العلية، وارسل ايضاً الامير كليبر الصورة الى مدينة باريز الى المشيخة الفرنساوية. وهذه الصورة:

[ذكر شروط الصلح بين فرنسا والباب العالي]

ان الجيش الفرنساوي بمصر عندما قصد ان يوضح ما في نفسه من الشوق لحقن الدمـا[ء] ورأى نهاية الخصام المضرّ الذى حصل ما بين المشيخة الفرنساوية والباب الاعلى، ارتضـى ان يسلّم الاقليم المصري بحسب هذه الشروط الاتى ذكرها، بامل ان في هذا التسليم يمكن ان يتجدّد ذلك الصلح العامّ في بلاد الغرب قاطبةً:

الشرط الاوّل

ان الجيش الفرنساوي يلزمه ان يتنحّى بالاسلحة والعزال [4] والامتعة لى الاسكندرية ورشيد

---

(١) وتلف الجنود.

(٢) الجنرال داماس Damas.

(٣) يذكر (اينيه) انه اخذ النص الفرنسي لهذه الشروط من كتاب (التاريخ العلمي والعسكري لحملة مصر) (Histoire Scientifique et militaire de L'Epédition d,Egypte)؛ وانـه وجـد اخطـاء عـديـدة في النـص العـربـي المثبت بكتاب النرك الذي هو بين ايدينا (Aine, op. cit. P. 275 Note 15).

(٤) ترجمها إينيه: أمتعة Bagages (Aine, Op.cit. P. 167) وهذا هو المرجح.

وابوقير لاجل انه يتوجّه وينتقل بالمراكب الى فرانسا ان كان ذلك في مراكبهم الخاصّ أم في تلـك المراكب التي يقتضى للباب العالى ان يقدّمها لهم قدر الكفاية ولاجل تجهيز المراكب المذكورة باقرب نوال وقد وقع الاتّفاق ان من بعد مضى شهر واحد من تقرير هذه الشروط يتوجّه الى قلعة الاسكندرية واحد من الباب العالى وصحبته خمسون نفراً.

الشرط الثاني

لا بدّ عن المهلة وتوقيف الحرب بمدّة ثلثة اشهر بالاقاليم المصرية، وذلك من عهد امضاء شروط هذا الاتّفاق. وإذا صادف الامر ان هذه المهلة قد تـمّت [١] من قبل ان المراكب الواجب تجهيزها من قبل الباب العالى تحضر مجهّزة في المهلة المذكورة، فيقتضى مطاولتها [٢] لى ان ينجز الرحيـل على التام والكمال. ولمن الواضح انه لا بدّ عن اصراف [٣] الوسايط الممكنة من قبل الفريقين، لكيلا يحصل ما يمكن وقوعه من السجس [٤]. اذ [٥] كان ذلك الى الجيش ام لاهل البلاد اذا كانـت هـذه المهلة قد حصل الاتّفاق بها لاجل الراحة.

الشرط الثالث

فرحيل الجيش الفرنساوي يقتضى تدبيره بيـد الوكلاء المنقـامين [٦] لهذه الغـايـة مـن البـاب الاعلى [٧] وسارى عسكر كليبر. واذا حصل خصام ما بين الوكلاء المذكورين بوقت الرحيل، فمن هذا [الصدد] [٨] ينتخب من قبل حضرة سميت، سارى عسكر الانكليز، رجل ينهى المخـاصمات المذكورة بحسب قواعد السياسة البحرية السالكون عليها ببلاد الانكليز.

الشرط الرابع

فقطية والصالحية فلا بدّ عن خلوصهما [٩] من جيش الفرنساوية في ثامن يوم، واعظم ما

---

(١) انتهت.

(٢) تمديدها.

(٣) استخدام.

(٤) السجس: التغير او التكدر او الاضطراب.

(٥) اذ: بمعنى إن.

(٦) اي المعينين لهذه الغاية.

(٧) الباب العالي.

(٨) وردت في الاصل (الصدر) والصواب: الصدد: ووردت كذلك (الصدد) في نسخة الشهابي (ص ٢٨٩).

(٩) اي احلاؤهما او التخلي عنهما.

يكون[1] في عاشر يوم، من امضاء الشروط والاتّفاق. ومدينة المنصورة يكون خلوّها[2] من بعد خمسة عشر يوم. وامّا دمياط وبلبيس من بعد عشرين يوم. وامّا السويس فيكون خلوها بستّة ايّام قبل مدينة مصر[3]. وامّا المحلّة الكاينة في الجهة الشرقية من بحر النيل فيكون خلوّها فى اليوم العاشر. والضليطة[4] اى اقليم البحرية فيكون خلوّها بخمسة عشر يوم بعد خلوّ مصر. والجهة الغربية [من النيل][5] لا بدّ انها تستمر بيد الفرنساوية الى ان يكون انحدر العسكر من جهة الصعيد[6] فلهذا السبب جهة الغربية وتعلّقاتها[7]، كما ذكر، لا يتيسّر خلوّها الاّ من بعد انقضاء وقت المهله المعيّنة، ان لم يمكن قبل الميعاد. والمحلاّت التى تترك من الجيش تسلم الى الباب الاعلى كما هى حالها الان.

الشرط الخامس

ان مدينة مصر، ان امكن ذلك، يكون خلوّها باربعين يوماً، واكثر ما يكون مدّة خمسة واربعين يوماً من امضاء الشروط المذكورة.

الشرط السادس

انه لقد وقع الاتّفاق صريحاً على ان الباب الاعلى يصرف كلّ اعتناه[8] في ان الجيش الفرنساوي الموجود في الجهة الغربية من بحر النيل، عندما يقصد الذهاب بكامل ما له من السلاح والعزال نحو معسكرهم، لا تصير عليه مشقّة ولا احداً يشوّش عليه. ان كان ذلك مما يتعلّق [بشخص][9] كلّ واحد منهم ام بامتعته ام باكرامه، وذلك إمّا من قبل اهل البلاد ام من جهة العسكر السلطانى العثمانى.

الشرط السابع

وحفظاً لاتمام الشروط المذكور اعلاه، وملاحظةً لمنع ما يمكن وقوعه من الخصام والمعاداة. فلا

---

(١) اي في ابعد تقدير.

(٢) اخلاؤها، وورد في نسخة الشهابي (ص ٢٨٩): بعد خمسة ايام.

(٣) اي القاهرة.

(٤) الدلتا.

(٥) هكذا وردت في النص الفرنسي (Ainé, op. cit. P. 169).

(٦) وردت (مصر العليا) في النص الفرنسي (Ybid).

(٧) ملحقاتها.

(٨) عنايته وجهده.

(٩) وردت (شخص) في الاصل، فاقتضى التصحيح.

بدّ من استعمال الوسايط في ان عسكر الاسلام[1] يحوب دايماً مبتعداً عن عسكر الفرنساوية.

الشرط الثامن

من بعد تقرير وامضاء هذه الشروط، فكلّمن كان من الاسلام ام من باقى الطوايف، من رعايا الباب الاعلى بدون تمييز الاشخاص، اوليك الواقع عليهم الضبط ام الذين واقع عليهم الترسيم[2]، في بلاد فرانسا ام تحت امر الفرنساوية بمصر، يعطى لهم الاطلاق والعتق. وبمثـل ذلـك كلّ الفرنساويين في كامل البلدان والاساكل[3] من مملكة العثمانية، وكلّ كامل اوليك الاشخاص من ايّ طايفة كانت. اوليك الذين كانوا في تعلّق[4] خدمة المراسلات[5] والقناصل الفرنساوية لا بدّ عن انعتاقهم.

الشرط التاسع

فترجع الاموال والاملاك المتعلّقة بسكّـان البلاد والرعـايـا مـن الفـريقين، ام مبلـغ اثمانها، لاصحابها. فيكون الشرع[6] به حالاً من بعد خلوص مصر[7]. والتدبير في ذلك يكون بيد الوكلاء في اسلامبول، المقيمين من الفريقين لهذا القصد.

الشرط العاشر

فلا يحصل التشويش [لاحد][8] من سكّان الاقاليم المصرية من اى ملّة كـانـت، وذلـك فـى اشخاصهم ولا فى اموالهم. نظراً الى ما يمكن ما يكون قد حصل من الاتّحاد ما بينهم وبين الفرنساوية بزمان اقامتهم بمصر.

---

(١) وردت (عسكر الاتراك) في النص الفرنسي (Ainé, op. cit. P. 170) وقد درج المؤلف على استعمال كلمة (الاسلام) بدلا من (الاتراك) اينما وردت في نص الوثيقة.

(٢) الضبط والترسيم: الحفظ بالاكراه، والحبس.

(٣) الموانىء (جمع أسكله).

(٤) أي الذي كانت أعمالهم تتعلق بخدمة...

(٥) وردت (مفوضيات Légations) في النص الفرنسي (Ybid)

(٦) الحكم.

(٧) خلوص مصر: اي الجلاء عن مصر.

(٨) وردت في الاصل (الأحد) فحذفنا الالف الزائدة، والتشويش: الازعاج.

الشرط الحادي عشر

لا بدّ انه يُعطى للجيش الفرنساوي، ان كان من قبل الباب الاعلى او من قبل المملكتين المرتبطتين معه، اعنى به مملكة الانكليز والمملكة المسكوبية، فرمانات الاذن واوراق المحافظة [١] بالطريق. وبمتل ذلك السفن اللازمة لرجوع الجيش المذكور بالامن والامان الى بلاد فرانسا.

الشرط الثاني عشر

عد نزول [٢] الجيش الفرنساوي الكاين بمصر الان، ان الباب الاعلى وباقى الممالك المتّحدة معه، يعاهدون باجمعهم انه: من وقت ينزلون بالمراكب الى حين وصولهم الى اراضى فرانسا، لا يحصل عليهم شيء قط من الضرر. فحضرة الجنرال كليبر سارى عسكر العامّ بعاهد من قبله، وصحبته الجيش الفرنساوى الكاين بمصر بانه لا يصدر منهم ما يُأوّل [٣] ل الى المعاداة على الاطلاق، ما دامت المدّة المذكورة، وذلك لا ضدّ العمارة ولا ضدّ بلدة من بلدان الباب الاعلى وباقى الممالك المرتبطة معه. وكذلك ان السفن التى يسافر بها الجيش المشار اليه ليس لها ان ترسى في حدّ من الحدود الاّ بتلك التى تختصّ باراضى فرانسا، اذا لم يكن ذلك في حادث ضرورى [٤].

الشرط الثالث عشر

ونتيجة ما توقّع عليه من [الاعمال] [٥] المشروط اعلاه، بما يلاحظ خلو [٦] الاقاليم المصرية، والجبهة التى وقع عليها هذا الاشتراط. فقد اتّفق على انه، اذا حضر، فى بحر [٧] هذه المدّة المذكورة، مركب من بلاد فرانسا بدون معرفة غلايين [٨] الممالك المتّحدة، ودخل بميناء

---

(١) الحماية والامان.

(٢) وردت (عند ركوب السفن Lorsque... sera embarquée) في النص الفرنسي (Ainé, op. cit. P. 171).

(٣) ما يؤول = ما يؤدي.

(٤) اي انها لا ترسو في مياه غير المياه الفرنسية الا عند الضرورة القصوى.

(٥) وردت في الاصل، وكذلك في نسخة الشهابي (ص ٢٩١): الاهمال، الا اننا نرى، من سياق المعنى، ان الكلمة الصحيحة هي (الاعمال) التي تم الاتفاق عليها وفقا للشروط اعلاه، لذا، اقتضى التصحيح.

(٦) التخلي، الجلاء عن.

(٧) في بحر: خلال.

(٨) مفردها غليون، والغليون: كلمة معربة عن الاسبانية Galeon، وهو بالفرنسية Gallion، وبالانكليزية Galleon، وبالايطالية Galeone. وهو نوع من المراكب الشراعية الحربية، اكبر من الغليطاة Gallote او الغليون الصغير. والتسمية الصحيحة للغليون في العهد العثماني: شونه او شاني، وجمعها: شواني (درويش النخيلي، السفن الاسلامية على حروف المعجم، وجامعة الدول العربية، المعجم العسكري الموحّد).

الاسكندرية. فلازم عن سفر[١] حالاً، وذلك بعد ان يكون تحوّج بالماء والزوادة[٢] اللازمة، ويرجع الى فرنسا وذلك بسندات واوراق الاذن من قبل الممالك المتّحدة. واذا صادف الامر ان مركباً من هذه المراكب يحتاج الى الترقيع[٣] فهذا لا غير يباح له بالاقامة الى ان ينتهى اصلاحه. وفى الحال من ثم يتوجّه الى بلاد فرانسا، نظير الذين قد تقدّم القول عنهم، عند اوّل ريح يوافقه[٤].

الشرط الرابع عشر

وقد يستطيع حضرة الجنرال كليبر سرعسكر العامّ ان يرسل خبر[٥] الى ارباب الحكام الفرنساوية في الحال. ومن يصحب[٦] هذا الخبر لا بدّ ان [يعطى][٧] له اوراق الاذن بالانطلاق. كما يعتنى ليسهل بهذه الواسطة وصول الخبر الى الحاكم بفرانسا.

الشرط الخامس عشر

واذ قد اتّضح ان الجيش الفرنساوى يحتاج الى المعاش اليومى، ما دامت الثلثة اشهر المعيّنة[٨] نحو الاقليم المصرى، وكذلك لمعاش الثلثة الاشهر الاخيرة التى يكون مبتداها من اوّل نزولهم بالمراكب. فقد وقع الاتّفاق على انه يقدّم له مقدار ما يلزم من القمح واللحم والرزّ والشعير والتبن، وذلك بموجب القايمة التى تقدمت الان من وكلاء الجمهور الفرنساوي، ان كان ذلك مما يخصّ اقامتهم او ما يلاحظ سفرهم[٩]. والذى يكون قد اخذه الجيش المذكور مقدار ما كان، وذلك من بعد امضاء[١٠] الشروط، فينحسم مما قد الزم ذاته بتقدّمه الباب الاعلى[١١].

---

(١) اي: يجب ان يسافر.

(٢) تحوّج: تزوّد بحاجته. والزوّادة: الزاد.

(٣) التصليح.

(٤) عند اول ريح يوافقه: اي عندما تمكنه الريح من ذلك.

(٥) وردت تسمية (Aviso) في النص الفرنسي، (Ainé, op. cit. P. 172) وهو مركب حربي معدّ لابلاغ الاوامر.

(٦) يصطحب، يحمل.

(٧) وردت في الاصل (يوطى) فاقتضى التصحيح.

(٨) اي المحددة لبقاء الجيش الفرنسي في مصر.

(٩) سواء فيما يختص بفترة بقائه -اي الجيش الفرنسي- في مصر، او بمدة رحلته من مصر الى فرنسا.

(١٠) توقيع.

(١١) اي ان الجيش الفرنسي سوف يأخذ هذه الكميات (اللازمة لبقائه في مصر ثم لرحلته الى فرنسا) من مخازنه، حيث تحسم، بعد توقيع الاتفاق، من الكمية التي التزم الباب العالي بتقديمها. (انظر النص الفرنسي عند اينيه Ainé, op. cit. P. 173).

الشرط السادس عشر

تم ان الجيش الفرنساوى، منذ ابتداء وقوع امضاء هذه الشروط المذكورة، ليس له ان يفرض على البلاد فرصاً[1] من الفرايض قطعاً بالاقاليم المصرية .وبالعكس فانه يخلّى[2] للباب الاعلى كامل فرض المال وغيره، مما يكن [توجيه][3] قبضه، وذلك الى حين سفرهم. ومثل ذلـك الجهال والهجن والجبخانة والمدافع، وغير ذلك مما يتعلّق بهم ولا يريدوا ان يحملوه معهم. ونظير ذلك شؤن الغلال الواردة لهم من تحت المرى[4] . واخيراً مخازن الخرج[5]. فهذه كلّها لا بدّ عن الفحـص عنها وتسعيرها من الناس، وكلاء مـوجّهين مـن قبـل البـاب الاعلى لهذه الغـايـة، ومـن الجنرال الانكليز[ي]، وايضاً من وكلاء المتصرّفين بأمر الجنرال كليبر سارى عسكر . وهذه الامتعة لا بدّ عن قبولها من وكلاء المتقدّم ذكرهم، بموجب ما وقع عليه الشرط، الى حدّ قدر مبلغ ثلاث الاف كيس التى تقتضى[6] الى الجيش الفرنساوى المذكور، لسهولة انتقاله عاجلاً ونزوله بالمراكب. وان كانت الاسعار في هذه الامتعة المذكورة لا توازن المبلغ المرقوم اعلاه، [فان][7] الخسس والنقـص في ذلك لا بدّ عن دفعه في التمام من قبل الباب الاعلى على جهة السالفة[8] التى يلتزم بوفايها ارباب الاحكام الفرنساوية باوراق التمسكات المدفوعة من الوكلاء المعيّنين من الجنرال كليبر سرعسكر العآم لقبض واستيلاء المبلغ المذكور[9].

---

(١) فرضا وفرايض = ضريبة وضرايب.

(٢) بخلّي = يترك.

(٣) وردت في الاصل (توجيه) وهي غير دات معنى، فاقتضى التصحيح. خاصة وانها وردت في النص الفرنسي بما تعريبه: (فانه يترك للباب العالي الضرائب العـاديـة المستحقـة التـي تتـوجّـب لـه حتـى رحيله)، (Aine, Op.cit. P. 173).

(٤) من جراء الميري. وقد ترجمها (اينيه): الضرائب المحصّلة (Les Contributions deja Lercees) (Aine, Op cit. P. 173).

(٥) الخرج: الخراج، وعند البعض اخصّ منه، فالخرج يحتص برسم الرأس، والخراج عام فيه وفي رسم الارض، وعند البعض العكس (محيط المحيط). وقد وردت في النص الفرنسي (مخازن التموين Magasins de Vivres) (Ibid) وهو ما سماه المؤلف (مخازن الخرج).

(٦) تتوجب.

(٧) وردت في الاصل (في) فاستبدلنـاهـا بـ (فـان) لاستكمـال المعنـى، والخَسّسْ: العجـز، والنقـص، والخسارة. وقد ترجمها (اينيه): Défit (Ainé, op. cit. p. 174).

(٨) السالفة: السلفة.

(٩) المعنى: كسلفة يلتزم بايفائها الحكام الفرنسيون وفقا للمستندات التي يقدمها الوكلاء المعنيون من قبل الجنرال كليبر لقبض المبلغ المذكور. انظر النص الفرنسي عند اينيه (Ibid, P. 174)

الشرط السابع عشر

ثم انه، اذ كان تقتضى الجيوش الفرنساوية ببعض المصاريف لخلوّهم مصر، فلا بدّ ان يقبض ذلك، من بعد تقرير مسك الشروط المذكورة، القدر المحدود اعلاه بوجه الذى نذكّره[1]، اعنى: من بعد مضى خمسة عشر يوم خمساية كيس. وفي غلاقة[2] ثلثين يوم خمساية كيس اخرى. وتمام الاربعين يوم ثلاثماية كيس اخرى. وعند [ ][3] كمال الخمسين يوم ثلاثماية كيس اخرى. وفي الستين ثلاثماية كيس اخرى. وفي السبعين يومْ ثلاثماية كيس اخرى. وفي الثمانين يوم ثلاثماية كيس اخرى. وعند غلاقة التسعين يوم خمساية كيس اخرى. وهذه كلّ الاكياس المذكورة هى عن كلّ كيس خمساية قرش عثمنلى. ويكون قبضها من يد الوكلاء المعيّنين لهذه الغاية من قبل الباب الاعلى. ولكى يسهل اجراء العمل بما وقع الاعتماد، فالباب الاعلى، من بعد وضع الامضاء بالنسختين من الفريقين، يوجّه حالا: الوكلاء الى مدينة مصر وفي بقيّة البلاد المستمرّة بها الجيوش.

الشرط الثامن عشر

ثم ان فرض المال[4] الذى يكون قد قبضته الفرنساوية، من بعد تاريخ تحرير الشروط المذكورة، وقبل ان يكون قد اشتهر هذا الاتّفاق في الجهات المختلفة بالاقاليم المصرية، فقد تنحسم من قدر الثلاثة الاف كيس المقدّم القول عنها.

الشرط التاسع عشر

ثم، لكى يسهل خلّو المحلاّت سريعاً، فالنزول للمراكب الفرنساوية المختصّة بالحمولة الموجودة في السمَيَن[5] والاقاليم المصرية مباح به ما دامت[6] الثلاثة اشهر المذكورة المعيّنة للمهلة، وذلك من دمياط ورشيد حتّى الى الاسكندرية، ومن الاسكندرية حتّى الى رشيد ودمياط.

---

(١) وعلى الوجه الذي نذكره: اي على الوجه التالي.

(٢) غلاقة: ختام، نهاية.

(٣) وردت في الاصل (ما) زائدة آثرنا حذفها.

(٤) الضرائب.

(٥) المرافىء (جمع غير صحيح لكلمة: ميناء).

(٦) طيلة.

الشرط العشرون

فمن حيث انه للاطميئنان الكلّى في جهة البلاد الغربية [1]، يقتضى الاحتراس الكلّى لمنع الوبا والطاعون عن انه يتصل هناك، فلا يباح ولا لشخص من المرضى، او من اوليك الدين مشكوك بهم ريحة من هذا الداء الطاعونى، ان ينزل بالمراكب. بل ان المرضى بعلّه الطاعون او بعلّـه اخـرى ايّما كانت، التى بسببهـا لا يقتضى ان يسمح بصرفـه بمدّة خلّـو الاقـاليم المصريـة الواقـع عليهـا الاتّفاق [2]، يستمرّون فى بيمارستانات [3] المرضى، حيث هم تحت امان جناب الوزير الاعظم. ويعالجونهم الاطباء من الفرنساويين، اوليك الذين يجاورونهم بالقرب منهم، الى ان يتمّ شفاهم، يسمح لهم بالرحيل. الشى الذى لا بدّ منه اقتضـا الاستعجال به باسرع ما يمكن. ويحصل لهم ويبدو نحوهم بما ذكر في الشرطين الحادى عشر والثانى عشر في هذا الاتّفاق نظير ما يجرى على باقـى الجيش. ثم ان امير الجيوش الفرنساوى يبذل جهده في ابراز الاوامر باشدّ [صرامة] [4]، لرؤساء العساكر النازلـة بالمراكب. بان لهم من رؤساء الاطبّاء. تلك المين التي يتيسّر لهم بها ان يقضوا ايام الكارنتينا بـاوفـر سهولة [5]، من حيث انها من مجرا العادة ولا بدّ عنها.

الشرط الحادى والعشرون

وكلّما يمكن حدوثه من المشاكل التى تكون مجهولة ولم يمكن الاطلاع عليها في هذه الشروط، فلا بدّ عن نجازها بوجه الاستحباب [6] ما بين الوكلاء المعيّنين لهذا القصد، من قبل جناب الوزير الاعظم وحضرة الجنرال كليبر سارى عسكر العامّ، بوجه يسهل ويحصل الاسراع بالخلوّ.

الشرط الثانى والعشرون

وهذه الشروط لا تعدّ صحيحة الاّ من بعد اقرار الفريقين وتبديل [7] النسخ، وذلك ثمانية ايّام. ومن بعد حصول هذا الاقرار، لا بدّ من حفظ هذه الشروط وحفظ اليقين من الفريقين

---

(١) اي أوروبا، وهكذا وردت في النص الفرنسي (Ibid, P. 175).

(٢) اي لا يسمح باخراجه من مصر في المدة المحددة للجلاء عنها وفقا للاتفاق. وقد وردت بهذا المعنى في النص الفرنسي (Ibid).

(٣) البيمارستان: المكان المعدّ لاقامة المرضى. وهي كلمة فارسية مركبة من بيمار، اي مريض. وستان، اي مكان. وقد وردت (مستشفيات Hopitaux) في النص الفرنسي (Ibid).

(٤) وردت في الاصل (حرامه) فاقتضى التصحيح.

(٥) لقضاء ايام الكرنتينا المألوفة والضرورية، بأوفر التسهيلات.

(٦) فلا بد من انهائها بصورة حبية.

(٧) تبادل النسخ.

كلّيهما. ثم صحّ وتقرّر بختوماتنا الخاصيّة[1] بنا بالمعسكر، حيث وقعت المداولة بجدّ العريش، في شهر بلويوز سنة الثامنة من اقامة المشيخة الفرنساوية، وفي رابع وعشرين شهر كانون الثاني سنة ١٨٠٠ المسيحية الواقع في ثمانية وعشرين من شهر شعبان هلالى سنة ١٢١٤ للهجرة.

وهذه اسماء الوكلاء المضين[2]

مصطفى افندى رئيس الكتّاب	بوسلنج مدبّر الحدود	جناب مصطفى رشيد افندى دفتردار
الجنرال ديزه المتفرقة[3]	الجنرال داماس	ممضى الجنرال كليبر

صحح وجرى بمحل المعسكر العامّ بالصالحية.

[ذكر ما جرى بعد ذلك بين الانكليز والفرنسيين والعثمانيين]

ثم ان الجنرال كليبر، من بعدما امضى على الشروط المقدّم ذكرها، نهض من ارض الصالحية ورجع الى القاهرة، وارسل صورة الشروط الى المطبعة الفرنساوية وطبّعها في العربية، وارسلها الى الديوان الخصوصى بمصر، وهو ديوان العلماء. وشاع خبرها في ساير الاقاليم المصرية، وصار فرح عظيم عند الملّة الاسلامية، باستنقاذ[4] مصر من يد الفرنساوية ورجوعها الى الدولة العثمانية. وبدا الامير كليبر امير الجيوش يجمع العساكر من الاقاليم ويرسلها الى بندر رشيد والى الاسكندرية. وفي هذه الفترة، عزم على السفر الجنرال ديزه وبوسلنج مدبّر الحدود. وسافر ايضاً عدّة جنرالية وكوميسارية، والجنرال دوكا والجنرال ويال وغيرهم. وهولاء جميعهم اتّفقوا يبيعوا خيولهم واثقالهم، ويستحضرون لما يلزمهم في الطريق.

وامّا ما كان من الوزير الاعظم[5]، فانه، من بعد ما مضى الشروط المقدّم ذكرها، ارسل فرمان الى مصطفى باشا كوسا انه يكون قيممقامه فى القاهرة الى ان يحلّ ركابه السعيد. ثم ارسل فرماناً للتاجر المعروف بمصر باحمد المحروقى، وانه يكون مباشر مع مصطفى باشا امور مدينة مصر واقطارها. ثم ارسل صورة الشروط الى الباب الاعلى، وطلب مراكب السفر الفرنساوية من الاسكندرية حكم الشروط المحرّرة. وصار في مدينة القسطنطينية فرحاً عظيماً، وامر السلطان سليم

---

(١) وضع وأقرّ ـ أي الاتفاق ـ وختم باختامنا الخاصة بنا.
(٢) الموقعين.
(٣) جنرال الفرقة: ديزيه (Desais).
(٤) انقاذ.
(٥) الصدر الاعظم.

بزينة عظيمة، وضربت المدافع الكثيرة، وبدت تتجهّز المراكب وتوسق البضايع من القسطنطينية وغيرها لمصر والى الاسكندرية، وسياتي عنها النصّ.

وشاع اخبار هذا الصلح فى ساير الاقطار وكامل الامصار، وكان فرح عظيم وسرور جسيم. وانتشرت الاعلام في اراضى الشام، وكان عند الاسلام الفرح التامّ. وبدا الوزير الاعظم يتقدّم بالجيوش والعساكر، وكلمّا اخلت الفرنساوية محلاً من البلاد يرسل له العساكر والاجناد. وما زال الوزير يتسلّم من الفرنساوية القلع والحصون والبلدان العامرة، الى ان صار بالقرب من القاهرة. وحضر اليه الامير مراد بيك الذى كان مقيم في اراضى الصعيد ومعه جملة من السناجق والكشّاف، واكرمه الوزير واعطاه ولمن معه، وكان قد تضايق من طول الغربة. وترادفت العساكر العثمانية والجيوش السلطانية، وامتدّوا الى مدينة بلبيس والى العادلية، وبقوا مسافة ثلاثة ساعات عن القاهرة بالجيوش الوافرة والعساكر المتكاثرة. واجتمعت عليه العربان وسكّان تلك البلدان. وبقت[1] العساكر تنوف عنماية الف. وخرجت اعيان مصر والعلماء والحكّام وتجّار وعوامّ الى مقابلة وزير الختام[2]. واندهش السمع والبصر من رويا ذلك العسكر والجيش المفتخر. وكادت القلوب ان تذوب من الفرح والسرور، من تغيير تلك الامور، وخلاص بلاد المسلمين من يد الكافرين.

وفي افضل الشهور واحسن السنين، تنكست اعلام الفرنساويين. وسافر اكثرهم الى لاسكندرية، وخليت منهم غالب اراضى المصرية. وجعل الوزير الاعظم يرسل الى مصطفى باشا ان يعلم[3] السارى عسكر الامير كليبر انه يعجل بالخروج من مصر، ولو انه قبل الميعاد، ويقيم في بلدة الجيزة، وهناك تكمل عدّة الايّام المعلومة. واخبر مصطفى باشا الامير كليبر بذلك، فاغتاظ من ذلك الامر واجابه: ان الوزير اسرع بقدومه الى ارض مصر، ولم يسر على حكم ما تقرّر فى الشروط. لاجل ذلك، نخشى وقوع الخلل بين العساكر. اذ اننى ارى عساكرهم مختلطين مع عساكرنا، وهذا ضدّ الشروط التى امضينا عليها. حتّى الى الان لم ارى الذخاير[4] تحضّرت ولا المراكب تجهّزت، وانا فلا يمكنّى الخروج الى الجيزة قبل تمام الميعاد، وتتميم المدّة المعيّنة الى اخر دقيقة. واعرض مصطفى باشا على الوزير جواب الامير كليبر، فلم يقنع الوزير من ذلك السبب، ولم يكلّ من الطلب من هرج الجماهير والغضب، وميل العساكر لبلوغ الارب. اذ كان عجبهم من عجب ولا يسلّم العجب من العطب. فكانوا[5] يلجون الى الكنانة بقلوب من الاحقاد ملآنة،

---

(١) بقيت.

(٢) وزير الاختام، وهو الصدر الاعظم.

(٣) اعتاد المؤلف ان يستعمل كلمة «يعلّم» بمعنى، يُعلم او يُخبر.

(٤) المؤونة.

(٥) اي العساكر العثمانية.

وفي نفوسهم الغدر والخيانة. وهذا وعسكر الفرنساوية لم تزل على حال واحد مستوية، سايرين على ما بينهم، مأمنين من مكرهم[١].

وفي بعض الايّـام، جـاز[٢] احـد الصلـدات في احـد الشـوارع، فنهضـوا عليـه خمسـة مـن الانكشارية، وضربه احدهم بالياتغان[٣] فقتله. وتراكضت الصلدات الفرنساوية واخبرت امير الجيوش، فامر العساكر ان تتجهّز وتستعدّ للمصافقة[٤]. وصارت رجّة عظيمة في المدينة. فبلغ مصطفى باشا كوسا، فركب حالاً من منزله وحضر الى بيت السارى عسكر، فوجده فى حالة الغضب، مستعدّ للافتراس والعطب. وبدا يعاتب مصطفى باشا ويلوم الوزير على سرعة انتقاله وعدم ضبط رجاله. ويذكّره ما تقرر في الشروط من عدم اختلاط العساكر، خشيةً من مثل هذه المشاكل والمخاطر. فاخذ مصطفى باشا يبرّر ذاته ويروّق عكاره[٥]. ويوعده بمنع العساكر عن الدخول، وبقتل القاتلين الخمسة ديةَ المقتول. ولم يزل يرطبه بلين الخطاب حتّى نزع ما بقلبه من الاضطراب وانعم لـه واجـاب[٦]. ثم نهض مصطفـى بـاشـا في الحال، واعـرض على الوزيـر مـا حـدث مـن التكـديـر، وانـذره غـايـة التنـذيـر[٧]. وحـذّره غـايـة التحـذيـر، انـه يكون على حدق بصير، ويُنبّه على الكبير والصغير، ويمنع عن الدخول الى مصر القليل والكثير. ولا يترك احد[اً] يدخل الى مدينة القاهرة، خشيةً من وقوع المخاصمة والمشاجرة. فلما فهم الوزيـر الاعظم ما اعرضه مصطفى باشا، غضب غضباً شديداً ما عليه مزيد. وامر بامتناع العساكر عن الدخول الى القاهرة، وبقتل الخمسة انفار عوضاً عن المقتول. وقبض على الخمسة المذكورين، وارسل خَنَقَهم قدّام بيت السارى عسكر فى بركة اليزبكية. ورقدت الفتنة واستكنت الفرنساوية. هـذا والوزير الاعظم لم يزل يطلب الدخول الى القاهرة قبل تمام الميعاد المعيّن في الشروط، من تقمقم[٨] العساكر عليه. وامير الجيوش لم يمكّنه من ذلك حتّى تمّ الوعدة[٩] وتنقضى المدّة. وكـان الامير كليبر يجمع الجبخانة والعساكر من القلع والحصون ولم يبق سوى القلعة الكبيرة فقط.

---

(١) اي ان الجنود الفرنسيين لم يغيروا من اوضاعهم ومسلكهم، بل استمروا على ما هم عليه، مطمئنين الى ان العساكر العثمانية لن تمكر بهم.

(٢) اجتاز.

(٣) الياتغان او اليطقان: سيف محدّب عند الاتراك والعرب.

(٤) للقتال، للمواجهة.

(٥) مزاجه العكر (والضمير يعود لساري عسكر الجيش الفرنسي).

(٦) اي وافقه واستجاب له.

(٧) الانذار.

(٨) إلحاح.

(٩) حتى يحين الموعد.

ولما انتهى الميعاد الى التمام وفاض عليه خمسة ايّام، ارسل الامير كليبر سرعكسر العامّ الى مصطفى باشا ان يتسلّم القلعة الكبيرة، وكان ذلك نهار الاربعة الواقع في ثمانية من شهر شوّال ذي المعامع والاهوال. فابى مصطفى باشا ان يتسلّم القلعة نهار الاربعة، وذلك لما [يستعقدون] [1] به من النحوسات والتنكيس [2]، وترك التسليم الى الخميس، وكان به الخطا والتعكيس. وقد كان رحل اكثر الفرنساوية الى برّ الجيزة، ولم يبق منهم سوى القليل، والسارى عسكر وشرذمة وجيزة.

وفي تلك ليلة الخميس الذى كان بدو [3] التعكيس، اذ كانوا عزموا عند الصباح يتسلّم مصطفى باشا القلعة الكبيرة، فحضر كتابة [4] الى الامير كليبر من الجنرال سند سميت سارى عسكر الانكليز، وبه يقول: انه لقد حضرت لى كتابة جديدة من مملكة الكليترا، كرسى الدولة الانكليزية، انني لا اسمح لكم بالخروج من مملكة مصر الآ اسراء [5] بيدنا، من بعدما تسلّمونا جميع اموالكم وكامل سلاحكم، وتسيرون معنا الى مملكة انكليترا كرسى دولتنا. واما عهودكم وشروطكم مع الدولة العثمانية على التسليم والذهاب الى مملكة باريز، كرسى المشيخة الفرنساوية، فهى صارت فاسدة وعلى غير قاعدة. واذ كنّا نحن الوسيطين بذلك سابقاً وواضعين شهادتنا بها، فلزم اننا ننبّه عليكم الان بانتقاضها [6] من بروز الاوامر الجديدة. وذلك حكم القوانين الملوكية الدارجة بين الممالك الافرنجية. لكيلا يعود على دولتنا الغدر والخيانة [7] فاعتمدوا تنبيهنا عليكم قبل تسليم الكنانة.

فلما وصل ذلك الكتاب الى امير الجيوش الفرنساوية، واطلع على تلك الالفاظ المنكية [8]، فاتّقدت به النار، وانشبّ [9] من انفه الشرار. واحضر حالاً كامل الجنرالية وباقى رؤساء العساكر وساير الفيسالية، وعقد ديواناً في منزله على شاطى بركة البزبكية، وقرأ عليهم كتاب الجنرال سميت سرعسكر الانكليزية. فشملهم حزن عظيم وغمّ جسيم، وتحرّكت الاحقاد في القلوب، وكادت ان تذوب منهم الكبود [10]، وعظم عليهم ما في ذلك المكتوب. ونادوا جميعهم بصوت

---

(١) وردت في الاصل (يتعقدون) فاقتضى التصحيح. وقد وردت (يستعقدون) في نسخة الشهابي كذلك (ص ٢٩٧).

(٢) من النكسة: الخسارة، السوء، الشؤم.

(٣) بدأ.

(٤) فوصل كتاب.

(٥) اسرى.

(٦) ينقضها لبروز الاوامر الجديدة.

(٧) لكيلا تتهم دولتنا بالغدر والخيانة.

(٨) من النكاية، اي التحدي والقهر.

(٩) نَشَبَ.

(١٠) الاكباد.

واحد وقلب جامد : الدمار بهذه الديار ، ولا الوقوع بهذا الاستئسار . فطفق امير الجيوش يعج [1] عجيج الدهوش [2] بصوت افظ [3] من صوت الوحوش . [ويذكرهم بافعالهم] [4] وتغيير احـوالهم ، وعدم امتثالهم . وحنيّتهم [5] الى الاوطان ، وترك الحرب والطعان . وان لم يقبل الى هذا الصلح [6] والتسليم ، الاّ من بعد ان شاهد قلقهم العظيم ومللهم الجسيم . فاجابوه الجميع : اننا لا نخرج الاّ على موجب الشروط والوثاق المربوط . وبدون ذلك لا تتهيأ لنا المسالك . فنبّه على وزير الختام ان يرجع الى اراضي الشام ، ويثبت لنا [شروطه] [7] ويؤيد لنا خطوطه [8] بكتابة من دولة الانكليـز ويمضى عليها ملكهم لا من المقيم على البواغيظ [9] باذهابنا [10] الى مملكة باريز بامن حريز . وان كان لم يرتجع عن دربه فيلزمنا ان نتصدّر [11] لحربة . وتكون عهوده معنا غير صادقة ، وقصده اخراجنا بالمخاتلة والمنافقة . ليُلقينا في يد اعدائنا ، ويكونوا الجميع مترابطين على سفك دمانا . فعندما نظر امير الجيوش تمكّن قلوبهم ، فاجابهم الى مطلوبهم ، واوعدهم بصدّهم وردّهم الى ان يبلغوا مرغوبهم .

وانتهى الديوان ، وانصرف اوليك الاعيان . وبدا امير الجيوش يفرّق الاعلام على العساكر ، ويعرّفهم بابطال [12] السفر . وشاع الخبر وانتشر . وبدت العساكر ترجع الى منازلها . اذ كـان خـرج اكثرها الى برّ الجيزة ، ولم يبق منها الاّ شرذمة وجيزة . واحضر حالاً مصطفى باشا واخبره بالكتاب الذى ورد من الجنرال سميت ، وان يخبر الوزير الاعظم ان يرجع بعساكره الى حدود

---

(١) عجّ الرجل : صاح ورفع صوته .

(٢) لم نجد تفسيرا لهذه الكلمة سوى (الاندهاش) ، فيكون المعنى : فطفق امير الجيوش يصيح صيحات الاندهاش .

(٣) أفظ : اشد فظاظة ، اشد غلظة .

(٤) وردت في الاصل (ويذكرهم افعالهم) والمقصود (ويذكّرهم بافعالهم) فاقتضى التصحيح ، والضمير هنا عائد الى (كامل الجنرالية وباقي رؤساء العساكر وساير الفيسالية) ، وهكذا فهمها (اينيه) في ترجمته . (Voir- Ainé, op. cit. P. 184)

(٥) وحنييهم .

(٦) وأنه لم يقبل بهذا الصلح ....

(٧) وردت في الاصل (شروط) فاقتضى التصحيح ، وقد وردت كذلك (شروطه) في نسخة الشهابي (ص ٢٦٨) .

(٨) ويؤكد ما تم الاتفاق عليه (اي شروط الصلح التيّ تم الاتفاق عليها وسبق ذكرها) .

(٩) اي من الاميرال سدني سمث قائد الاسطول البريطاني المرابط في البحر المتوسط قبالة المرافىء المصرية .

(١٠) بذهابنا .

(١١) نتصدى .

(١٢) بالغاء .

العريش ويقيم هناك، بينما يخاطب دولة الانكليز ويستاذنهم باخراج الجمهور الفرنساوي من مملكة مصر، واذهابهم الى بلادهم والاوطان، حكم الاتّفاق المقرّر فى الشروط على موجب العقد المربوط. فغاص مصطفى باشا فى تيار من الافكار ليس له قرار، وقال: لعمرى ان هذا الخطب خطير وامر عسير، فلا حول ولا قوّة الآ بالله العزيز القدير. لانه كان ذايقاً تلك الروعة [1] وشارباً كاس اللوعة. فنزل من امام السرعسكر كليبر وهو في همّ وغمّ كثير، وصار [2] الى منزله واعرض على الوزير ما سمعه من الجنرال كليبر، فاغتاظ الوزير غيظاً عظيماً وغضب غضباً جسيماً، وابتدوا يتداولون كيف انهم يحتالون على اخراج الفرنساوية من المدينة بطريقة امينة، وان لم يرتضوا يخرجوهم بقوّة متينة.

وكتب الوزير الى السرعسكر كليبر يقول له: انه لقد بلغنا فحوى الكتاب الذى ورد اليكم من الجنرال سميث سارى عسكر الانكليز، وانه قد توعّد لكم بالاستيئسار بعد خروجكم من هذه الديار. فكونوا امينين مطأنين، ومن هذا القبيل غير خاشين. فالسارى عسكر المذكور [3] لا يستطيع ان يتعرّض لكم من بعد اشهار خاطر الدولة العلية عليكم [4]. ونحن ان شاء الله نهيّىء لكم كلّما يآول [5] الى راحتكم، ولا ندع الانكليز يعارضكم. وتسيروا في مراكبنا الى ارضكم ومواطنكم بكلّ امان واطمينان، بدون ثقلة ولا هوان [6]. وحاشا ان بعد الشفقة تبدا نحوكم القساوة. فالمراد ان تسلّموا المدينة، واذهبوا الى بلدة الجيزة، و[أ]قيموا هناك بكرامة عزيزة، لبينما تتجهّز لكم الذخاير والمراكب، وتسيروا على حسب الشروط المقرّرة والعهود المحرّرة. فقد تمّ وانتهى ميعاد اقامتكم فى مدينة مصر [7]، ولم نعد نسمح لكم بالاقامة بها ولا يوماً واحداً. لاننا بالحصر [8] وعساكرنا وافرة وجيوشنا متكاثرة، وفرساننا جبابرة، ولم نكن [9] قادرين على حجزهم عن الهجوم على القاهرة. ونخشى عليكم من التلاف والعدم، وتندمون حيث لا ينفعكم الندم. فقد نبّهنا عليكم بالخروج والسلام. وارسل ذلك الفرمان ليد مصطفى باشا، واوصله المذكور الى امير الجيوش الامير كليبر. ولما وصل اليه كتاب الوزير الاعظم غضب

---

(١) من الرّوع، اي الفزع والخوف.
(٢) وسار.
(٣) اي الاميرال سمث.
(٤) اي اعلان رضى الدولة العلية عن رحيلكم.
(٥) يؤول.
(٦) اي بدون ضغط ولا اذلال.
(٧) القاهرة.
(٨) لاننا محصورون.
(٩) ولسنا.

وتقمقم[1]، وردّ جواب الى الوزير وهو ان الشروط التى تعاهدنا عليها قد انتقضت وفسدت، لان ساري عسكر الانلكيز، من بعد اقراره بسفرنا الى مملكة باريز، نكث بعهده وخفض بوعده، وقصد لحجزنا وتهيّأ لأسرنا، امتثالاً لاوامر دولته وتكميل وظيفته. وقد نبّه علينا بذلك واعلمنا بساير المسالك[2]. وما مهيّا لنا من المهالك[3] حسب عوايد المهالك. فلاجل ذلك من المستحيل اننا نخرج من هذه المملكة على شروط مشركة[4]، او نسير بطريق غير مسلكة[5] ونلقى نفوسنا بهذه المهلكة. فينبغي ان ترجعوا بعساكركم اقلّها يكون الى مدينة بلبيس، وتقيموا هناك لحينما تُخرجوا لنا اوامر جديدة من دولة الانكليز، بسفرنا الى مملكة باريز، حكم[6] الشروط والعقد المربوط. وهذا جوابنا والسلام.

ولما وصل ذلك الجواب الى وزير الختام اعتراه الهمّ والاغتمام، واخذه الاضطرام من ذلك الكلام، وتراكمت عليه الاوهام، وصعب عليه القيام بهذا الجيش[7] الملتأم. وقامت ضجّة عظيمة بذلك العسكر، وصاحت الاسلام الله اكبر. وطلبوا الهجوم على مصر والمضاربة[8]. وكانت امورهم غير صايبة. واما الوزير الاعظم كان من اعقل وزراء الدولة العثمانية، مشهوراً بالفطنة الزكية والاخلاق المرضية. وهو من الارهاط المستوية[9]. فبقى حايراً في هذه الامور الرديّة، وحدوث تلك الحركة القوية. وتاه فكره ما بين امرين مذهلين، ومشكلتين عظيمتين وخطرين جسيمين. وعظم الامر عليه كيف يرجع الى الورا[ء] بعد ان كان عزم على دخول القاهرة بالمواكب واللواء الفاخرة. وهو الوالى على البلاد، وتحت امره جميع العباد. وجيشه كثير الاعداد وقريب المراد. ومماليك[10] مصر بالحقيقة كانوا ينوفوا عن عشر ملايين خليقة. فلم يسعه ان يرجع على هذا المنوال، وبقى قلبه خايف من الحرب والقتال، خشيةً من الفشل وخيبة الامل. لما يعلم في الفرنساوية

---

(١) تقمقم: تذمّر، وهو من كلام العامة.

(٢) اي بكل الوسائل.

(٣) وما هو مهيأ لنا من المهالك.

(٤) إما من الشَرَك، أي حبائل الصيد وما ينصب للطير، أو الفخ. وشروط مشركة: شروط مفخخة. او الشِرْك، وهي عند العامة: خلاف الصحيح، وتعني هنا: شروط غير صحيحة. ويصحّ في هذه العبارة المعنيان.

(٥) غير مسلكة: غير سالكة.

(٦) وفقا.

(٧) الملتئم، اي جيشه المجتمع، وقد طلب منه الجنرال كليبر التراجع بجيشه هذا الى بلبيس.

(٨) مصر: القاهرة، والمضاربة: القتال.

(٩) اي من الرجالات الناضجة والعاقلة.

(١٠) ربما كانت بمعنى، مماليك او بمعنى: الاقطار المصرية (كما جاء في عنوان الكتاب).

من كامل الفروسية في حربهم الشديد، وما عندهم من المراس وقوّة الباس، وتملّكهم للقلع والحصون، وانصبابهم على الموت والمنون. ولكن غلبت عليه قوّة النفس، وما امكنه يجاوب الآ كجواب امس. وفرّق الاعلام على القبايل والعشاير، وبدا يضمّ لعنده الجيوش والعساكر. وحينما وصل الجواب التاني الى امير الجيوش الامير كليبر ووجد النصّ كالاوّل، وان الوزير عن ابواب مصر [1] لا يتحوّل. فجاوب هو ايضاً بعدم الذهاب والخروج، وبدا يحصن القلع والبروج. وكتب الى ساير العساكر الفرنساوية، التى كانت سايرة الى رشيد واسكندرية، ان يرجعوا الى مصر [1]. وبدا يضعهم خارجاً عند باب النصر. ونصب المضارب والخيام على باب البلد من الجبل الجيوشى الى البحر [2]. وتكامل عسكره على ثمانية عشر الفاً مقاتل، من كل ليث مجادل وقرم [3] مخاتل. واجتمعت العساكر العثمانية مع الطموش [4] المصرية، على نحو مابة وستّين الف. وامتلأت منهم تلك البوادى، من كل وادى ونادى. والمخاطبات كالمجاوبات [5] على نصّ واحد، وزعم جامد، وقلب متباعد. وكل منهم بعيد التدانى، ولا يلين احدهما الى الثانى. واستقامت تلك المحاولات والمخاطبات على ذلك المرام سبعة ايّام. ثم طلب الوزير الاعظم واحد[أ] من المتقدّمين عند الامير كليبر لاجل المفاوضة بذلك الامر العسير، فارسل له الجنرال بوضوط [6] مع ترجمانه الخاصّ، فساروا الى العسكر العثماني، وعند دخولهم على الوزير تحرّك بالغضب عليهما، ولعنهما وشتمهما، وامر بالقبض على الجنرال بوضوط وطرد الترجمان. وقال له: اذهب الى مولاك الكافر وقل له: ان لم في الغد يسافر والآ دهمته بهذه العساكر، واطلقت فيكم النار ولا اعفى على كافر من هولاء الكفار. ورجع الترجمان وهو مرعوب فزعان، ودمعه هتّان على ما حلّ بصاحبه من الذلّ والهوان. واخبر الامير كليبر بما سمع من الوزير. وكيف اسر الجنرال بوضوط وتركه في القيود مربوط. وما توعّد به من الدمار والدثار ان لم يخرجوا من تلك الديار. فلما سمع امير الجيوش ذلك الخبر طارت من عينيه الشرار، وكاد قلبه ينفطر، وقام وقعد وارغا وازبد. وفي الحال امر بخروج المدافع والجبخانة، واحضر مصطفى باشا كوسا الذى كان في مصر مقيم ووضع عليه الترسيم [7]. واحضر القنصل النمساوى وقبض عليه لان كان ملكه متحّد مع الدولة العثمانية. وفي تلك البلاد يحارب

---

(١) القاهرة.

(٢) البلد: القاهرة. وجبل الجيوشي: جنوب شرقي القاهرة، وهو جزء من جبل المقطم. والبحر: بحر النيل.

(٣) الفحل، وقد مرّ ذكرها.

(٤) جمع طمش، وهي الناس، وقد مرّ ذكرها.

(٥) اي الرسائل المتبادلة بين الجنرال كليبر والصدر الاعظم.

(٦) الجنرال بودو Beaudot.

(٧) الحجز او الحبس.

الفرنساوية. وسجن الاثنين في منزله الكاين في بركة اليزبكية. وكان ذلك نهار الخميس الواقع في ستّة وعشرين شوّال[1] الذى به حال الارتحال، وبان تغيير الاحوال، ولاحت علامات الاهوال. وبات السارى عسكر تلك الليلة على نية الحرب والقتال ومصادمة الابطال. وارسل الاخبار الى رؤساء العساكر ان يكونوا على غاية الحذر. وان المسير قبل طلوع النهار، سبحان الله القهّار، القاهر الجبابرة الكبار وهو العزيز الجبّار ذو الجلالة والاقتدار.

[ذكر الحرب بين الفرنسيين والعثمانيين]

ولما كان نصف ذلك الليل، ركب امير الجيوش بالخيل، وسارت قدّامه تلك الابطال والفرسان، كانهم الجانّ أو عفاريت سيدنا سليمان. لا يهابون الموت ولا يخشون الفوت[2]. فليس لهم عن الحرب عايق، ولا يخشون حلول البوايق[3]. بهمّة اقوى من الجبال، وقلوب قد تعوّدت على لقاء الاهوال. وكان قد ترك في منزله الجنرال درانطون[4] مع ستّين نفر صلدات، لاجل حفظ المنزل من الافات. وفي القلاع قليل من الرجال، وعندهم المرضى والمشوّشين، من الحروب معطّلين، والكتّاب والنساء والذين لا يدخلون الحرب تركهم فى الجيزة. وطلب بذلك الجميع الغفير قتال عسكر الوزير، ويكبس على عسكر الاسلام في حِندِس[5] الظلام، والناس نيام، ويبلغ منهم المرام، ومن قبل أن يصل اليهم ويهجم عليهم، اطلق مدفع التنبيه، ثم اطلق ثانية، فانتبهت عساكر الغزّ المصريين لانهم من ذلك معوّدين، وذاقوا حرب الفرنساويين. وركب مراد بيك جواده وقد ارتعد فواده، وارسل الى ناصيف باشا ابن [الوزير][6] الاعظم يقول له: الفرنسيس اقتربوا الينا والظاهر انهم كابسين علينا، فانهض بالعساكر ولا تكن غير فاكر. فاجابه ناصيف باشا بقلب فاتر: ان الفرنسيس الكافر لا يستطيع الهجوم على هولاء العساكر. وفي تلك الساعة، اطلق امير الجيوش المدفع الثالث الكبير، وهو مجدّ بالمسير. فتحقّق ناصيف باشا قدوم الكفّار، وبقى في رعب وافتكار، وايقن بالذلّ والاحتقار. وكان هو في اوّل عسكر في الانكشارية مع الغزّ المصرية. وانتبهت عساكر الاسلام واستعدّوا للحرب والصدام، ومشوا بضجّة وهرج طالبين ملاقاة

---

(١) شهر شوال عام ١٢١٤هـ. الموافق لشهر آذار / مارس عام ١٨٠٠م.

(٢) بمعنى الخسارة.

(٣) مفردها بائقة، وهي المصيبة.

(٤) الجنرال ديرناتو Durnateau.

(٥) حندس الليل: أظلم، والحندس: الليل المظلم.

(٦) وردت في الاصل (وزير) فاقتضى التصحيح.

الافرنج. هذا والفرنساويون قادمون عليهم بقلب غير هايم [١]، وضرب البارود الدايم. ولما تقاربا الفريقان، وهجمت الاسلام بضجيج ارتعدت منه الجبال، ولكن بقلوب مرتاعة من لقاء الاهوال. فرجعت الى خلف الفرنساوية بمخاتلة ومكيدة، حتّى طمعت بهم تلك الجماهير المتشدّدة. فانقسمت الفرنساوية قسمين، واطلقوا عليهم مدفعين، ثم اطلقوا عليهم نار البارود، ودهمتهم تلك العساكر والجنود. فيا لها من ساعة يكلّ عن وصفها اللسان، وترتعد من ذكرها الابدان، وترتعب من سماعها الانس والجانّ. وتصادمت تلك الجيشان العظام تحت غسق الظلام. وماجت جيوش الاسلام، واكثرهم طلب الهرب والانهزام. وصدمتهم الافرنج اى الصدام، واورثتهم مواريث الاعدام. وبدلت [٢] فيهم الحُسام تحت ستور الظلام، والتطمت العساكر كالبحور الزواخر. وارمت الفرنساوية عليهم الكلل والقنابر، كالسيل القاطر. وجادوا عليهم بضرب السيوف البواتر. وكثر الصياح وزاد النواح. وزهقت الارواح من ضرب السلاح. وطلبت الاسلام الهرب والرواح في تلك البوادى والبطاح. وصاحوا: الفرار الفرار من وقوع الاقدار. وقد بليوا بالعدم والدمار والذلّ والانكسار. وتشتّتت تلك الجيوش فى البرارى والقفار. وهم يتعوّذون بالله الجبّار من شدّة باس الكفّار، الذين لم يكن لهم بالموت افتكار. وولاّ [٣] الوزير ومن معه هاربين وللنجاة طالبين. ولم يزالوا الفرنساوية فى اثرهم سايرين. وما طلع الصباح واشرقت الشمس على تلك الارض، الاّ وبقت القتلاء مطروحين فى طولها والعرض. هذا وذلك الاسد المغوار والليث الهدّار كليبر الجنرال امير الجيوش يعّج عجيج الجمال ويحرّض ابطاله على الحرب والقتال، ويقول لهم: اجعلوها وقعة الانفصال، ولا تبقوا على احد من هولاء الانذال. ولم يزالوا يرموهم بالبارود والنار والقتلاء [٤] تتساقط مثل اوراق الاشجار، والسارى عسكر بجواده باوّل العسكر، كالاسد الكاسر والعُقاب الجاذر [٥]. الى ان دخلوا القوم مدينة بلبيس. ودخل الوزير الى المدينة بنفس حزينة، ووصلت الفرنساوية بذلك الاقتدار، ويتقدّمهم الاسد المغوار والليث الهدّار، واحاطوا بالاسوار. وارسل الى الوزير ان يترك البلد ويخرج منها والاّ يحرقها بمن بها. فردّ له جواب ان مدينة مصر قد امتلكوها ناصيف باشا والغزّ المصريون. وانتم الآن صرتم منها مطرودين. فاترك الحرب وارجع عن الطعن، ودعنا نعود لما كنّا عليه من الشروط والعهود. فقال الامير كليبر للرسول: ارجع الى

---

(١) من الهيام: العشق والحب. او الضياع والتيه، مثل (هام على وجهه). فيكون المعنى: إما ان الفرنسيين قادمون على القتال وهم غير راغببن فيه. او ان يكونوا قادمين عليه بقلب ثابت، غير ضائع ولا تائه. والمرجّح ان المؤلف يقصد المعنى الثاني كما يتبين من سياق الحديث.

(٢) وردت في الاصل (بدلت)، وبذلت: أنزلت.

(٣) ولّى: ذهب.

(٤) القتلى.

(٥) الكاسر.

صاحبك الوزير وقل له ان يخرج من هذه البلد، والاّ احرقها بالنار، ولا اتركه يقيم ساعةً من النهار. وان كان قصده يتّفق معنا اتّفاقًا جديدًا، فيذهب الى قلعة العريش، ومن هناك يخاطبني بما يريد. وانا قد خاطبته امراراً[1] ان يرجع الى بلبيس ويجاوبني بما يقتضى، فما كان يقنع ولا يرتضى. واما الان لم يمكن اطاوعه على ذلك، بعدما سقيت عساكره كؤوس المهالك. وبعد جملة المراسلات، تحقّق الوزير ان لا يمكن يرجع عنه الان وهو في ذلك المكان، فخرج من مدينة بلبيس وسار الى الصالحية والى قطية، ومن قطية الى العريش. ولم يزل سايراً الى مدينة غزّة، وامير الجيوش ساير في اثرهم على مهله الى ارض الصالحية. وقد تفرّقت تلك الجيوش في البراري والقفار، وحلّ بهم الموت والدمار، ومات كثير على الطرقات من التعب والعطش والجوع والحرّ بتلك الفلوات. وكسبت الفرنساوية تلك الاموال والخيل والجمال، والعُدد الغوال، والمدافع والجبخانات.

وحينما وصل امير الجيوش الى الصالحية، ارسل الجنرال بليار[2] على طريق البرّ الى حدّ دمياط، ووضع جانباً من الصلدات فى قلعة قطية، وقلاع بلبيس والصالحية. ولما وصل الجنرال بليار الى دمياط، فخرجت عليه اهلها والاتراك الذين بها. والقاهم ذلك الجنرال بالرجال والابطال قدّام المدينة، واطلق عليهم المدافع المتينة. فرجعوا من امامه مهزومين وللنجاة طالبين. واحتموا في منازلهم والبيوت من شرّ ذلك البَهموت[3]. وخرجت العلماء والاعيان وطلبوا منه الامان، ووضعوا المحارم في اعناقهم اشارةً الذلّ والهوان. ودخل الى المدينة وتسلّم الحصون المتينة، ورجع فى الحال الى مصر بكلّ عزّ ونصر.

واما ما كان امير الجيوش كليبر ذلك البطل الحضير[4] فانه، حين كسر عسكر الاسلام، وفرّقهم فى تلك الروابى والاكام، وهمّ في مسيرة في طلب الوزير، الى ان اشرف على مدينة بلبيس. فبعدما ابعد[5] في تلك الاراضى، تجّمع البعض من عساكر [الاسلام][6] عند ضحا[7] النهار، فمنهم الغزّ وناصيف باشا العظيم، والبعض من الانكشارية والمصريين الذين في تلك

---

(١) مرارا.

(٢) الجنرال بليار Augustin Daniel, comte Belliard (١٧٦٩ـ ١٨٣٢) رقي الى رتبة جنرال في معركة آركول Arcole. وقد شارك في حروب الثورة والامبراطورية، وعين سفيرا لبلاده فى بلجيكا من عام ١٨٣١ حتى وفاته، (في عهد لويس فيليب).

(٣) البهموت: من اسماء الشيطان، ورجل بهموت: اي صاحب احتيال ودهاء وخبرة. وهي كلمة سريانية الاصل (وقد مرّ ذكرها).

(٤) الحاضر.

(٥) ابتعد.

(٦) وردت في الاصل (السلام) فاقتضى التصحيح.

(٧) ضحى.

الاراضي خبيرين. واتوا الى مصر ودخلوا من باب النصر. وكتب ناصيف باشا الى الوزير يعرّفه انه قد دخل القاهرة بعساكر وافرة، وملكوا الكنانة [1]، لانه لم يكن بها احد من الفرنساوية. وارسل الكتاب مع هجّان، ولم يدر ما حلّ ببقية عسكر الوزير من الذلّ. وحين دخل ناصيف باشا والغزّ الى مصر [2] استبشرت اهلها بالعزّ والنصر، وكانوا قد خافوا من الفرنساوية لترجع اليهم، وتبذل سيوفها فيهم. فاستنهضوا مع الغزّ في الحال، وعلّلوا ارواحهم بالمُحال. وهجموا على حارة الافرنج النجّار، فنهبوا الاموال وقتلوا الرجال، وسبوا الحريم وقتلوا الاطفال. وبدوا يتعصبّون عصباً [3] ويهجمون على دور النصارى، فينهبون ويسبون ويصنعون القساوة والفساد. شي ما له تعداد. وهجموا على حارة الاقباط وقفلوا فى وجوههم الابواب. وكان بها ذلك القبطى الذى كان مع الجنرال ديزه في الصعيد، فردّهم مع اصحابه في الحرب العنيد والرصاص الشديد. واتت الغزّ الى حارة اليزبكية، وهجموا على بيت السارى عسكر. فضربتهم الصلدات بالرصاص والنار، ومنعوهم عن دخول الدار. وكان لهم يوم يذكر جيلاً بعد جيل، لما به من الهول الجزيل، والخوف العظيم والهمّ الجسيم، والعذاب الاليم. وقد تيقّنت النصارى بالهلاك والدمار، وهتك الحريم وخراب الديار.

وقام عثمان بيك كتخذا الدولة العلية في ذو الفقار [4]، ومعه الامراء المصرية. واتت اليه المشايخ والعلماء الاسلامية، وجميع التجّار مع التاجر المشهور السيّد احمد المحروقي، المعلوم عند الوزير بالمعرفة والتدبير، وناصيف باشا نزل عند بركة اليزبكية بالإنكشارية. واما مراد بيك لم يدخل البلد احتساباً ممّا يتجدّد، وبقى يجول في برّ الجيزة في شردمة وجيزة، بفطنته الحريزة. وكان عثمان بيك كتخدا الدولة العلية ذو نفس عتيّة واخلاق مرضيّة، وفطنة ذكيّة. فاخذته الشفقة والرحمة على الرعية، واطلق المناداة برفع الاذاة [5] عن النصارى والرعية. ومنع الاسلام المنع التمام عن النهب والحرام، وقال لهم: لا يجوز في ساير الاديان الاذاة على رعية السلطان. وغضب من

---

(١) تأتي هنا بمعنى: القاهرة. والكنانة، في الاصل: اسم يطلق على بلاد مصر كلّها.

(٢) القاهرة، وقد كان اسم (مصر) يطلق، في ذلك الزمن، على القاهرة بالذات، وهو ما نجده، غالبا، في النص الذي بين ايدينا، ويعرف من سياق الحديث.

(٣) اي تجمّعوا عصابات.

(٤) قام: بمعنى: اقام. وذو الفقار: حي في القاهرة، وتعني العبارة: «وأقام عثمان بك كتخدا الدولة العلية في ذو الفقار». ولكنها وردت في نسخة الشهابي (ص ٣٠٤): «وقام عثمان بك كتخدا الدولة العلية وذو الفقار». وهذا خطأ. وترجمها اينيه «وسار عثمان بك... الى حي ذو الفقار»، وهذا خطأ ايضا، ونحن نرى صحة ما ورد في النسخة التي بين ايدينا، وما ذهبنا اليه في شرحها، اذ انه، لو اراد المؤلف القول: «سار عثمان بك»، وليس «أقام...»، لاردف قوله بالقول «الى ذو الفقار» وليس «في ذو الفقار».

(٥) الاذى.

ذلك الشان، وامر اجناده[1] ان تدور بالحارات، وكل من بدا منه فساد يقطعوه بالسيوف الحَداد[2]. ولم تزل النار تثور والشرّ يفور. والخلايق قايمة والهيجاب دايمة على حارات الاقباط وبيت الساري عسكر، ذلك النهار بتمامه، والليل بظلامه. والخلايق تجتمع والجماهير تندفع، وهم يهيجون هيج الجمال، ويهجمون هجم الرجال، ويرجعون خايبين الامال. وقد اندهشت الابصار وحارت الافكار، وتاه العقل وطار، وحار القايل ما يقول، وخشى الناقل تكذيب المنقول، في صلابة اوليك الستّين صلدات[3] الابطال، وثبات قلوبهم على حمل هذه الاهوال. اذ كانت تهجّم عليهم الخلايق افواج كالبحر العجاج، وتهجم عليهم الجيوشّ هجمات الوحوش، الوف الوف، تفوق العدد والصفوف، ما لها مدد. وهذا الجنرال الصنديد يتلقّاهم بعزم شديد. وذلك الثبات بستّين صلدات. واستمرّوا على ذلك الشان يومان عظيمان. وهذه العوالم[4] تندفع دفعة بعد دفعة، وهى على بيت الساري عسكر مجتمعة، وعن حربهم غير مرتجعة، ولا زالوا يهجمون ويرجعون بلا منفعة، حتّى ولّى ذلك النهار القهّار. وكان اوليك الصلدات تتلقّى تلك الجموعات الهاجمة من كل الجهات. اذ كان كل منهم يصادم الوفاً، ويرغم انوفاً، ويهزم صفوفاً. فاجتمع رأيهم ان يتركوهم ويذهبوا الى الجيزة. وما كانوا يعلمون ما تمّ الى العساكر الفرنساوية مع العساكر العثمانية، فى تلك البرية. وحين رأوا اكتر تلك العساكر التى دخلت الى مصر، استبشروا بالعزّ والنصر. وبينما هم سايرين الى الجيزة، فالتقاهم رجل راكب من عسكر العثمانية، على جواد متين عليه هيْئَة السفر، فسألوه ما الخبر، فاعلمهم ان جيش الوزير انكسر، وامير الجيوش انتصر. فانقطعت ظهورهم وحاروا فى امورهم. وانثنوا على اوليك الصلدات. وزاد الحرب وكثر البلاء والكرب، واظهر ذلك الجنرال درناطون [Durnateau] غرايب الفنون. وكان هذا الجنرال راسه ممسوح من الشعر لكبر سنّه، فكانت اهل مصر تدعوه الاقرع والليث الادرع.

واشتدّ الحصار، وهاجت اهل المدينة، واظهروا الاحقاد الكمينة. وهجموا على منزل مصطفى اغا واتوا به الى قدّام ناصيف باشا، وقدّموا عليه شهودات[5] بانه كان يؤذى المسلمين ويودّ الفرنساوية. فامر الباشا بقتله ونهب منزله. وقبض ايضاً على اناس كثيرين من المسلمين الذين كانوا يخدمون الفرنساويين، واذاقوهم الموت المهين، واوردوهم موارد التلاف[6]. وقبضوا على الشيخ

---

(١) جنوده.
(٢) الحادّة.
(٣) اي الستين جنديا.
(٤) هؤلاء الناس، هؤلاء البشر.
(٥) شهود او شهادات.
(٦) التلف، الفناء

خليل البكرى نقيب الاشراف، واتوا به حافياً عرياناً ذليلاً مهاناً، وقدّموه الى عثمان بيك. فامر باطلاقه بعدما قدّموا عليه جملة شهادات، وكان فى اكثر الاوقات شرب في منزله مع الفرنساوية المنكرات. هذا وتلك الهجمة متّصلة على تلك الصلدات من جميع الجهات، وعلى حارة الاقباط التى بها يعقوب الصعيدى، وقد كافح هذا الرجل كفاحاً عظيماً وعارك عراكاً جسيماً. وفي سادس يوم من تلك الاسباب والامور الصعاب، هجمت الاسلام على حارة الاقباط، ونهبوا البيوت، وايقنـوا النصارى فى الهلاك والارتباط. فهذا ما كان من احوال مصر وذلك الاتّفاق.

واما ما كان من مدينة بولاق، فانهم حينما بلغهم دخول ناصيف بـاشـا والغـزّ الى مصر بـالعـزّ والنصر، فظنّوا ان عسكر الاسلام انتصر وجيش الفرنساوية انكسر. فقاموا على النصارى الرعية فنهبوا اموالهم وسبوا اعيالهم. وعصوا اهل بولاق عصاوة شديدة، وبنوا متاريس جديدة. وبعد ثمانية ايّام وصل امير الجيوش الى دار الكنانة، فوجدها من الاخصام ملآنة. وقد اشهروا العداوة واظهروا العصاوة. وحدّثهم عقلهم الزميم[1] في الجهل العميم على عدم التسليم. واحتاط امير الجيوش بعساكره الوافرة حول دايرة القاهرة، وصلبت اعناقهم على المحاصرة. ومنع الداخل والخارج، وسدّوا المسالك والمدارج. ونشب القتال بينهم، نهارهم وليلهم. فطلبت خلّو المدينة العساكر والحكّام، فما مكّنتهم من ذلك الاعوام[2]. [وتصدّت][3] الاعيان ذوى البيوت، وحثّهـم على الاقامة والثبوت. ومنهم ذلك البهموت السيد احمد المحروقى، فهو يتصدّر للجدال وصرف الاموال، [وحرّض][4] الرجال على الحرب والقتال. ولم يزالوا المصريون مصرّين على غرورهـم المتين في محاربة الفرنساويين. وكان امير الجيوش قد تمكّن بعساكره من القلع والاسوار، بالكلل وقوّة النار. وكتب الى مدينة الاسكندرية يسترجع الجبخانة والمدافع التي كان ارسلها حين عزم على التسليم. وارسل الى الجيزة احضر مصطفى باشا كوسا وارسله الى دمياط.

وقد بلغ امير الجيوش ما ابدوه اهالى بولاق من العصاوة والنفاق، فارسل اليهم ذلك الاسد الهدّار والليث المغوار الجنرال بليار، وامره ان يهجم عليهم بالنار، ويهدم الحصون ويخرب الديار. فهجم عليهم ذلك البهموت، فما قدروا على الثبوت. وتركوا المتاريس والتجوا للبيوت. فهجمت عليهم تلك العساكر بالرصاص المتكاثر، والسيوفُ البواتر. واحرقوا المنـازل. واشتـدّت الاهـوال وهربت الرجال. وبكت النسوان والاطفال. وصاحت الكبار والصغار: الامان الامان ياجنرال

---

(١) الضيّق.

(٢) العامة، الجماهير.

(٣) وردت في الاصل (وتصددت) فاقتضى التصحيح.

(٤) وردت في الاصل (وحرّص) فاقتضى التصحيح.

بليار. فلما سمع بكاهم حنّ الى شكواهم، وامر الصلدات بحفظ الحياة ومنع الممات. وعفى عن قتل الرجال. وبدوا ينهبون النساء والبنات ويهتكون الحرايرالمخدّرات[1]. واستمرّ هذا البلاء العامّ ثلاثة ايّام. ففي تلك المدينة هدمت المنازل المتينة، واحترقت البضايع الثمينة، وراح على التجّار من المال والبضايع عدّة خزاين وافرة. اذ كانت بولاق اسكلة القاهرة، فتجمتع بها البضايع والاموال، وهي محلّ للاستقبال والارتحال لقربها الى البحر. وكانت خزينة مصر. ودترت هذه المدينة في تلك الفتوح المهول، عن سوء تدبير اهلها المخذول. ومن بعد هذا الخطب العظيم والخراب الجسيم امر امير الجيوش ان يوخذ من اهلها اربعة الاف كيس تمام الانكيس[2] وكانت عساكر الفرنساوية مقيمين حول دايرة القاهرة، نهاراً وليلاً على المحاصرة والمجادلة والمشاجرة. وعساكر المدينة لم تمتنع من الهجمات وراء المتاريس المتينة، في ساير شوراع المدينة، في كل الجهات. وقد عزّ القوت وهدمت البيوت. وكانت ايّام شديدة الاهوال غريبة الاحوال، تتزعزع من ذكرها الجبال، وتشيب من اهوالها الاطفال. وقد شدّت الفرنساوية الحصار، وصارت العساكر تهجم الليل والنهار، وترمى على المدينة النفط والنار، والكلل والقنابر الكبار. وبقت اهل البلد يضجيج وعجيج، والخلايق في [ا]ضطراب[3] ورجيج. والولولة من النساء والصياح، والبكاء والعويل والنواح. وكانت الرجال والنساء والاولاد يختبون[4] تحت العقودات[5]، من تساقط الكلل والقنبار من القلعات. ولم يكن في تلك الايّام رقاد، ولا مكان مؤتمن. بل حرب مستطيل، وكرب دايم جزيل، ونوح وعويل. فيالها من ليلة ما امرّها، واشدّها واحرّها. ليلة فتحت بها ميازيب[6] السماء، وهطلت وغمّ وجه الارض بالمياه. فاستنهزت[7] الفرنساوية الفرصة وهجموا في تلك الحصّة[8]. واثاروا حروب عظيمة لم يكن مثلها في الوقايع القديمة. واتّقدت النيران في اربع جهات القاهرة. واحترقت بيوت كثيرة في تلك الليلة الماطرة، مع الحرب المتّصل والضرب الغير منفصل. وماتت خلايق لا تحصى من الفريقين. وزعق عليهم غراب البين. وكانت الكلل تتساقط عليهم من القلع كالبرد على وجه البقاع. واذ كانت الناس مستترة في البيوت الذين على رصيف الخشب الكاين في اليزبكية، فاوقدت بهم النار الفرنساوية. فكانت ساعة لا تُعدّ بالساعات، من

---

(١) الحرائر، جمع حرّة: والمخدّرات: المقيمات في خدورهن، اي المحصنات.

(٢) اي لقاء الهزيمة.

(٣) وردت في الاصل (الاضطراب) فاقتضى التصحيح.

(٤) يختبئون.

(٥) جمع غير صحيح لكلمة (عقْد) وهو السقف من الحجارة المعقودة بعضها ببعض، وجمعها = عقُود.

(٦) مفردها ميزاب: اي مزراب.

(٧) انتهزت.

(٨) الفترة.

تلك البلايا النازلات. وهجمت الفرنساوية [وطردوهم] [١] من تلك الحارات. واحرقوا منازل كثيرة بتلك الجهات.

واذ شاهدت العساكر المحاصرة داخل القاهرة تلك النيران الوافرة، وعدم النجاح بهذه المصادرة. فضجّوا وقالوا: كفانا هذه المخاطرة. وكانت الفرنساوية قد احرقوا حارات متّسعة، كحارة الحزوبى العدوى لحدّ باب الشعرية، ورصيف الخشب وما يليه من المنازل العلية، فاجتمع رأيهم ان يطلبوا الامان، وعقدوا في بيت ناصيف باشا ديواناً. وقد اجتمعت السناجق والكشّاف [٢]، وعثمان بيك كتخدا الدولة، والعلماء والاشراف. واخذوا يتفاوضون في امر التسليم، والخلاص من هذا البلاء العظيم. وفيما هم في الاجتماع، واذ قد سقطت عليهم بومبه [٣] من القنابر ففرّق جميعهم، وايقنوا بالموت والنزاع، وقالوا: هذه هى الاخيرة [٤]، وقد استخرنا الله وهو نعم الخيرة. فالتسليم اسلم لنا عاقبة من هذه المجادلة والمعافية. وانتخبوا اتنين من المشايخ وهم عبد الله الشرقاوى وسليمان الفيومى، واثنين من السناجق: عثمان بيك البرديسى وعثمان بيك الاشقر. واخذوا بيراق [٥] ابيض معهم اشارةً الامان، وساروا مُشاة الى البركة اليزبكية. ولما قربوا من ذلك المكان، ونظر اليهم امير الجيوش من بعيد، وعرف الاشارة، فامر برفع ضرب البارود، وارسل اليهم وزيره داماس ومعه ترجمانه الخاصّ. فلما تقابلوا قال لهم الجنرال داماس: ما مرامكم؟ فقالوا له: تسليم المدينة، وخروج العساكر بطريقة امينة. وسفرهم الى اراضى الشام من القاهرة، من دون مَشقّة ومخاطرة. وفرمان الامان الى الرعايا والاعيان. فرجع الجنرال واخبر امير الجيوش بذلك، فردّ الجواب: ان الباشا وكتخدا الدولة، مع الغزّ والسناجق وكامل العسكر، لهم الامان. واصدر لهم فرمان [بان] [٦] ينقلوا الى قاطع الخليج [٧] ويقوموا [٨] هناك ثلاثة ايّام. بينما يتجهّز لهم ما يحتاجون من لوازم الطريق لارض الشام. ويخرجون بساير خيلهم واثقالهم. وعند السفر يسير معهم الجنرال رانيه [٩] باربعة الاف صلدات الى الصالحية،

---

(١) وردت في الاصل (وطردهم) فاقتضى التصحيح.

(٢) السناجق: مفردها سنجق، وهو حاكم الدائرة التي تحمل الاسم نفسه (السنجق). وقد مرّ شرحها. والكشاف: مفردها: كاشف، وهو، في مصر، رئيس المقاطعة (محيط المحيط).

(٣) عن الفرنسية Bombe، وهي القنبلة.

(٤) الآخرة.

(٥) راية.

(٦) وردت في الاصل (بل) فاقتضى التصحيح.

(٧) خليج السويس.

(٨) ويقيموا.

(٩) الجنرال رينييه Reigner.

ليلا[١] يصير لهم معارضة في الطريق من اهل البلاد، ويكون سبيلاً للفساد. وجميع ما يتركون من المجاريح وذوى الامراض فيكون لهم الامان وعدم الاعتراض. ولاجل عدم وقوع الخلل[٢] منهم بعد اصدار هذا الامان لهم، يكون عندنا منهم اثنان رهينة لحينما يخرجون من المدينة، ويصلون الى ارص غزّة، ويرجع الجنرال رانية الى مصر بسلام، فنطلق سبيل الرهاين بكل اكرام. وقد اصدرنا لهم هذا الامر الكافى والامان الوافى. واما اهل المدينة فلا نمنحهم الامان، وليس لهم ان يسألوا عنهم الان. لانّهم رعاياى وتدبيرهم مختصّ بى. فرجعواالسنجقان والشيخان واعرضوا القول على الغزّ والباشا وكتخدا الدولة، فامتثلوا القول، وعقدوا الرأى على ارسال سنجقين رهينةً وهما: عثمان بيك البرديسى وعثمان بيك الاشقر، وحضروا لعند امير الجيوش، ونبّهوا حالاً على العساكر بالانتقال الى الجهة الثانية من الخليج. ودخلت العساكر الفرنساوية واخذوا الجهة الواحدة من الخليج، وتملكّوا المتاريس. ونصبت الغزّ والعساكر العثمانية اوطاقها خارجاً عن باب النصر، وشرعوا يتأهبون لاجل السفر من مدينة مصر. ونصب الجنرال رانية مضاربه امامهم. وكان حزناً عظيماً عند المصريين، وسقط عليهم خوف جسيم، وبدوا بالنوح والعويل، والبكا[ء] والتعداد[٣] المستطيل، فى جميع منازل الاسلام الخاصّ والعامّ. وبدوا يسبّون الغزّ ويشتمونهم وهم خارجين، ويقولون لهم: قد احرقتمونا بناركم من بغيكم وضلالكم، واسيئتم[٤] الينا وطرحتم شرّكم علينا، وقتلتم رجالنا ويتّمتم اطفالنا.

وفي الثلاثة ايام، خرجت العساكر من مصر بالتمام. وخرجت معهم عدّة من العوالم[٥] وساروا قاصدين غزّة والاراضى الشامية. والجنرال رانية ساير في اثرهم بمن معه من الفرنساوية. الى ان اوصلهم للصالحية. واستراحوا يومين واخذوا ما يحتاجون، وتوجّهوا لقطية. وقد ساعدهم الجنرال بما يحتاجون اليه من الماكل ومن الخيل والجمال. وتعجّبت الاسلام من امان هولاء الانام، وحفظهم للذمام. اذ كانوا خاشين[٦] من خيانتهم بالطريق وغدرهم في تلك البريّة. ثم رجع الجنرال عنهم الى القاهرة بعزّة وافرة.

---

(١) لئلاّ.

(٢) ولكي لا يصدر منهم اخلال بالاتفاق.

(٣) بمعنى النواح الذي يرافقه ندب وعبارات حزن وألم.

(٤) وأسأتم.

(٥) مفردها: عالَم، وتعني: الخلق كله، او الناس والبشر. والمقصود: انه خرج مع العساكر من مصر عدد كبير من اهالي البلد.

(٦) من الحشية، خائفين.

واما امير الجيوش، فانه بعد ما سارت العساكر، امر بان يعملوا فرحة عظيمة، وحضرت اليه الاعيان والحكّام والعلماء وارباب الديوان. واقعد عن يمينه السنجقين بكل اكرام. ورجعوا الفرنساوية الى محلاّتهم في المدينة. وبعد ثلاثة ايّام، عمل امير الجيوش ديواناً ودعا اليه العلماء والاعيان وقال لهم: انّي كنت اظنّكم ايها علماء الديوان انكم من الناس العقلاء ذوى الاذهان. والان قد استبان لي ان عقولكم اخفّ من عقول الصبيان، واجهل من النسوان. لان بعد معرفتكم انى قد قهرت وزير السلطان، وشتّتت جيشه في البرارى والوديان، فقبلتم شرذمة يسيرة وفرقة حقيرة، هاربين من سيفى الباتر وقوّة بطشى القاهر. وادخلتموهم القاهرة، واخذتم تحاربونى بعيون فاجرة. مع انكم تعلمون لا تربحون الاّ الذلّ والاهانة، وخراب وطنكم الكنانة. وهلاك الرجال وذهاب الاموال. وقد كنتم قادرين على طرد هولاء القوم الهاربين، وعدم تمكّنهم الغير الامين[1]. وانى قد كنت قادراً بعد حضورى ان احرق المدينة في الحال، ولكن اخذتنى الشفقة على النساء والاطفال الذين لا رضا لهم بهذا الوبال والنكال. والان قد صفحت عن خطأكم[2]، ولكن يلزمكم ان تدفعوا مليونين من الريال، مبلغها ستّة عشر الف كيس ثمن دماكم[3]، وعشرين الف بندقية، وخمسة عشر الف جوز طبنجات، وعشرة الاف سيف، واربعماية بغل، ومماية حصان. وهذه يكون منها على السيّد احمد المحروقى ماية وخمسين الف ريال، وعلى شيخ مصطفى الصاوى خمسين الف ريال، والشيخ العنانى ثلاثين الف ريال، وبقيّة المال على اهالى البلد جميعها. واما النصارى فليس لهم ان يساعدوكم بدرهم واحد، فكفاهم ما جرا عليهم منكم من الوبال، والهتيكة[4] وسلب المال. وما تكبّدوه من الاضرار وسفك الدما[ء] منكم يا اشرار. مع اننا افهمناكم امرار[5] عديدة اننا نحن لسنا من النصارى، بل نودّ الاسلام ونحترم القرآن بكل احترام. وما سمحنا لهم بحمل السلاح الاّ ليحموا انفسهم منكم يا قباح. اذ نظرنا هجومكم عليهم. ثم نهض من قدامهم وهو مملوء من الغضب ولم يلتفت اليهم. ثم استدعى يعقوب القبطى الذي ذكرنا انهم حاصروه في حارة الاقباط، وامره ان يستود منهم في الحال ما طلبه من المال. وارسل قبض على السيد احمد المحروقي، وضبط منزله وارسله للقلعة. وسجن ايضاً امرأته فكان امر عظيم عند المصريين، وغمّ لا يوصف عند المسلمين. وارتجّت تلك الديار من سطوة هذا الاسد المغوار. وخافت منه الصغار والكبار. وقطعت الاسلام الامال من التغيير والابتدال.

---

(١) اي لا يستطيعون ضمان امنكم.

(٢) خطئكم.

(٣) اي ثمنا لحفظ دمائكم وحياتكم.

(٤) من هتك: فضح. والهتيكة: الفضيحة.

(٥) مرارا.

وخرجوا النساء حروجاً شنيعاً مع الفرنساويين. وبقت [1] مدينة مصر متل باريز في شرب الخمر والمسكرات والاشياء التى لا ترضى ربّ السماوات. ورجعت الوُلاة والحكّام لما كانوا عليه اوّلاً من الاحكام. واحضر امير الجيوش السيد خليل البكرى الذي قد كانوا الاسلام نهبوا بيته، وانعم عليه بما كان راح له، وارجعه الى الديوان كما كان. واحضر رجلا ونصبه عوض مصطفى اغا الذى قتلوه، واقامه على الانكشارية. ثم يعقوب القبطى انعم عليه بالجنرالية، ووضع على كتفه شراديب [2] الذهب كالعادة هذه المنصبية [3] وامر[ه] [4] ان يجمع عسكراً من الاقباط. ودعى من ذلك الحين الجنرال يعقوب. وكان ذلك مكافاةً له لما ظهر منه من الشجاعة والفروسية مع الصلدات الفرنساوية. وجمع ثمانماية راجل من الاقباط ولبّسهم لبس الصلدات. وكانت الفرنساوية تعلّمهم فنون حرب الافرنجية، في كل يوم بكرة وعشيّة. ثم احضر نقولا قبطان الروم واكرمه غاية الاكرام، واعطاه الوظيفة الجنرالية، ووضع على كتفه الشراديب الذهبية، وذلك لما ظهر منه من الشجاعة والرجولية، واقامه جنرال على العسكر الرومية، والبس عسكره الملابس الافرنجية. واحضر ايضاً برتولمى الساقزلى [5] وانعم عليه الجنرالية. وبلغ عسكر الاروام ثلاثماية صلدات من الشجعان.

[ذكر الاتفاق بين الفرنسيين والعثمانيين]

ثم ان امير الجيوش ابدأ ببناية ابراج جديدة حول مصر، خشيةً من قيام اهاليها وعصاوتها على الفرنساوية، ان وردت الاخصام لمحاربتهم من البلاد العثمانية، لانهم كانوا يخشون قيام اهالى المدينة اكثر من القادمين عليهم من البريّة. وهذه مرّة ثانية التى قامت بها اهالى مصر على الفرنساوية. وهذه المرّتين اهلكوا من العسكر الفرنساوية ما يفوق عن التلاتة الاف، ما عدا الذين اهلكوهم خفيةً في المنازل. فشرعوا اوّلاً في بناية القلعة التى في كوم [6] الزيت بين القلعة الكبيرة وقلعة كوم الغريب. ثم شرعوا ايضاً في بناية قلعتين فوق الكومين

---

(١) وبقيت: وصارت.

(٢) شراشيب، وهي جمع غير صحيح لكلمة (شراريب) ومفردها: شرّابة، وهي ضمة من خيوط يعلقّ طرفها الواحد بالطربوش وغيره، ويتدلى طرفها الآخر. وقد تتدلى على الكتفين او سواهما.

(٣) المنصب، الوظيفة.

(٤) اضفنا الهاء على (امر) كي يستقيم المعنى. ووردت (امره) في نسخة الشهابي (ص ٣١١).

(٥) بارتليمي (Barthelemy) من جزيرة سيو (Scio)، او كيو (Chio) وهي جزيرة يونانية في بحر ايجه غرب ارمير.

(٦) كوم: من كوّم. وكوّم التراب والحصى: جمعه وجعله كومة، اي قطعه قطعة. والكومة: القطعة من التراب وغيره. والاكوم: المرتفع (محيط المحيط). والكوم: من العامية المصرية، والعامية العربية بشكل عام. وقد شاعت في مصر. ويحمل كثير من الاماكن فيها (القرى والدساكر) هذا الاسم (كوم أمبو، شبين الكوم، وغيرها).

الخارجين من باب النصر. ثم شرعوا ايضاً في بناية القلعة فوق باب النصر، وقلعة ثانية فوق باب الفتوح، وقلعة فوق باب العدوة، وقلعة فوق باب الحديد. وشرعوا ايضاً في بناية قلعة فوق باب الريش الخارج عن المدينة ما بين العدوة والحسنية. وهذا الكوم كانت العساكر العثمانية تحارب عليه الفرنساوية في مدّة الحصار، واخذته منهم الفرنساوية قوّةً واقتداراً ليلة تلك الامطار. ثم شرعوا ايضاً في بناية قلعة فوق كوم الذى بين اليزبكية وبولاق. وفي بناية قلعة في بولاق من جهة البحر فوق كوم السبتية. ووجدوا سورا قديماً كايناً من باب النصر الى باب الحديد قد تغطّى من العمارات على مدى الزمان، فامر المهندسون بكشفه، وهذه القلعة بنوها مع السور المذكور. ثم شرع ايضاً يعقوب القبطى الجنرال بعمل سور وابراج حول دور النصارى والاقباط، لما قاساه في مدّة الحصار الذى قد كان آيلاً لهتك الاستار وفضح الاحرار، وقطع العمار والدمار والدثار [١]. فهذا الزم يعقوب الجنرال لهذه العمار، ولكن لم يكّمل عماره الاّ في زمان الامير منو [٢] كما سياتى ذكره فيما بعد.

فقد قلنا سابقاً ان مراد بيك لم يرد يدخل القاهرة مع ناصيف باشا وعثمان بيك كتخدا الدولة وباقى الغزّ المصريين، بل بقى خارجاً عنها، جايلاً في برّ الجيزة مدّة اربعة وثلاثين يوماً، بشرذمة وجيزة. وكانت نفسه في مسافة هذه المدّة المذكورة تتوق إلى الصلح مع الفرنساوية، لما شاف من ضعف العساكر العثمانية وقوّة بطش الفرنساوية. وقد كان امير الجيوش يودّ انتظامه ويؤثر التيئامه، فوجّه له برطولى الساقزلى الجنرال، وهذا كان يتكلّم باربعة السُن: العربية التركية الرومية والطليانية. وكان مترّبياً في مدينة مصر، وله الدالة [٣] في بيوت السناجق والكشاف. فسار هذا لعند مراد بيك واخبره ان امير الجيوش يروم اتّحاده لا ابعاده، ويرغب وداده لاجلاده [٤]. ويرفع احقاده ويبطّل جلاده. وياخذ من الصعيد بلاده ويريح فواده. ويكسب نفسه واجناده [٥]. فلما فهم مراد بيك هذا الخطاب انشرح صدره واجاب: إلى الصلح والاصطلاح، وابطال الحرب والكفاح، صيانةً للاجساد والارواح، ليلاً [٦] يفتح العزيز الفتّاح باباً غير هذا الباب للفرح والنجاح. وقد كان عند مراد بيك رجلاً من خدّامه قايماً بتدبير امر المدافع يُدعى حسين اغا الزانطلى، وهو من

---

(١) الاندثار.
(٢) الجنرال منو Menou وقد مرّ ذكره.
(٣) الحظوة.
(٤) جالدوا مجادلة وجلاداً: ضارب بعضهم بعضاً بالسيوف. وجلاده: مقاتلته.
(٥) جنوده.
(٦) بمعنى: لعلّ.

مدينة زانطة[١]، واسلم في مصر مع اخوته الاثنين، وكانوا جميعهم في خدمة مراد بيك قايمين. وهذا المذكور ايضاً كان يتكلّم باربعة السن، فارسله مراد بيك الى الامير كليبر لاجل اتمام الصلح بينهما. وبواسطة هذين الشخصين تمّ الاتّفاق وارتفع الانشقاق، وانعقدت المشورة على ان مراد بيك يصنع وليمة للامير كليبر في جزيرة الذهب[٢] القريبة من الجيزة، ويدعوه اليها. وهناك يكون الاتّفاق. فركب امير الجيوش الى الجيزة ومعه عثمان بيك البرديسي وعثمان بيك الاشقر، وسار بنفر قليل الى مقابلة مراد بيك. فحين وصل وتقابلا، تلاقاه مراد بيك بكل بشاشة، وتصافحا مصافحة الاخوان، وجلسا في ذلك الديوان بالسرور والامان، وجلس معهما داماس الوزير ود ميانوس[٣] الترجمان، ووقفت جميع السناجق والكشّاف. ثم بعد المخاطبة والكلام بالترحيب والاكرام، امر مراد بيك الى الواقفين بالخروج، وهناك عاهد [أمير][٤] الجيوش[[٥]]مراد بيك العهد التامّ، وانه يقيم فى بلاد الصعيد بعيش رغيد، مع ساير من يروم اقامته من الغزّ والمماليك هناك. وصرّفه[٦] بجميع ما له من الاملاك، ويكون حاكماً على مدينة جرحة[٧]، ويدفع للشيخة مال ميريها[٨] المترتّب عليها. وانه يرسل الى ابراهيم بيك وبقية الغزّان يكون لهم الامان. ثم عاهده ايضاً انه اذا اخلت الفرنساوية الديار المصرية، فلا يكون تلسيم هذه المملكية الاّ له دون غيره من الدول. فانشرح مراد بيك بهذا الامل.

وبعد اتمام الكلام وبلوغ المرام، اهدى مراد بيك لامير الجيوش سيفاً ثميناً وخنجراً عظيماً، والى الوزير [Damas] داماس سيفاً من الهندوان[٩]، والى الترجمان خاتماً ثميناً من الماس. وبعد ذلك قدّم له صفرة[١٠] الطعام وانية المُدام[١١]، كلّها من المواكيل[١٢] الفاخرة بالروايح العاطرة. فاكلوا

---

(١) مدينة زانتيو: تقع في جزيرة زانتيو (Zantlo) او زانت (Zante) از زانط (Zanthe) وهي حزيرة من الجزر الايونية (Iles Ioniennes).

(٢) جزيرة الذهب: جزيرة في وسط النيل، جنوب مصر، وقد تحدث عنها المقريزي في خططه، فارجع إليه.

(٣) داميانوس Damianos.

(٤) وردت في الاصل (الامير) فاقتضى التصحيح.

(٥) وردت في الاصل (الى) زائدة فآثرنا حذفها ليستقيم المعنى وهو: وهناك عاهد امير الجيوش مراد بك العهد التام.

(٦) اعطاه حق التصرف.

(٧) وردت (جرجي) في نسخة الشهابي (ص ٣١٣)، والصواب: جرجا: وقد مرّ ذكرها.

(٨) الميري: عامية، وهي، لغةً: الميرة، اي ما يؤخذ على الاملاك الخارجية من المال.

(٩) سيفا من الهند. ويدعى: السيف الهندوانيّ، وهي نسبة شاذة (محيط المحيط).

(١٠) سفرة = مائدة طعام.

(١١) المُدام: الخمر.

(١٢) المآكل.

وشربوا ولذّوا وطربوا. وطالت لهم الاوقات بالحبّ والمسرّات. واتّصل بينهم الوداد وتركوا البغضة والعناد. ثم ان مراد بيك طلب من امير الجيوش حضور العساكر الفرنساوية من المشاة والخيا[لة] [1] ليلعبوا امامه، ويتفرّج على ما يعملون في حربهم من الصناعة والفنـون. فـامـر امير الجيوش باحضار خمسماية صلدات من الجيزة. فحضروا بمدّة وجيزة، وطفقوا يلعبون ويظهرون ما عندهم من الحرب والفنون، صناعة تاخذ العقول وتدهش العيون. فانشرح مراد بيك من تلك الفرجة واخذه الفرح والبهجة. ثم ركبت الغزّ المماليك، وبدوا يلعبون على الخيل ملاعيب الحرب القوية. فانشرح امير الجيوش وشهد لهم في الثبات والفروسية، وقال لمراد بيك: ان فوارسكم اصنع [2] في الطعن واثبت في الحرب على الخيل بالميدان. وبعد انقضاء النهـار، نهض امير الجيـوش على اقدامه وقام مراد بيك لقيامه. وودّعوا بعضهم بعض بالانس والسرور والغبطة والحبور. وخرج امير الجيوش من ذلك المكان وبدا يرمي الذهب الكبير على ساير الانام. ولم يزل على ذلك الشان الى ان صار خارج الديوان. فقدّم له مراد بيك جوادا ، والى وزيره جواداً، من الخيول الجياد بالعُدّد الكاملة. وسار امير الجيوش الى الجيزة، ومن هناك ارسل الى مراد بيك فرمان التصريف مع حسين اغا الزانطلي، واعطى للمذكور وظيفة سنجاقية، واقام كتخدا مراد بيك [3]. وتوجّه مراد بيك للصعيد، وكان معه عثمان البرديسي، وعثمان بيك الاشقر، وسليمان بيك، واحمد بيك الكورجي، وعثمان بيك الطويجي. و [أ]قام في الصعيد بعيش رغيد، واجتمع عليه من السنـاجـق والكشّاف من تلك الاطراف والارياف.

وقد تقدّم القول ان الوزير الاعظم، بعد امضاء الشروط، ارسل صورة الاتّفاق الى الدولة العلية والمملكة العثمانية. وصار فرح عظيم بمدينة القسطنطينية، وبساير الاقطار الاسلامية. واشحنت التجار اصناف البضايع في السفن البحرية السايرة الى الاسكندرية، لعلمهم ان الاقطار المصرية تسلّمتها الدولة العثمانية. وما توفقّ وصولهم الاّ بعد فساد الصلح والنية [4]. وعندما ما اقبلوا على الاسكندرية ونظرت اليهم الفرنساوية، فرفعوا لهم السناجق العثمانية. فدخلت تلك المراكب الى البواغيظ من غير خوف ولا تحريز [5]. وارموا المراسي والحبال وهم باغضاء بال [6]. ونزلت رؤساء

---

(١) وردت في الاصل (الخيال) فاقتضى التصحيح.

(٢) من صنع: اكثر صناعة، بمعنى: اكثر اتقانا لصناعة الطعن.

(٣) اي انه اعطى لحسين آغا الزانطلي مرتبة (سنجق) وجعله (كتخدا) لمراد بك.

(٤) اي ان هذه السفن ابحرت الى الاسكندرية عند علمها بالاتفاق، ولكنها وصلت اليها بعد ان افسد الانكليز ذلك الاتفاق ووقعت الحرب.

(٥) من حرز، بمعنى: حرس وحرص. والتحريز: التحفّظ والتحصّن والتحرّص.

(٦) براحة بال.

المراكب الى البرّ وهم مأمنين[1] فقبضت عليهم الفرنساوية، وارسلوا ضبطوا المراكب بما فيهم، وكانوا نحو ثلاثين مركباً صغاراً وكباراً، وبهم من البضايع ما يحيّر الانظار. وارسلوا اعلموا امير الجيوش بتلك الاخبار، وذكروا له ان البحرية اكثرهم اروام، وما فيهم الا قليل اسلام. فامر امير الجيوش ان تُباع البضايع على التجّار. وامر الى نقولا الجنرال ان يتوجّه للاسكندرية، ويعيّن عنده الاروام النوتية[2]. فسار المذكور كما امر الجيوش، وعيّن عنده الاروام، والبسهم لبس الصلدات الفرنساوية.

واما وزير الختام، بعد كسره ورجوعه الى غزّة بالذلّ بعد العزة. وقد تفرقّت تلك الجيوش والامم في الصحارى والاكام، وخرجت الغز من القاهرة بالقهر والارغام، وشاعت اخبار هذا الانكسار في ساير النواحي والاقطار. لانه من غرايب الامور، وعجايب ما يحدث في العصور، والازمنة والدهور، ان فِئَة يسيرة تشتّت عدّة [ملايين][3] غزيرة، وتقوى وتقتدر وتظفر وتعلو وتنتصر. فهذا يحير الافكار ،ويدهش الاسماع والابصار، فالعزّة لله القوىّ الجبّار. وقد ارتجّت ممالك الاسلام رجّةً قويةً، ووقع عليهم الخبال من تلك الاحوال. وابتدات اصحاب العقول في الافتكار، وتدبير ما يزيل عنهم هذا العار، ويبدّد هولاء الكفّار.

[ذكر مقتل أمير الجيوش الجنرال كليبر]

وقد كان في مدينة القدس المحمية احد اغاوات الانكجارية[4]، اسمه احمد اغا، من مدينة حلب القوية. فهذا يجول بافكاره[5] على شخص مغوار، او مغازى يغار، او محتال غدّار، او خبيث مكّار، يحتال بالفطنة والاختيار، على قتل ذلك الرهط الجبّار والبطل القهّار، سلطان اوليك الكفّار، ويسقيه كاس الدمار. وقد اجتهد في ذلك التدبير، والامر الصعب العسير. الذى لا يقدم عليه الاّ كل ليث خطير، أو شجاع مغير، يطلب المناداة، والموت في المغازاة. او طمعاً في المكاسب وعلوّ المراتب. وبينما هو في ذلك الاهتمام لبلوغ المرام، واذ تقدم عليه شابّ قوى الجنان، مملوء من الجهل اسمه سليمان[6]. وهو من مدينة حلب الشهبا[ء]، قد هزّه جنون [الصبا][7]، واوعده بقتل ذلك

---

(١) مؤمّنون: مطمئنون.
(٢) البحرية.
(٣) وردت في الاصل (ملاين) فاقتضى التصحيح.
(٤) الانكشارية.
(٥) اي يبحث عن.
(٦) هو سليمان الحلبي الذي قتل الجنرال كليبر طعنا بالخنجر، وقد مرّ ذكره.
(٧) وردت في الاصل (الصباء) فاقتضى التصحيح.

السلطان حبًّا بالدين والايمان. فاخذ يجسره [1] ذلك الاغا المذكور، ويحثه على قضاء هذا الامر الماثور. ويوعده بما يناله من الانعامات الوفية من الدولة العلية، وما يحصل له من السرور ومن الاسم المنهور مدّ الاعوام والدهور. وكان ذلك الشابّ ما بلغ من العمر اكثر من اربعة وعشرين سنة، الاّ انه اسد درغام وليث هجام. فسار من القدس على هذا المرام، ودخل الى غزّة بنفس مُعْتَزّة. وهناك اجتمع باحد من اغاوات الانكشارية اسمه يسين اغا، من الرجال الحلبية. فحدثه الشابّ بما فى ضميره من النية من قتل السلطان الفرنساوية، فجسره ياسين اغا على تلك النية، واعطاه اربعين غرش اسدية [2]. وسار المذكور الى مدينة مصر الكنانة، وفى قلبه الغدر والخيانة. ودخلها في شهر ذى الحجة، ونفسه غير مرتجة وقطن في جامع الأزهر. وهناك اجتمع باربعة انفار من المجاورين [3] واخبرهم بما في باطنه من الكمين. وطفق يتبع امير الجيوش من مكان الى مكان، ويترقّب له فرصة من الزمان، ليبلغ بها المرام. وحين آن الآوان، وسمح العزيز الرحمان، ودنت الاجال واتّسع المجال، ركب امير الجيوش ذات يوم من الجيزة الى القاهرة، وكان ذلك نهار الاثنين الواقع في ٢١ محرّم سنة ١٢١٥ [4]. فمن بعدما لبّس [شيخ العريش] [5] على القضاوية، جال ذلك النهار في مصر مع عساكره القوية، ورجع الى منزله في موكب عظيم ومحفل جسيم. ودارت المناداة في شوارع القاهرة تنادى حسبما رسم السلطان كليبر، سلطان مملكة مصر القاهرة، وصاحب الجيوش الظافرة. وكان قط لم ينادوا في شوارع مصر جهاراً باسم السلطان الاّ لذلك البطل القهّار. ثم بعد رجوعه الى منزله، قصد المسير لعند وزيره داماس، اذ كان منفرداً عن الناس، وقد قدّمنا الايراد انه كان يحبّ الانفراد. وعند آخر النهار، خرج مع شيخ المهندسين، وقد [جرّته] [6] الاقدار الى شرب كاس البوار [7]. وبينما هو منفرد في الجنينة الكاينة بين منزله وبين منزل وزيره داماس، فدخل عليه ذلك الشابّ سليمان، وكانت عليه ثياب باليات. ومدّ يده اليه ليستعطى منه صدقة،

---

(١) يشجّعه.

(٢) هكذا كان يسمي المصريون والشاميون الدولار الهولندي، ويسمونه كذلك (ابو الكلب)، وذلك لانهم يرون ان رسم الاسد المنقوش على هذا الدولار اشبه برسم الكلب. (Ainé, Op.cit. P. 285, Note 21).

(٣) المجاورون: من جاور: انقطع الى الدراسة في مكان محدد. وقد اطلقت هذه التسمية (المجاورون) على طلاب الازهر الشريف الذي كانوا يفدون الى القاهرة وينقطعون الى الدراسة فيه.

(٤) الموافق لتاريخ ١٤ حزيران ١٨٠٠ وقد مرّ ذكره، اما اليوم، فيصادف يوم (السبت) وفقا لتقويم اللواء محمد مختار باشا (التواريخ الهجرية) الذي نرجع اليه، وليس (الاثنين) كما ورد عند المؤلف. اذ ان بدء شهر المحرم عام ١٢١٥هـ. هو يوم الاحد في ٢٥ أيار / مايو ١٨٠٠م.

(٥) وردت في الاصل (الشيخ العريش)، وهكذا وردت في نسخة الشهابي (ص ٣١٥)، الا ان اينيه ترجمها (شيخ العريش)، وهذا هو الصواب، فاقتضى التصحيح. والمقصود بالعبارة ان الجنرال كليبر اتى الى القاهرة وألبس شيخ العريش خلعة القضاء، بعد ان عيّنه قاضيا.

(٦) وردت في الاصل (أجرته) فاقتضى التصحيح.

(٧) البوار: الهلاك والفساد، ودار البوار: جهنم (محيط المحيط) وكأس البوار: الموت.

واعطاه من يده ورقة. فاخذها كليبر من يده، وبينما هو يمعن في [قراءتها] [١]، فانقضّ عليه ذلك الشابّ وضربه بسكّين كان محتفظاً عليه تحت ثيابه، فجاءت الضربة بخاصرته، فسقط في الارض وصرخ صوتاً عظيماً. وضربه ثانياً وثالثاً ورابعاً. وقد سمع صوته كل من كان بالقرب منه، فبادر اليه المهندس وبيده [عصا] [٢] فضرب القاتل بها على هامه فجرحه، فهجم سليمان على المهندس وضربه بتلك السكّين، فجرحه جرحاً بليغاً، ووقع على الارض بين ميت وحيّ، وفرّ القاتل هارباً. وعندما سمع داماس الوزير صوت امير الجيوش بادر مسرعاً، فنظر امير الجيوش ملقىّ على الارض طريحاً، فحار وصرخ: من فعل بك يا مليح هذا القبيح [؟]، فرفع يده واومى [الى] القاتل الهارب. وحضرت الصلدات وداروا حول الجنينة، وطفقوا يفتّشون. واى من وجدوه عليه يقبضون. واذ بامراة من شبّاك دلّت على القاتل، وكان مختفياً في بعض الدهاليز. فقبضوا عليه، ونظروا الى ثيابه عليهم اثار الدما[ء] والسكين معه. واتوا به فرفعوا جسد امير الجيوش الى منزله. واجتمعت الجنرالية والكوميسارية والاوفيسيالية [٣] والجرايحية، وبدوا بصبّ العلاجات. فما مكث غير برهة يسيرة ومات. وصار حزن لا يوصف عند ساير الجيوش الفرنساوية، وبكوا بكآء مرًّا، وعضوا البنان تحسّراً وقهراً. واخذوا يقدحون شرراً، وينظرون [شزراً] [٤] ليخرجوا الاحكام بتدوير الحسام فى النصارى والاسلام، ويقتلوهم على التمام [٥]. ولولا تعطّف الملك العلاّم، وظهور ذلك الغلام. ويتضح النور من الظلام. لكان حلّ باهالى مصر الويل والاهدام. في هولاء القوم الليئام، الذين لا يعرفون الحلال من الحرام، ولا يخشون ربّ الانام.

وأما أهالي القاهرة، فشملهم خوف عظيم من هؤلاء الجبابرة [٦]. وأختفت الناس في المنازل والبيوت، وأخذتهم [البهتة] [٧] والسكوت. وبقى كل منهم مبهوت في قتل ذلك البهموت. وخافوا ان يكون ذلك الفعل الذميم من سكّان تلك الاقاليم. وان هذا القاتل الشنيع يرمي الناس في هذا المهلك الفظيع والخطب المريع. وأما الفرنساوية، حين وقعوا في هذه البلية، أحضروا القاتل سليمان

---

(١) وردت في الاصل (قرأتها) فاقتضى التصحيح.

(٢) وردت في الاصل (عصاة) فاقتضى التصحيح.

(٣) من Officiers: الضباط، هكذا ترجمها اينيه (Op. cit. p. 223) او من Officiels: الرسميون. وقد وردت (الفيسالية) في نسخة الشهابي (ص ٣٠٦).

(٤) وردت في الاصل (ذكرا) وهي غير ذات معنى في سياق العبارة. فاقتضى التصحيح. وقد وردت (شذرا) في نسخة الشهابي (ص ٣١٦)، والصحيح: شزرا، ونظر شزرا: نظر بغضب او بإعراض (بمؤخر العين او عن يمين وشمال).

(٥) اي ان الفرنسيين فكروا بإعمال السيف في المصريين، نصارى ومسلمين، انتقاما لمقتل قائدهم.

(٦) اي من الفرنسيين.

(٧) وردت في الاصل (البهة) فاقتضى التصحيح. والبهتة. من بهت الرجل، اي جمد ساكنا، وهي عامية، وتعني: الدهشة والحيرة، والبغتة. وقد وردت (الغفلة) في نسخة الشهابي (ص ٣١٦).

وعذّبوه العذاب الشنيع، فقر [1] واعترف بما صنع وأتلف. ومن هو الذي أرسله لهذا الطرف. وكيف مَتنا وتصرّف. وقرّ عن أوليك الاربعة أنفار المجاورين، الذين عندهم حقيقة الخبر باليقين. فسارت الصلدات الفرنساوية اليهم بالخفية ليلاً [2] يعلموا ويهربوا، فدخلوا الجامع وقبضوا على الثلاثة وهرب الرابع. وأحضروهم وبدوا يعذّبونهم ويقرّرونهم [3] ان معهم خبر هذا القاتل سليمان، وما هو معوّل عليه من الحرام، وقد نصحوه فلم يسمع كلام. فحكم عليهم الشرع بالموت [لعدم] [4] تخبيرهم وتحذيرهم.

وبرز من الشريعة الفرنساوية ان سليمان القاتل تُحرق يده أولاً بالنار، ثم يرفعوه على خازوق عال أمام النظر ثم يقطعوا رأس الثلاثة أنفار، ويرفعوهم على مزاريق [5] حول الخازوق. ثم ان في ثاني الايّام، عند الصباح، صنعوا الفرنساوية ديواناً عمومياً، واختاروا كبر الجنرالية المدعَو الجنرال منو، وأقاموه أمير الجيوش عوضاً عن المقتول. وبعد ذلك صنعوا ميماً [6] عظيماً ومحفلاً جسيماً، وصنعوا له تابوتاً من الرصاص ووضعوه فيه، بعدما جوّفوا جسده وحنّطوه. وأخذ داماس الوزير قلب الامير كليبر، ووضعه في زجاجة، وسكب عليه ارواحاً [7] لحفظه من البلاء والفساد. وقد حزن هذا الوزير حزناً مفرطاً مع البكاء والتعداد. ثم أمر منو أمير الجيوش بنقل جسد سلفه، وحضرت كافة الجنرالية وباقى حكّام الفرنساوية، وجميع العلماء والاعيان، وجمّ غفير من كل الملل والاديان. واحضروا خيل الامير كليبر ثم البسوهم الحلل السواد [8]، ووضعوا التابوت فوق عرباته، وغطّوه بحلّة سودا[ء] [9]، ومشتِ جميع العساكر أمام التابوت وهى منكّسة البندق [10]. وركب امير الجيوش منو مع سوارى العساكر، وسار من بركة اليزبكية الى قصر المعنية [11]، وجميع

---

(١) أقرّ.

(٢) لئلاً.

(٣) من الاقرار، اي الاعتراف.

(٤) وردت (بعدم) فاقتضى التصحيح. وقد وردت (لعدم) في نسخة الشهابي (ص ٣١٦)، وتخبيرهم: إخبارهم.

(٥) مفردها: مزراق، وهو الرمح القصير.

(٦) مأتما.

(٧) ترجمها اينيه (Esprit - de - Vin) اي = روح النبيذ، ويستخرج من تقطير النبيذ. وهو نوع من الكحول يَحفظ من التلف.

(٨) السوداء.

(٩) وردت في الاصل (سودآ) فاقتضى التصحيح، وقد وردت (السواد) في نسخة الشهابي (ص ٣١٧).

(١٠) البنادق.

(١١) قصر العيني. وقد وردت (قصر المعنية) في نسخة الشهابي (ص ٣١٧)، وترجمها اينيه (قصر المعني)، (Aîné, op. cit. P. 225) والصحيح = قصر العيني، وهو المستشفى الشهير في القاهرة.

العساكر والعلماء والاعيان، والحكّام وارباب الديوان، ماشين قدّام التابوت. والفرنساويون في بكا شديد، بحزن مفرط ما عليه من مزيد. وسحبوا القاتل ورفقاءه حُفاة عُراة مكتوفين قدّام التابوت. وحينما وصلوا أمام القصر، اصعدوا القاتل ورفقاءه الى اعلا الكوم، وحذفوا رؤس[1] اوليك الثلاثة انفار، ووضعوهم على ثلاثة مزاريق. واحرقوا يد سليمان القاتل وهو بالحياة، ثم رفعوه على خازوق عالٍ، وركزوا الثلاثة مزاريق حوله. ثم اوقدوا ناراً شديدة واحرقوا بها اجساد اوليك الثلاثة انفار. ثم ادخلوا التابوت الى وسط القصر، وعملوا له مِصطَبَة عالية ووضعوه فوقها وغرسوا حولها اغصاناً خُضراً. وصعد امير الجيوش الى مكان عالٍ، واخذ يعظ موعظة عظيمة تجعل القلوب كليمة، والدموع سجيمة[2]، تَتضمّن مراثي محزنة والثاهيات[3] الموهنة، على مثل هذا البطل الهمّام والاسد الباسل الدرغام، الذى قد نشر الاعلام وقهر الانام، وطفر في عسكر الاسلام، وطرد وزير الختام، وبدّد ذلك الجيش الملتأم[4]، وخلد ذكره مدى الدهور والايّام. ومن بعد اتمام تلك المراثي الموجعة والتعديدات المتنوّعة، اطلقوا البندق الكثيرة حول التابوت، وبكوا بكاءً مرّاً على هذا البهموت، ثم اقاموا محافظاً[5] ليلاً ونهاراً، وفى كل ثلاث ساعات يتغيّر احد الصلدات وياتي غيره، اكراماً له واجلالاً لقدره. وبعد ذلك رجع امير الجيوش الى منزله ببركة اليزبكية، وتفرّقت لمنازلها عساكر الفرنساوية. وكل منهم ملتهب بنيران مهولة، بانهدام هذا الركن العظيم ذى الصولة. واستحوذ الحزن والاكتياب على المختصّين به من الاحزاب، وتفرقت من ذلك الوقت منهم القلوب باذن عالم الغيوب.

[ذكر أمير الجيوش الجنرال عبدالله منو[6]]

وأما امير الجيوش منو، فهذا كان من المتقدّمين في بلاط ملك باريز السلطان لويس[7]، وحين قتلته المشيخة تبع هذا رأيهم. وحين حضروا للديار المصرية وحصلوا على ذلك التأييد، إقامه بونابارته حاكماً على رشيد. فمكث هناك مدّةً وتزوّج بامرأة مسلمة شريفة، وادّعى بالاسلامية،

(١) رؤوس، وقد وردت (روس) في نسخة الشهابي (ص ٣١٧).

(٢) سجم الدمع: سال قليلا او كثيرا. والدموع سجيمة: اي سائلة.

(٣) وردت (التوهيات) في نسخة الشهابي (ص ٣١٨). ولم نجد لكلا الكلمتين (الثاهيات، والتوهيات) معنى، سوى ان تكون: الآهيات، أو التأوهات، وهذا هو المرجّح.

(٤) الملتئم.

(٥) حرسا، وهذه تقاليد عسكرية، اذ يحرس جثمان الضابط، بعد وفاته وحتى مواراته الثرى، ضباط يمتشقون السيوف.

(٦) سبق وتحدثنا عنه في احد الهوامش، فارجع اليه.

(٧) لويس السادس عشر وقد مرّ ذكره.

وسمّا ذاته عبد الله. وكان متقدّمًا بالعمر ذا احتيال ومكر، ومن بعد تقدّمه على العساكر الفرنساوية، وارتضوه الجميع، وشرع يغيّر في الاحكام والوظايف، وضمّ اليه حزبًا من الفرنساوية، واضعف احزاب سالفه القوية. واتّكل على تدبيره وقوّة بطشه. فتغيّرت قلوبهم من ذلك الوقت، ووقع الاختلاف بين الفرنساوية. وابتدا ذلك الامير في التبديل والتغير. وامر اولاً في قفل جامع الازهر، وعقد لذلك ديوانًا، وادّعى ان هذا المكان ليس هو محلاً للدرس والتعليم للفرايض والسنن، بل هو محلّ لعقد المشورة وايقاظ الفتن. فامر بطرد المجاورين [1] وقفل ابوابه اجمعين. ثم امر بتكميل بناء الابراج التى كان شرع في بنايها سلفه الامير كليبر. ثم امر بتوسيع الطرقات التي داخل القاهرة، وهدم عدّة بيوت، وشرع بكشف السور الذى كانوا وجدوه من باب النصر لباب الحديد، وهدموا من امامه ومن ورايه بيوتًا عديدةً. واكمل بناء هذا السور، وجعل من فوقه ثلاثة ابراج. وهدم جامع الحاكم بامر الله، المشهور فى مصر، القريب من باب النصر، وجعله برجًا عظيمًا. ثم حصّن اوليك البروج والاسوار، بالمدافع والقنابر الكبار. وامر الجنرال يعقوب بتكميل السور الذى كان شرع في بناية بايّام كليبر. وامر على النصارى الشوام ان يدفعوا ثلاثمائة كيس بالتمام. واحدث على النصارى خراج ثقيلاً لم يمرّ بالازمنة خراجاً اثقل منه. وافرض [2] ايضاً على الاسلام واليهود كذلك. وكان كربًا عظيمًا وظلمًا عميمًا، وذلك على الرعايا من جميع الملل، ولولا الرخاء العظيم، لكانت خربت من الظلم تلك الاقاليم. هذا والفرنساوية لم تكلّ من تعمير الحصون بمدينة القاهرة وفي الاسكندرية، واصرفوا [3] على ذلك خزاين عظيمة. اذ كانوا ناظرين قلّة عددهم وعدم امدادهم وكثرة اضدادهم [4]. فحصّنوا تلك الحصون المنيعة. وامر امير الجيوش باطلاق السيد احمد، المسجون من سلفه الامير كليبر. وقد كنّا ذكرنا ان حين قبض وزير الختام على الجنرال بوضوط [Beaudot]، قبض امير الجيوش على مصطفى باشا وارسله الى دمياط، واقام هناك تحت الترسيم يكابد الهمّ العظيم. فمرض من قهره وتوارى في قبره. وصنعوا له الفرنساوية بدمياط ميتماً [5] عظيمًا، ومحفلاً جسيمًا، حسب عادة رؤساء العساكر. فهذا ما كان من الفرنساوية في الديار المصرية.

[عودة إلى ذكر امير الجيوش بونابرت]

واما ما كان من امير الجيوش بونابارته، فانه جاز البحار وداس الاخطار، ووصل بالامن

---

(١) الطلاب الذين يفدون الى الأزهر وينقطعون الى الدراسة فيه، وقد مر شرحها.

(٢) وفرض.

(٣) وصرفوا.

(٤) كثرة خصومهم واعدائهم.

(٥) مأتما.

الحريز الى مدينة باريز ، وصنع اموراً غريبة واحتيالات عجيبة. ودخل على رؤساء المشيخة فارتجوا لدخوله ، واهتزّوا لحلوله. وتعجّبوا غاية العجب من خلاصه من بلاد العرب. ونهضوا بوجهه نهضة الغضب ، وعزموا على هلاكه والعطب. فنشر لهم اساطير اللوم والعتب. وطفق يبكّتهم[1] على فعلهم الذميم ، وسيرهم الغير مستقيم. وخيانتهم الشنيعة وتخطّيهم حقايق الشريعة. وتركهم الخواص رجال المملكة الفرنساوية في ممالك البربرية من دون عون ولا اسعاف. ورميهم في الهلاك والتلاف. فنهض اليه بعض رؤساء المشيخة فبدا يبثّ له العذر ، فما قبل عذره وجزره. فلما جزره ضربه بالشيش على هامه. فحين حسّ بونابارته بالألم وثب على ذلك الشيخ وثب الاسد الضيغم ، واطلق في صدره الرصاص فالقاه قتيل ، وفي دمّه جديل[2]. وهجم على بقية ارباب الديوان مع اصحابه بالسيف والنيران ، فقتل منهم اثنان ، وهما اللذان كانا له مبغضين ، وعلى هلاكه بالديار المصرية متّفقين ، وانتبهت اصحاب بونابارته وطفقوا يصيحون: فليعش رئيس شعبنا الامير الشهير ، الليث الخطير ، بونابارته التحرير. وحينما سمع شعب مدينة باريز اسم هذا العريز ، طفقوا يتهلّلون وبالندا يعلّون: فليعش بونابارته مخلّصنا وعظيم مشيختنا.

ثم ان بعد انقضاء الهياج وهدؤ ذلك العجاج ، عقد بونابارته ديوانًا مع عظماء الجمهور ، وذوى التدبير في الامور. واوعظهم ان يختاروا رئيسًا على شعب يكون خبيراً ، وبامور الدهر عليمًا ، فاجابوه جميعهم بصوت واحد: لا رئيس لمشيختنا سواك ، ولا لنا مدبّر الاّ ايّك[3]. ودعوه القنصل الاوّل في الجمهور الفرنساويين ، كما كانت هذه العادة عند الرومانيين. وابتدا ، من ذلك الوقت والحين ، بتجهيز العساكر الكثيرة والجيوش الغزيرة. وفتح مدارس التعليم. وارسل الجيوش الى ممالك ايطاليا. واخفض المقامات السامية. ومهد الجبال العلية. وداس تلك الرقاع والبقاع. واسترجع المدن والقلاع. وملك الاقاليم والبلاد. وخضعت له تلك العباد. ودحض عساكر الامبراطور. واخلا منهم الدور. وانقادت له الملوك. وسالوه الصلح فلم يأب بل سلك معهم غاية السلوك. وقرّرهم على الرضى والاتّفاق ، مع العهود الوثاق. ورجع بالجيوش الى مدينة باريز بنصر عزيز. وارتجّت جميع الممالك الافرنجية من سطوته القوية.

ومن بعد هذه الانتصارات الجزيلة التي تمت بايّام قليلة ، كتب القنصل الاوّل بونابارته الى البابا سلطان رومية كتابًا بالصلح والسلام ، ويردّه لكرسيه بالعزّ والاكرام. وفتح الكنايس جميعها في ساير بلاد فرنسا. واشهر ايمانه بالمسيح ، واعترف جهاراً امام كل الشعوب بهذا الدين الصحيح. وانتشر ذلك في كامل البلاد الافرنجية. وابتدا يجاهد ويفرغ جهده لكى يُعين زمرة الفرنساوين

---

(١) يؤنبهم.

(٢) مجندل ، صريع.

(٣) اياك.

الذين [بأقاليم] [١] مصر مقيمين. فلم يمكنه عدوّه الانكليز من ذلك. وقد سدّد عليه جميع الطرقات والمسالك. وكان قبض على مقدار الاف اسير من المسكوبين في حرب نمسا [٢]، وارسل اعلم بهم دولة الانكليز، وطلب منهم ان يستفدى [٣] بهم ما عنده من اسير الفرنساوية. فابى الانكليز [ ] [٤] ذلك. وحين تحقّق بونابارته انه لا يقبل ذلك الاتّفاق، فاحضر تلك الاسارى المسكوبين، ومن عليهم بالاطلاق اجمعين. وكساهم كسوة جديدة، وصنع لهم وليمة عظيمة. وحبًّا بهم، امر في زينة جسيمة، وارسلهم الى كرسي دولتهم مع احد الجنرالية من قبله. وحرّر الى سلطان باولو [٥] انه: قد كتبت الى سلطان الانكليز، صديقكم، ان يستفدى بالاسارى المسكوبين بما عنده من [اسرى] [٦] الفرنساويين، فأبى [[٧]] ذلك ولم يرض.

وحين وصلت الاسارى، اعلموا السلطان باولو بما فعل بونابارته من الاكرام، بعد الاسر والاعدام. ففرح فرحًا شديداً ما عليه مزيد، وامر بزينة حبّا بالمشيخة الفرنساوية واجرا الصلح بينه وبين القنصل الاوّل بونابارته، على حرب الانكليز والدولة العثمانية، بواسطة اقتدارهما وانتشار قوّتهما. واستعدّ الملك باولو المشار اليه على مضادّة الانكليز والعثماني، وكتب السلطان [باولو] [٨] للسلطان سليم ان يمنع الحرب عن الفرنساوية المتملكين الديار المصرية، لبينما يدبّر امراً الى الصلح. وان لم يمتنع عن حرب الفرنساويين، بينما اجرى صلحهم مع الانكليز، والاّ يقتضى الامران ينادى في الحرب. فحين وقف على هذا السلطان سليم، فخرّج [٩] حالاً الامر من الدولة العثمانية برفع الحرب عن الفرنساوية الذين هم بالديار المصرية. فهذا ما كان من القنصل الاوّل بونابارته.

وأما ما كان من الانكليز، فانهم لم يرتضوا بان يمتنعوا عن محاربة الفرنساويين، فاخذوا يدبّرون مكايد لهلاك السلطان باولو سلطان المسكوبيين، وبدوا يجمعون العساكر ليسيّروهم الى مصر. فبلغ بونابارته ذلك، ففي الحال ارسل مركباً صغيراً الى مدينة الاسكندرية، واخبر امير الجيوش ان حاضرة لمحاربتهم عساكر الانكليزية بعشرين الف مقاتل [١٠]. واخبره بموت الجنرال ديزه

---

(١) وردت (بالاقاليم) فاقتضى التصحيح، وقد وردت (مملكة مصر) في نسخة الشهابي (ص ٣٢٠).
(٢) النمسا، والمسكوبين: الروس.
(٣) يفتدي.
(٤) وردت (من) زائدة، فآثرنا حذفها.
(٥) بول الاول (Paul 1 er)، امبراطور روسيا (١٧٩٦ـ ١٨٠١).
(٦) وردت في الاصل (أسرآ) فاقتضى التصحيح.
(٧) وردت (من) زائدة، فآثرنا حذفها.
(٨) وردت في الاصل (بالو) فاقتضى التصحيح.
(٩) فأصدر.
(١٠) اي ان عشربن الفا من عساكر الانكليز جاهزة لمحاربتهم.

في حرب النمسا ، فكان حزن عظيم عند الفرنساوية . واخبرهم ان يصنعوا ميتما [1] [كالعـادة] [2] على رؤساء العساكر ، وان يتشدّوا للحرب والجلاد . واوعدهم بالاسعاف والامداد . واوصاهم بحفظ البلاد ، بقوة الحرب والجهاد . وحين دخل ذلك المركب للاسكندرية ، واوصل الكتابات إلى عبد الله منو من بونابارته القنصل الاوّل ، فعقد ديواناً في مصر ، وحضرت رؤساء العساكر والاوفيسيالية ، وفرحوا فرحاً عظيماً لانتصاره . والصلح مع الملوك ، وهدؤ المملكة وسكون حركاتها . وتـامّلـوا [3] بالامداد ، وانسرّوا بصلح البابا وركون البلاد . وحزنوا لفقد الجنرال ديزه وصنعوا له ميتماً ، واجتمعت الفرنساوية الى بركة اليزبكية ، مع العلماء والحكّام وارباب الديوان . وصنعوا له تابوت ، وخرجوا به من باب النصر وهم منكسين البندق ، وساروا الى ارض القبّة ، وهناك عملوا المراثي والمناحة ، واوردوا شجاعته وفروسيته ، والانتصارات التي صارت عن يده . ثم اطلقوا البندق حول التابوت ، وبكوا على فقد ذلك البهموت ، ورجعوا الى القاهرة بحسرة وافرة .

[ذكر ما جرى للوزير الأعظم]

ثم نرجع لما كنّا [بايراده عن] [4] الوزير الاعظم . فانه ، بعد رجوعـه الى ارض فلسطين ، بعـد تلاشي عسكره ذلك المتين . ابتدا يفرّق الفرمانات على ساير الاقاليم والبلاد ، بطلب العساكر للجهاد . وابتدت تتوارد عليه العساكر من ساير الاماكن ، [فجرّد] [5] عسكراً عظيماً . وقد حـدث بفلسطين وتلك الاقطار غلاء جسيم ، ومات من القحط اكثر اهل الديار ، من كثرة تلـك العسـاكـر المتبادرة ، والجيوش المتقاطرة . وتضايقت تلك العساكر من عدم المآكل ، وماتت البهايم والدوابّ . ثم اعقب الغلا[ء] الطاعون المريع والموت الفجيع ، فمات منه الشريف والوضيع ، وحاق التلاف بكل الاطراف ، بلا شكّ ولا خلاف . وحلّ بهم الوبال والنكال ، وماتت منهم خواصّ الرجال . ولم يبق من تلك العساكر الا الوجيز . ومات كل رهط وعزيز . وقد مات من السناجق احسنهم وافرسهم [6] واجلهم ، وعدّة وافرة من المالك [7] الجبارة ، وهم : مصطفى بيك الكبير ، وايوب بيك الكبير ، وعثمان بيك الشرقاوي ، وعثمان بيك الطاويل [8] ، وحسن بيك الجرداوي ، وقاسم بيك ابو سيف ،

---

(١) مأتما .

(٢) وردت في الاصل (كعادة) فاقتضى التصحيح .

(٣) المقصود = أملوا (من الامل) .

(٤) وردت في الاصل (في ارادة من) فاقتضى التصحيح . وقد وردت (بإيراده بمن) في نسخة الشهابي (ص ٣٢٢) والصواب هو ما اوردناه .

(٥) وردت في الاصل (فجدّد) فاقتضى التصحيح . وقد وردت (فجرّد) في نسخة الشهابي (ص ٣٢٢) .

(٦) اكثرهم فروسية .

(٧) المماليك .

(٨) الطويل .

وقاسم بيك امين البحر، والامير شروان. وذلك من غير الكشاف والسناجق الصغار وتقمقمت[1] عساكر الاسلام على ربّ الانام، اذ كانوا يقولون: ما يحل[2] من الله العليّ العلاّم، ان الكفار ينعموا في خيرات مملكة الاسلام بتلك الديار، ونحن نهلك بالبرارى والقفار، ونلتقى الجوع وبرد الليل وحرّ النهار. وقد كان بلغ الوزير الاعظم الاتّفاق الذي وقع بين مراد بيك والامير كليبر، وانه وعده اذا رحلت الفرنساوية يسلّمه الديار المصرية. ثم بلغه ما حلّ بالامير كليبر من المنية. ففرح فرحاً شديد[أ] ما عليه من مزيد، وتامّل[3] بتملّك تلك الاقطار، بعد زوال ذلك الاسد المغوار. فدعا ابراهيم بيك، وامره يكتب الى مراد بيك، ان يطالب عبدالله منو امير الجيوش بوعد سلفه كليبر. وان لا بدّ لهم من الخروج [عن][4] هذه المملكة. لكون لا قدرة لهم على الثبات، حيث لا اسعاف لهم ولا امداد. وقد بقوا قليلين العدد وكثيرين الاضداد، واخصامهم في ساير البلاد. ومن المستحيل ان يقتدروا على هذا الجلاد، ومحاربة جميع العباد، والعساكر العثمانية والمراكب الانكليزية قايمة عليهم من كل الجهات. فخروجهم الان بالصلح والسلام، اوفق لهم من خروجهم بالقهر والارغام. واوعد الوزير لابرهيم بيك ان، مئى عوّلوا على الامتثال، وخرجوا على هذا المنوال، يسلّم المملكة إلى الغزّ المصريين، كما وعدهم كليبر، ويرتحل هو للقسطنطنية بالعساكر الهمايونية. ويرسل وزيراً يكون بالقلعة السلطانية، وذلك حكم الايّام السالفة، بدون مناقضة ولا مخالفة. فكتب ابرهيم بيك ما امره الوزير، وكنب أيضاً الوزير فرمان الى مراد بيك بهذا الشان. ولما وصلت الى مراد بيك هذه الكتابات رآها[5]، وفي الحال كتب الى أمير الجيوش يعرّفه بتلك الاسباب. وارسل بها عثمان بيك البرديسى، وامره ان يشرح الى امير الجيوش عبد الله منو ما ذكره الوزير الاعظم، ويعرض عليه ذلك الفرمان الذى اتاه. فتوجّه عثمان بيك الى مصر واخبر امير الجيوش في تلك الكتابات، واعرض عليه الفرمان، فتغيّرت منه الاحوال واجابه: اننا نحن لسنا عازمين الان على الخروج من هذه المملكة، فمتى عزمنا واردنا ان نتركها نبقى في ذلك الوقت نقيم[6] بوعدنا مع مراد بيك. ومع ذلك مراد بيك قاطن بمملكة مصر براحة كلّية، وقد صار عضواً من أعضاء المشيخة الفرنساوية، ولا

---

(١) تذمّر، وهي من كلام العامة.

(٢) بمعنى: لا يحلّ، ليس حلالا.

(٣) أملّ (من الامل). وقد اعدنا تفسيرها كي لا يكون التباس بين الامل والتأمل.

(٤) وردت في الاصل (عن) فاقتضى التصحيح.

(٥) وردت في االاصل (رأيها) فاقتضى التصحيح.

(٦) انفي.

يكن مهتماً الاّ بذاته[1] . فاجابه عثمان بيك البرديسي : ان مولاى مراد بيك ارسلنى للتخبير[2] لك بالصورة الواقعة والمكاتبة ، لا على صورة السوال والمطالبة . ولا بدّ [من][3] رفع الريب والشكوك عنه ، لان لا بدّ كان يبلغ حضرتك رسالة الوزير الاعظم لمولاى ، فيحصل الشكوك والريب . و [أقام] عثمان بيك بمصر ، بعد هذا الكلام ، مدّة ايّام بالعزّ والاكرام . وقد كان جاب جانباً من الاموال المرية[4] المستوجبة على مراد بيك للمشيخة الفرنساوية . وبعد ذلك اخبر مراد بيك بجواب امير الجيوش ، فكتب لابرهيم بيك عن جواب الفرنساوية . وقد كان مراد بيك غير مطاءن[5] من طرف الدولة العثمانية. فلذلك لم يبال بذاك الجواب ، وبالنفور الذى ابداه امير الجيوش على الوزير ، لانه كان قايماً في صعيد[6] بعيش رغيد .

واما ابرهيم بيك ومن معه من الغزّ المصريين ، الذين كانوا مع الوزير متّحدين . كانت قلوبهم ايضاً غير امينة ، والخشية في قلوبهم كمينه . وهم خايفون من غدر الدولة ونياتها المدغولة[7] . فاجتمعوا في بعضهم ، ودبّروا امرهم . وانهم يلتجوا الى الانكليز ، فقبلهم السرعسكر سميت ، وامّنهم بميثاق شديد . واعرض امرهم الى باب الدولة العثمانية ، واستخرج لهم الخطوط الشريفة[8] من الدولة المنيفة ، بالامانات الوثيقة والعهود الحقيقية . فاطمأنوا الغزّ المماليك ، وامنوا من المهالك . فاشتهر امرهم وبان سرّهم بانهم قد صاروا في حماية الانكليز ، بكل امن حريز .

[ذكر نزول العساكر الانكليزية والعثمانية في ابوقير]

وكانت في ذلك الوقت الحركة ساكنة في مصر من شهر صفر سنة ١٢١٥ الى شهر شوال كمالة[9] الثمانية اشهر . وفي شهر رمضان ثمانية ايّام منه[10] ، ظهرت الشمس والقمر معاً في وسط

---

(١) اي، يجب ان لا يهتم الا بنفسه .

(٢) لإخبارك .

(٣) وردت في الاصل (عن) فاقتضى التصحيح .

(٤) وقد كان جلب قسما من الاموال الاميرية .

(٥) مطمئن .

(٦) مقيما في الصعيد .

(٧) المريبة .

(٨) الاوامر .

(٩) يبدأ شهر صفر عام ١٢١٥هـ. بتاريخ ٢٤ حزيران / يونيو ١٨٠٠م. وينتهي شهر شوال من العام الهجري نفسه بتاريخ ١٥ آذار / مارس ١٨٠١م . وكمالة = تمام .

(١٠) الموافق ليوم ٢٣ كانون الثاني / يناير ١٨٠١ (يبدأ شهر رمضان ١٢١٥هـ. بتاريخ ١٦ كانون الثاني / يناير ١٨٠١م.).

النهار . وكان [بالقرب] [1] من القمر نجوم [تشعشع] [2] جداً كالنار ، وكان [النيّران] [3] اي الشمس والقمر ظاهران . وقد تمّ ما قيل إذا ظهر [النيّران] بميقات واحد يلطف باهل الكنانة . وفي هذا الشهر المذكور ، اقبلت على البواغيظ الاسكندرية ماية وخمسون مركباً انكليزية مشحونة بالرجال والابطال . فارتجّت لقدومهم اسكندرية وتلك الاطلال . وكتب الجنرال فوريه [4] الحاكم بالاسكندرية ، يعلّم [5] امير الجيوش بمصر بقدوم تلك المراكب ويستنجده . ولما وصل الكتاب ، حالاً جهّز العساكر وارسلهم عن طريق رشيد . وثالث يوم حضر له كتاب ثانى من الجنرال المذكور ، بان المراكب ، اذ لم تستطع الوقوف تجاه الاسكندرية من المدافع ، فرجعت بطريقها مولّية . فكتب امير الجيوش للعسكر المرسول [6] ان يرجعوا ، واطمان قلبه ظاناً ان اعداءه الانكليز هربت منه . وكان الامر ضدّ ذلك ، لان المراكب المذكورة ، اذ لم تستطع المقابلة بوجه الاسكندرية للكثرة حصونها ، فرجعت الى ابوقير ، وخرجت العساكر من المراكب الى البرّ ، وبنت المتاريس المتينة . وكانوا عشرين الف مقاتل ، وهؤلاء الذين اخبر عنهم بونابارته من باريز وحذّرهم من ذلك حدّ التحريز [7] . وقد بلغ الخبر الى الجنرال فوريه ان تلك العمارة اخرجت عساكرها الى ابوقير . فبالحال سار اليهم بثمانماية مقاتل ، وانتشب فيما بينهم القتال . وقد كانت واقعة من الاهوال ، وانكسرت الفرنساوية ورجعت للاسكندرية .

وأرسل الجنرال المذكور واخبر امير الجيوش بتحصين الانكليز في ابوقير ، وقدوم عمارة العثمانية . فارتجّت الفرنساوية رجّةً قويّةً . وجهّز امير الجيوش العساكر وارسلهم على طريق رشيد . وقد خافت باقى الفرنساوية الذين بقوا بمصر ، وبان عليهم اشارات الغلبة . وبدوا يخلّون المنازل القاطنين بها ، ويتحصّنون في القلعة الكبيرة وفي الجيزة . وسقطت عليهم الاوهام ، وتنكّست منهم الاعلام . وتيقّنوا بالزوال وعدم الدوام ، من كثرة الاخصام ، ومبادرة الاعادى من كل فجّ ووادي . وكانت العساكر الانكليزية والعثمانية ينوفون عن الخمسة وثلاثون الفاً جنكية [8] . وذلك ما عدا عساكر الوزير الاعظم الوارد من الشام ، وعسكر وارد من ارض الهند الشرقي على طريق

---

(١) وردت في الاصل (في القرب) فآثرنا تصحيحها .

(٢) وردت في الاصل (يشعشع) بالياء في اول الكلمة ، فآثرنا تصحيحها .

(٣) وردت في الاصل (وكانا النيران) فآثرنا تصحيحها (وكان النيّران) .

(٤) الجنرال فورييه Fourier .

(٥) سبق وذكرنا ان المؤلف درج على استعمال كلمة (علّم) بمعنى (أعلم وأخبر) .

(٦) المرسل .

(٧) حد : بمعنى أشدّ . والتحريز : والتحذير .

(٨) الجنك ((بفتح الجيم) : فارسية عامية ، وتعني : الحرب والقتال (محيط المحيط) والجنكي ، نسبة الى (جنك) وهو المقاتل .

القُصَير[١] ، خلا عن سكّان الاقاليم المصرية القايمة على قدم وساق ، مع العساكر القادمين بالاتّفاق. ومن هذا القبيل قد ارتجّت قلوب الفرنساوية . وكانت قلوبهم منقسمة وغير محتزمة[٢] ، كرهاً منهم في امير الجيوش ، لانه فرق قلوبهم . لان في جلوسه على تخت القاهرة كره رجال سلفه كليبر . وبالاختصار نقول : ان الامير عبدالله منو ، بعد ثلاثة ايّام ، سار بباقي العساكر على طريق رشيد ، وولّى مكانه الجنرال بليار قيمقام . وهذا الجنرال من رجال الجنرال ديزه حاكم الصعيد سابقاً ، وكان رئيساً في الاحكام ، شديد الباس في الحرب والصدام . وكان الفرنساوية بدت تخلي الاقاليم والبلاد ، ويتجمّعون في مدينة مصر . ثم قد اخلوا قطية وبلبيس والصالحية ، وجميع الوجه الشرقي ، وارض الصعيد ودمياط والمنصورة . وقد انحصروا في القاهرة والرحمانية ، وفي رشيد امام العساكر العثمانية والانكليزية . وكانت عدّة المحاربيين من الفرنساوية ثلاثة عشر الف مقاتل فقط . ما عدا ارباب الصنايع والنساء والاولاد فكانوا مقدار سبعة الاف . والبقية ماتوا بالحروب والجلاد ، والبعض توجّهوا للبلاد[٣] . فهؤلاء جميعهم انحصروا في القاهرة والرحمانية ورشيد والاسكندرية ، وبقى فى بوغاظ دمياط المعروف بالعزبة مايتان صلدات . ومن بعد حضور حسين قبطان باشا ، سارى عسكر العمارة العثمانية مع عمارة الانكليزية ، وطلوعهم لابوقير ، هجموا على رشيد . واذ لم يستطع الجنرال حاكم رشيد والعساكر الفرنساوية لمصادمة هؤلاء الجيوش ، فسلّم المدينة وخرج . وبنت العساكر الفرنساوية متاريسها في الرحمانية . وانتشب الحرب بين العسكرين . وكان ذلك في ابتدا شهر ذى القعدة الى ثمانية ذى الحجّة ختام سنة ١٢١٥[٤] .

[ذكر الطاعون الذي حدث في مصر]

وكان في تلك الايّام حدث طاعون عظيم في مدينة مصر واقطارها ومات في الصعيد الامير الشهير ، صاحب الكوكب المنير ، الامير مراد بيك . وكان حزناً عظيماً عند الغزّ المصريين ، لانه طفى سراج زمرة المماليك الشجعين[٥] . ومات سليمان بيك وعدّة من الكشّاف[٦] والمماليك . وعند موت مراد بيك جمع مماليكه واقام عليهم مملوكه عثمان بيك الطوبجي . وسلّم الخزنة الى مملوكه عثمان بيك البرديسي . واوصاهم بان يكونوا في طاعة ابرهيم بيك الكبير ، ويكونوا متّحدين مع

(١) القُصَيْر : موضع بمصر ، بينه وبين (قُوص) ، قصبة الصعيد ، خمسة ايام . (معجم البلدان) .

(٢) غير متحدة ..

(٣) لبلادهم .

(٤) يبدأ شهر ذي القعدة عام ١٢١٥هـ . بتاريخ ١٦ آذار / مارس ١٨٠١م .
ويقع ٨ ذو الحجة من العام نفسه بتاريخ ٢٢ نيسان / ابريل ١٨٠١م .

(٥) الشجعان .

(٦) رؤساء المقاطعات .

بعضهم بعض. ومات هذا الامير المذكور في ختام سنة ١٢١٥ [١]. ومات في مدينة مصر عدّة من الفرنساوية. وكذلك من الرعية.

[ذكر الحرب بين الفرنسيين وبين الانكليز والعثمانيين]

وفي هذا الشهر المذكور، نهض الوزير الاعظم يوسف باشا من اراضي غزّة بالجيوش العثمانية، قاصداً الديار المصرية. وكان بطئاً [٢] في مسيرة خشيةً من انقلاب الوقت وتغيره. لانه قد كان جرّب حرب الفرنساوية، واختبر جسارة قلبهم المتين. وقد عظمت الاهوال على الفرنساوية، واحاطت بهم الاعداء من كل ناحية. وشرع الجنرال بليار يحصّن القاهرة. وحفر خندقاً عميقاً، من باب الحديد الذى بالقرب من اليزبكية، الى شاطى بحر النيل ببولاق. وغرس حافات الخندق اصول النخل. وصنع من وراية [٣] ابراجاً من النخل والرمل بمتاريس عظيمة، ووضع عليهم المدافع الكبار. وحصّن مدينة الجيزة والقلعة الكبيرة، واشحنها بالجبخانات العظيمة. وادخل المشاق [٤] والزيت استعداداً للحريق. هذا والحرب مشتداً بين العساكر الفرنساوية والجيوش العثمانية والانكليزية. وذلك في اراضى الرحمانية. ومات من الفريقين جمع عديد بهذا الحرب الشديد. ومات اربع سوارى عسكر من الانكليزية، وعدّة جنرالية من الفرنساوية. وانجرح الجنرال لانوس جرحاً بليغاً ومات منه. وقبل وفاته دخل عليه امير الجيوش عبد الله منو وبكى عليه وقال له: سلامك ايها البطل من الهلاك، ولا تشمت بك اعداءك. فتنفّس الجنرال لانوس الصعداء من فواد مجروح من سهام الاعداء، واجابه قايلاً: قد لقيتنا ايها الجنرال ببحر الهلاك من فساد رأيك وكبرياك. فلا يسوغ للذى نظيرك ان يكون امير الجيوش الفرنساوية. ومدبّر حروبها القوية. بل يجب ان يكون مدبّراً في مطبخ المشيخة. لانك لو كنت تركت العساكر سايرة في طريقها، لما كانت اعداءنا الانكليز قدرت تملك منا البرّ، وتتمكّن هذا التمكين. فكان ذلك من جبروتك وعنادك المبين. ومات هذا الجنرال، وحزنت عليه الفرنساوية حزناً عظيماً. وقد كانت هذه الوقعة الاخيرة التي انجرح بها لانوس ومات، غلبت الفرنساوية وانتصرت على العثمانية والانكليزية. وعزمت عساكر الانكليز ان تسلّم ارواحها الى الاسر. وقد كان مقدّم الحرب في تلك الوقعة لانوس البطل المشهور الليث الجسور. وهذا المذكور كان فى ذلك اليوم اظهر في الحرب عجايب وفنون الغرايب. وجاهد في الكفاح، الى ان غُلبت الاعداء وارموا السلاح. وعند ما اصابه ذلك

---

(١) اي في منتصف أيار / مايو ١٨٠١م.
(٢) بطيئاً.
(٣) ورائه.
(٤) المشاق: كتل من الخرق البالية، او القطن، تبلل بالزيت، ثم توضع النار فيها وترمى بالمدافع، وقد مرّ شرحها.

الجراح، حضر إلى معونته امير الجيوش، وحمل على الاخصام. وامر [رؤوس] [1] العساكر، الجنرال رانية والجنرال داماس، وهم المكروهين منه، ان يتقدّما لمساعدة لانوس. فتخلّفا وابيا عن التقدّم. وقرعت طبول الكسرة والرجوع الى ورا[ء] نكايةً في امير الجيوش. وارتدّت العساكر الفرنساوية، وتظاهرات عليهم العساكر الانكليزية، لما علموا من الانفساخ الذي ظهر فيما بينهم. فانتصروا عليهم نصرةً عظيمة، من بعد ما كانوا ايسوا [2] من السلامة والغنيمة. وارتدّت الفرنساوية الى متاريسها. وظهر في هذه المعركة الجنرال نقولا الروم [3] وعارك عراكاً شديد فعندما نظر امير الجيوش انقسام قلوب العساكر، اجمع رايه ان يترك جانباً، بالمتاريس بارض الرحمانية، نحو ثلاثة الاف. وسار بباقي العسكر الى آلاسكندرية، وبدا يبني المتاريس في خارج المدينة. وْ [أ]قفل ابواب البلد. فجاءت الانكليزية وقطعت السرى [4] الذى بين بحر المالح [5] وبين خليج النيل المودّى الى الاسكندرية. وكان قصد الانكليز قطع الطريق ما بين اسكندرية والقاهرة لاجل شدّة المحاصرة. وكان ابرهيم باشا قد احرق قطية وتسلّم مدينة دمياط. واما العساكر التى كان ابقاها امير الجيوش في المتاريس بالرحمانية، فانهم عملوا حرباً عظيماً، وتركوا المتاريس ليلاً، وتوجّهوا الى مصر. وصارت العساكر الفرنساوية قسمان: قسم بالاسكندرية مع امير الجيوش، وقسم في القاهرة مع الجنرال بليار اعظم الجبابرة.

وتقدّمت عساكر الوزير للحصار من كل فجّ وديار، وداروا حول مصر شرقاً وغرباً وبراً وبحراً. ونهضت الغزّ المصريون عزوة مراد بيك من اراضى الصعيد، واتوا الى مدينة رشيد، وقابلوا حسين باشا قبوطان [6]. واختلطت العساكر العثمانية مع المصرية والانكليزية، حول مصر [الغربية] [7] وقدم الوزير الاعظم بعساكره من الجهة الشرقية، وابطى [8] ايابه ابطاءً زايداً. وكان السبب انه حضرة له اوامر من الباب العالى، والى حسين باشا قبوطان، ان يتوقفاً في الحرب، عن

---

(١) وردت في الاصل (الى رؤس) فاقتضى التصحيح، بعد حذف (الى) الزائدة.

(٢) يئسوا.

(٣) وردت (نقولا الرومي) في نسخة الشهابي (ص ٣٢٧) وهذا هو المرجّح.

(٤) المسرى، الممر.

(٥) البحر المالح: البحر الابيض المتوسط، وخليج النيل المؤدي الى الاسكندرية: مصب النيل عند فرع رشيد.

(٦) قبودان باشا: وهي رتبة عسكرية عثمانية يحملها قائد الاسطول، ويسمى: ناظر البحرية (عثمانلي بحرية ناظري، قبودان باشا).

(٧) وردت في الاصل (الغربية) فاقتضى التصحيح.

(٨) وأبطأ.

الفرنساوية المقيمين في مصر . [وذلك] [١] كنا ذكرنا سببه سابقاً ، وان المكاتب [٢] ارسلها السلطـان باولو ملك روسيا .

وفي غضون ذلك ، جدّت الاعلام [٣] من الباب العالى بوفاة المشار اليه السلطـان بـاولـو ، الذي كان مع الفرنساوية ضدّ الانكليزية . فعند حقيقة تلك الاخبار ، رجعوا لما كانوا عليه من الحصار ، واخراج الفرنساوية من الديار المصرية . وكان ذلك في شهر محرّم سنة ١٢١٦ [٤] . هذا والجنرال بليار لم يكن عنده افتتاح اخبار . وكل ذلك من انقطاع الطرق والمسالك . فارسل ماية هَجانـاً على طريق البرّية الى مدينة الاسكندرية ، لينظر الاخبار من تلك الديار ، وما جدّ من الامور من طرف الجمهور . وسارت الماية هجان وغابوا مدّة طويلة ، نحو اربعين يوماً ، وما خبر منهم [٥] بان . وكان الجنرال بليار في اضطراب عظيم [ووسواس] جسيم [٦] ، من عدم ايابهم وطول غيابهم.

وبعدالمدّة المذكورة ، حضروا الهجانة عن طريق الجبل ، وجازوا ليلاً على معسكر الانكليز المقيم أمام الجيزة غربي الكنانة . ولم [يحسوا] بهم [٧] حين مرّوا عليهم ودخلوا الجيزة . وحضروا لدى الجنرال بليار واطلعوه على صحّة الاخبار . واتى له جواب من امير الجيوش يعلّمه انه حضر مركب صغير من مدينة باريز ، وصحبته كتابات من القنصل الكبير يعلّم بها ان السلطان باولو سلطان المسكوبية اتّحد معه على حرب الانكليز ، وارسل إلى الدولة العثمانية برفع الحرب عن الفرنساوية الذين بالديار المصرية . ولم يكن دارياً بوفاة السلطان باولو الذى كان قد اوقف الحرب . وحضر كتـاب الى الجنرال يعقوب القبطى يمدحه على شجاعة وفروسيته ، ويوعده بسمو مرتبته ، ويشدّده على الحرب والجلاد ومصادمة الأضداد . وان لا بدّ له من الاسعاف من المشيخة والامداد [٨] . وعندمـا تحقّـق الجنرال بليار تلكْ الاخبار ، اخذ الفين مقاتل وسار بهم ليلاً الى معسكر الوزير . وكانت قد وصلت طلايع الوزير الاعظم الى بلبيس ، مسافة يوم عن القاهرة . وهناك تلاطمت العساكر العثمانية مع عساكر الفرنساوية . ومات عدّة من الارناوط ومن الغزّ . وحين نظر الجنرال بليار ان جيـوش الترك

---

(١) وردت في الاصل (وكذلك) فاقتضى التصحيح .

(٢) المكاتيب . ومعنى الجملة : ولاجل المكاتيب التي ارسلها السلطان باولو ملك روسيا (وقد وردت بهذا المعنى في نسخة الشهابي ، ص ٣٢٧) .

(٣) الاخبار .

(٤) يبدأ شهر المحرم عام ١٢١٦هـ. بتاريخ ١٤ أيار / مايو ١٨٠١م .

(٥) ظهر .

(٦) وردت في الاصل (ووسوس) فاقتضى التصحيح .
والوسواس : الهاجس .

(٧) وردت في الاصل (حسّوا) ، فاقتضى التصحيح . ويحسّون : يشعرون .

(٨) وانه لا بد ان تصله معونة من الجمهورية الفرنسية وامدادات .

كثيرة، وهم قاصدون الجلاد والغزو والجهاد. وليس الامر، كما زعم امير الجيوش، بان الحرب متوقف. فرجع الى مصر في حمية[1]. وتمكّن داخل الحصارات القوية.

وابتدت العساكر تتوارد، الى شهر صفر سنة ١٢١٦ [2]، الى بلغوا لقرب القاهرة. وكان الوزير الاعظم قادماً من الشرق، وحسين باشا من الغرب مع عسكر الانكليز. وضرب الوزير الرستاق[3] في ارض شيرة[4] والمكاس في القرب من الكنانة. وحسين باشا ضرب الرستاق مع عسكر الانكليزية امام مدينة الجيزة غربي مصر[5]. وتكاثرت جيوشهم، واجتمع عليهم طموش غفيرة وعربان كثيرة. هذا وذلك الجبّار والاسد المغوار، الجنرال بليار، قايماً في الكنانة امام ذلك الجمّ. وقلبه اشدّ من الصخر الاصمّ. ووقعت هيبة[6] عند ذلك الجمع الملتئم، لان قد شاع ذكر هولاء الشجعان في ساير البلدان، واشتهرت سطوتهم وانتشرت صولتهم. وقد كانوا هولاء العتاة لا يعرفون الموت من الحياة. فلذلك اجتهدت الدولة العثمانية باخراجهم من مملكة مصر بالسلامة والاطمأنية[7]. وقد خافوا ايضاً [لئلا] [8] اذا ضايقوهم يطلقون النار في البلد ويحرقوها. وكانـوا، قادرين على ذلك لما عندهم من الاستعداد، وقوّة الجلد والجهاد. فلذلك استقامت تلك العساكر والمهالك[9] يتداولون في ان كيف يحتالون، وكيف يخرجونهم بالسلامة والسكون.

[ذكر المفاوضات بين الفريقين المتحاربين].

وفي نصف صفر، ارسل السرعسكر الانكليز رسولا يطلب من الجنرال بليار ان يرسل احداً من طرفه لاجل المفاوضة بامر الصلح. فارسل له احد الكوميسارية. ولما وصل الى مقابلته، اخبره اولاً بموت السلطان باولو. وكان قصده بهذا الخبر لاجل قطع املهم من اعانة المسكوب وانقطاع رجاهم. ثم بدا يتفاوض معه بامر الصلح وتسلم المملكة[10] الى أصحابها. [وذهابهم] [11] الى وطـانهم

(١) وردت (على حميّة) في نسخة الشهابي (ص ٣٢٨)، وترجمها اينيه: (ورجع الى القاهرة ليحتمي بها) (Ainé, op. cit. P. 249) وهذا هو المعنى الصحيح للجملة.

(٢) يبدأ شهر صفر عام ١٢١٦هـ. بتاريخ ١٣ حزيران / يونيو ١٨٠١م.

(٣) الرستاق: فارسية، وتعريبها: رزداق، وهي السواد والقرى. وتأتي هنا بمعنى المعسكر.

(٤) وردت هكذا (شيره) في نسخة الشهابي (ص ٣٢٨)، وفي ترجمة اينيه (P. 249) والصواب (شبرا) وهو اليوم حي كبير من احياء القاهرة، وقد كان، في ذلك الحين، بالقرب من القاهرة، او (الكنانة) كما يسميها المؤلف أحياناً.

(٥) ومصر: تعني، هنا ايضا: القاهرة.

(٦) هيبته.

(٧) والطمأنينة.

(٨) وردت في الاصل (ليلا) فاقتضى التصحيح.

(٩) المقصود بالمالك: الامبراطورية العثمانية والمملكة الانكليزية.

(١٠) اي مصر.

(١١) وردت في الاصل (واذهابهم) فاقتضى التصحيح.

بالامان. ويّريه انقطاعهم في هذه البلاد وعدم اسعافهم والامداد. وان الخروج لا بدّ منه. وكلّ محصور ماخوذ [١]. وبعد ذلك سيّره [٢] [على] ان يردّ عليه الجواب. فرجع الكوميسار الى عند بليار واعلمه بهذه الاخبار. وعن وفاة السلطان باولو وكلام سرعسكر الانكليز. فلما سمع الجنرال بليار هذه الاخبار صنع ديواناً، وجمع ساير الجنرالية ورؤساء العساكر الفرنساوية، واخبرهم بمخاطبة سرعسكر الانكليز، وطلبه الصلح والتسليم. ثم استشارهم كيف يكون الجواب، وما يقتضى رأيهم من الصواب. فمكثوا برهةً يتداولون ويشتاورون. ثم انه اجتمع رأيهم ان التسليم اوفق، وعدم الحرب ارفق. بحيث ان الخروج يكون سليم العاقبة على شروط مناسبة. وعلى ذلك عقدوا الرأى، وبدوا يسطرون شروطاً وعهوداً لتسليم مملكة مصر. ومن بعد ان حرّروا الشروط، قدّموها الى الجنرال بليار، وارسلها لى سرعسكر الانكليز مع الكوميسار. ثم نصبوا خيمة في برّ الجيزة بين العسكرين، وهناك تصير المفاوضة بين الفريقين. فالذين انقاموا [٣] وكلاء لامر الصلح من طرف الفرنساوية: الكوميسار، ويوسف الترزى الارمنى. ومن طرف الانكليز. الجنرال سميت سارى عسكر، واحد الكوميسارية. ومن طرف الوزير الاعظم. عثمان بيك. ومن طرف حسين باشا قبطان. اسحق بيك. واستمرت المداولات بامر الصلح اربعة ايّام. فحينما تّمت تسجلّت المواثيق والعهود، وانعقد الرأى تسليم مصر [واعطائها] [٤] الى الدولة العثمانية، وخروج العساكر وجميع الفرنساوية منها على موجب الشروط الاتى ذكرها، عن يد سيدنه سميت سرعسكر الدولة الانكليزية. ثم حتمت [٥] الفرنساوية بان يكون التسليم عن يد حسين باشا قبطان، [بواسطة] [٦] الانكليز. وسببه كان هذا المشار اليه يميل لطرف الفرنساوية ميلاً عظيماً، وذلك قبل دخولهم واخذهم الاقطار المصرية. وقد [اتّهمه] [٧] الوزير الاعظم ان دخولهم كان باطّلاعه. وتقمقمت الفرنساوية على الوزير لدخوله في الجمعية، وقالوا: نحن لانعقد معه شروطاً ولا نقبل منه خطوطاً [٨]، لانه قد كان خان عهود مع امير جيوشنا الامير كليبر. واذ لم يقدر على التغلّب عليه ارسل قتله خفيةً. ثم ثبت التسليم عن يد حسين باشا وسرعسكر الانكليز. وتسطرت اسطر الشورط والختمت [٩] من التلاث دول.

---

(١) اي انهم محاصرون في مصر فلا بد ان تنتزع منهم.
(٢) سيّره: ارسله، اذن له بالانصراف. وقد رأينا اضافة (على) بعد (سيّره) ليستقيم المعنى.
(٣) أقيموا، عُيّنوا.
(٤) وردت في الاصل (واعطاها) فاقتضى التصحيح.
(٥) اصرّت.
(٦) وردت في الاصل (بوسطة) فاقتضى التصحيح).
(٧) وردت في الاصل (تهمه) فاقتضى التصحيح.
(٨) اوامر.
(٩) وقّعت، والدول الثلاث هي: فرنسا وانكلترا والدولة العثمانية.

وهذه صورة الشروط :

[ذكر شروط الصلح بين الفريقين المتحاربين].

الشرط الاوّل

ان بلوكات العساكر الفرنساوية ، برّية وبحرية ، وبلوكات العساكر المساعدة [١] المتّحدة معهم ، الذين [أمرهم] [٢] الجنرال بليار ، يسلموا مدينة مصر والقلعة الكبيرة ، وكامل القلع الصغار ببولاق والجبزة ، وكامل اطراف مصر الموجودة بها الفرنساوية .

الشرط الثاني

كامل البلوكات العساكر الفرنساوية والعساكر المتحدة معهم ، يتوجّهوا برًّا الى بندر رشيد من طرف شمالى النيل ، بسلاحهم وعزالهم [٣] ومدافع البرّ وصناديق الجبخانة . لاجل يوسقوهم [٤] من رشيد ويتوجّهوا الى اساكل [٥] بلاد فرنسا الموجودة فى بحر الابيض . وكامل مصاريف ما ذكر تقوم بها الدولة العلية المصالحة [٦] . وسفر العساكر المذكورين والمتّحدين معهم ، ونزولهم في المراكب ، يكون باسرع وقت . وغاية ما يكون من العاقة [٧] خمسين يوماً أوّلها من تاريخ هذه الشروط المحرّرة . ومن غير شكّ ان عساكر المذكورين يوخذوا بالمراكب الى اى اسلكة كانت ، الى الطريق الاعدل والاقرب للفرنسا .

الشرط الثالث

من ابتدا هذه الشروط ، تكون العداوة مرفوعة من الطرفين بالكلية . ويتسلّم الى الدولتين

---

(١) العساكر المساعدة ، او الجيوش المساعدة (Troupes auxiliaires) هي وحدات عسكرية غير فرنسية ، تتكوّن عادة من مواطني المستعمرات . وقد عرف لبنان هذا النوع من الجيوش في عهد الانتداب الفرنسي . اما هنا ، فهي تتكون من الاقباط والاروام (المسيحيين) وبعض البدو والمرتزقة والانكشاريين الهاربين من سلطة الدولة العثمانية .

(٢) وردت في الاصل (أمرهم) ، ووردت في ترجمة اينيه «الذين هم بامرة aux ordrs» ، (Ainé, op. cit. P. 252) . ونحن نفضل اعتماد النص الاصلي لهذه الاتفاقية ، وهو بالفرنسية ، وقد اورده «اينيه» الذي اشار الى اخطاء عديدة ارتكبها الترك في تعريبه لها ، والتي «لو أراد تصحيحها كلها ، لكان عليه اعادة صياغة نصّها العربي كله ، لذا اكتفى بتصحيح الاخطاء الهامة فقط» ، (Ibid, P. 285 Note 22) .

(٣) امتعتهم (Bagages) وهكذا وردت في النص الفرنسي (Ibid, P. 252) .

(٤) يجمعونهم ويحملونهم .

(٥) جمع أسكلة ، اي : موانىء .

(٦) اي الدول التي وقّع الصلح معها ، وهي : انكلترا والدولة العثمانية . وقد ورد في النص الفرنسي ما يشابه ذلك «القوى المتحالفة «Aux frais des Puissances alliées» . (Ibid, P. 253)

(٧) التأخير .

المتّحدين[1] قلعة الظاهر[2] وباب مدينة الجيزة المسمّى الباب الهـرامات[3]. وعلى الوكلاء المشار اليهم ان يضبطوا الحدود، وعدم التخـطّى[4]، والاحتراز من وقوع الخلل.

الشرط الرابع

بعد اثنا عشر يوماً من هذا التاريخ، مدينة مصر وقلاعها، والقلعة الكبيرة والباقية، ومدينة بولاق، يخلون من العساكر الفرنساوية ومن المتّحدين معهم. ويتوجّهون الى قصر العينى والروضة واتباعها، والجيزة واطرافها. ومن هناك يسافرون، في غاية جهدهم الى مسافة[5] خمسة ايّام، لكى يتوجّهوا الى محلّ المراكب التى يسافرون بها. وكامل حكّام الانكليز والعثمانية يلتزمـون يقـدّمـون مراكب، ويقيمون بمصارفهم ولزومهم فى بحر النيل، لاجل وسق عزالهم ومونتهم لحدّ البحر المالح. وجميع هذه المراكب تكون محضَّرة بغاية السرعة والاهتام، وتتسلّم عساكر الفرنساوية بالجيزة.

الشرط الخامس

مشي العساكر ومحطاتها يكون معيّن لها جنرالية واهل مراتب من الطرفين. وكذا الايّام المعيّنة للمشي من الواجب يكون المدبّر فها الجنرالية الانكليزية والعثمانية. وكذلك العساكر الفرنساوية المذكورون، والذين متّحدون معهم، يكونوا مصطحبين بطريقهم من كـوميسـاريـة الانكليـزيـة والعثمانية. فهم الذين يقومون بالمعاش الضرورى في مسافة الطريق ومحطاتهم.

الشرط السادس

كامل العزال والجبخانات الذين يوسقونهم فى مراكب بحر النيل، يكونوا مغفرين مع بعض عساكر فرنساوية ومراكب حربية، من طرف الدولتين المتّحدتين.

الشرط السابع

فيكون محضَّراً[6] الى العساكر الفرنساوية والمتحّدين معهم، واتباعهم والذين صحبتهم، المونة[7]

---

(١) انكلترا والدولة العثمانية.

(٢) ورد في النص الفرنسي (قلعة سولكويسكي Le fort Sulkowski) بدلا من (قلعة الظـاهـر)، (Ibid. p. 253). ولم نجد تفسيراً لهذه التسمية.

(٣) باب الاهرامات.

(٤) عدم تجاوز الحدود المرسومة لقوى الفريقين.

(٥) اي خلال فترة اقصاها خمسة ايام.

(٦) حضّر: جهّز. ومحضَّراً: جاهرا.

(٧) المؤونة.

المرتّبة حسب قانونهم[1]. من يوم سفرهم من الجيزة، الى يوم نزولهم في المراكب. ومن ذلك اليوم تكون المونة مرتّبة حسب قانون الانكليز الى يوم طلوعهم للبلاد فرنسا.

الشرط الثامن

يحضر من طرف حكّام الانكليزية وحكّام العثمانية، في برّ وبحر، المراكب الضروية الطيّبة[2] لاجل سفر العساكر الفرنساوية، وكامل ما يلوز[3] بهم، لاجل وصولهم الى اى اسكلة كانت من بلاد فرنسا الموجودة في بحر الابيض. ولاجل اتمام ذلك، يجب ان يحضروا كوميسارية من قبل حضرة الجنرال بليار، ومن قبل رؤساء عساكر الدولتين المتّحدتين برّاً ام بحراً. ومن بعد تاريخة، يجب ان الكوميسارية المنعيّنين من الطرفين يتوجّهون الى رشيد وابوقير، لاجل تحضير المراكب وكامل المطلوبات للسفر.

الشرط التاسع

ان الدولتين المتحدين يجب يحضّرون اربع مراكب ام اكثر، ان امكن، لاجل نقل الخيول واللوازم لهم لحين نزولهم.

الشرط العاشر

يجب ان يتقدم[4] الى العساكر الفرنساوية وكل المتّحدين معهم، من الدولتين المتّحدتين، مراكب حربية كفاية لاجل تغفيرهم[5] ووصولهم سالمين الى فرنسا. والدولتين المتحدتين يضمنوا عدم وقوع الخلل والعداوة من طرف عساكرهم، الى حين وصول عساكر الفرنساوية والذين معهم الى فرنسا سالمين. وكذلك الجنرال بليار يوعد ويتعاهد[6]، مع جميع العساكر التى تحت امره، ان لا يحصل منهم ادنى خلل للعمارة ولا لبلاد حضرة الدولة الانكليزية فى هذه المسافة[7].

وكذا لا يحصل ادنى تعرّض وخلل ببلاد الباب العالى، ولا ببلاد الدول المتّحدة معها. فما لهم ان يتوقّفوا في اسكلة من الاساكل في مسيرهم، بل انهم يقصدون بلاد فرنسا، ما عدا الامر

---

(١) اي وفقا للانظمة الفرنسية.

(٢) الجيدة والمريحة (bons et commodes) هكذا وردت في النص الفرنسي (P. 225).

(٣) يلوذ، اي من هم ملحقون بالجيش.

(٤) يقدِّم.

(٥) حراستهم.

(٦) يعد ويتعهد.

(٧) في هذه الفترة (وردت في النص الفرنسي Pendant le dit temps)، (P. 256).

الضروری. ثم رؤساء عساكر فرنسا والانكليز والعثمانی يكون معهوداً عندهم جميع ما ذكر اعلاه ومحفوظا، طالما عساكر الفرنساوية موجودة بمصر، ومن هذا التأريخ الى دخولهم للمراكب.

وان حضرة الجنرال بليار حاكم العساكر الفرنساوية والمتحدين معهم، يتعاهد عن حكّام دولة فرنسا[١]، ان جميع المراكب المغفرة والمراكب الموسوقة[٢] التى مسافرون بها، فبعد وصولهم يخرّجونهم جميعاً، وترجع جميعاً، ولا ينعاق[٣] منها ولا مركب. وان القباطين[٤] بالمراكب المذكورة يشترون بمالهم مونتهم الضرورية الى رجعتهم. والجنرال بليار يتضمّن رجوع هذه المراكب الى مواضعها بحيث انها لم تتداخلوا بامور حرب بلكلّية[٥].

الشرط الحادى عشر

جميع حكّام السياسة وارباب الحرف والصنايع[٦] وجميع الاشخاص المتعلّقة بالفرنساوية، يحصل لهم سويةً ما يحصل للعساكر الحربية. وان حكّام السياسة وارباب العلوم والصنايع[٧]، يصحبون وياخذون معهم جميع الاوراق والكتب ليس التى تخصّهم فقط، بل كلما يروه نافعًا لهم.

الشرط الثاني عشر

جميع سكّان مصر من اى طايفة كانت، من اراد منهم يتبع العساكر الفرنساوية، مسموح لهم ذلك. ومن بعد سفرهم لا يحصل لاعيالهم ولاموالهم اذية.

الشرط الثالث عشر

جميع سكّان مصر من اي مذهب كانوا، لا يحصل لاحد منهم اذية، لا في مالهم ولا في

---

(١) يتعهد، نيابة عن الحكومة الفرنسية.

(٢) المراكب المغفرة: مراكب الحراسة (وردت في النص الفرنسي Batiments d'escorte). والمراكب الموسوقة: مراكب النقل (وردت في النص الفرنسي Batiments de transport) (Ainé, op. cit. P. 257).

(٣) لا يؤخّر.

(٤) جمع قبطان: قادة المراكب.

(٥) وردت في النص الفرنسي بما تعريبه «على ان لا تباشر ـ اي هذه المراكب ـ ولا تخدم اية عملية حربية» (Ainé, op. cit. p. 257).

(٦) وردت في النص الفرنسي (جميع الادارات، واعضاء اللجنة العلمية والفنية) «Toutes les administrations, les membres de la commission des sciences et arts», (Ibid).

(٧) النص نفسه اعلاه، بالفرنسية.

اعيالهم ولا في انفسهم ، بسبب رفقهم للفرنساوية [١] .

الشرط الرابع عشر

جميع المشوّشين [٢] الذين ليس لهم طاقة على السفر ، يستقيمون في مصر في بيمارستان [٣] ، ويبقى عندهم حكماء [٤] وخدّام يداروبهم لحين شفاءهم ، ثم يُرَسلوا لفرنسا بالحفظ والصون. وان حكّام الدولتين يتعهّدوا تحضير امر هولاء المشوّشين من كامل النظام [٥] .

الشرط الخامس عشر

في وقت فروغ [٦] مدّة تسليم المدن والقلع كما ذكر قبله ، فيحضروا الكوميسارية يتسلّموا المدافع والجبخانات والحواصل [٧] ، وقوايم واوراق ومحلاّت وجنايـن وغير اشيـاء عمـوميـة التى للفرنساوية [٨] ، الى الدولتين المتّحدتين.

الشرط السادس عشر

حاكم البحر لازم يحضّر ، قبل بساعة ، مركب يسافر الى فرنسا ، وياخذ واحد فسيال وكوميسار الى طولون ، وياخذ لهم صورة هذه الشروط الى المشيخة الفرنساوية [٩] .

---

(١) ورد النص الفرنسي بما تعريبه ، كاملا : «ان اي مواطن مصري ، الى اية طائفة انتمى ، يجب ان لا يؤذى ، لا بشخصه ولا بأمواله ، بسبب اتصاله بالفرنسيين في اثناء احتلالهم لمصر ، علـى ان يتقيد ، مـن الآن وصاعدا ، بقوانين بلاده » (Ibid, P. 258) ونرى ان الفرق شاسع بين النص الاصلي بالفرنسية وبين ما اورده الترك .

(٢) وردت في النص الفرنسي (المرضى malades) ، (Ibid) .

(٣) وردت في النص الفرنسي (مستشفى Hopital) ، (Ibid) .

(٤) اطباء ، ووردت في النص الفرنسي (ضباط صحة Officiers de santé) ، (Ibid) .

(٥) وردت في النص الفرنسي بما تعريبه «يتعهد قادة الجيوش المتحالفة بأن يقدموا ، وفقا لطلبات قانونية ، كل اللوازم الضرورية لهذا المستشفى ، باستثناء التسليفات التي يترتب على الحكومة الفرنسية تأمينها » (Ibid, PP. 258 - 259).

(٦) انتهاء ، والمقصود : عند تسليم (وردت بالفرنسية : Au moment de la remise (Ibid, P. 259).

(٧) الجبخانات : الذخائر . والحواصل : المخازن .

(٨) وردت في النص الفرنسي بما تعريبه «الاوراق والمحفوظات والتصاميم ، والاشياء العمومية الاخرى التي سيتركها الفرنسيون للقوى المتحالفة » (Ibid) . ولم ترد كلمة (جنائن) .

(٩) وردت في النص الفرنسي بما تعريبه : «يجب على قائد الجيوش البحرية للقوى المتحالفة ان يجهز ، وبالسرعة الممكنة ، سفينة حربية (Aviso)تحمل الى طولون (Toulon) ضابطا (فسيال Officier) ومفوّض حرب (Commissaire des guerres) ، مهمتهما تسليم الحكومة الفرنسية هذه الاتفاقية » (Ibid) .

الشرط السابع عشر

الذين يخالفون هذه الشروطات يحصل قصاصهم عن يد الكوميسارية وكذلك اذا وقع اختلاف فى الامور يكون نظامه واصلاحه بيد الكوميسارية[١].

الشرط الثامن عشر

بحال اتمام هذه الشروط جميع اسراء الحرب من الانكليز والعثماني الموجودين عند الفرنساوية[٢] يحصل لهم الاطلاق والحرّية وكذلك حكّام عساكر الدولتين المتّحدتين يُعتِقون كامل اسراء الفرنساوية الموجودين فى عرضيهم[٣].

الشرط التاسع عشر

واحد من اكابر عسكر[٤] الانكليز، وواحد من اكابر عسكر الوزير الاعظم، وواحد من قبطان باشا، يكونوا موجودين عند الفرنساوية رهينةً. ويعطى بدلهم ثلاثة من مقامهم[٥] من الفرنساوية ولما ينتهي وصول الفرنساوية الى بلادهم يرجعون الرهاين المذكورين، ويروحون الذين كانو بدلهم، وكل منهم الى محلّه.

الشرط العشرون

هذه الشروط ترسل مع واحد فسيال[٦] الى الجنرال منو للاسكندرية، وله مهلة عشرة ايّام من بعد وصولها ليده، ان كان يرضى على هذا الاتّفاق بذاته وعساكر الفرنساوية. ويحرّر قبوله ورصاه بخطّ يده الى سر عسكر الانكليز الذى مقيم قدّام الاسكندرية[٧]، لغاية عشرة ايّام بعد

---

(١) وردت في النص الفرنسي بما تعريبه «كل الصعوبات والاعتراضات التي يمكن ان تحصل عند تنفيذ هذه الاتفاقية، يجب ان تحلّ حبيا، وبواسطة مفوضين معينين من الفريقين» (Ibid).

(٢) وردت في النص الفرنسي (كل الاسرى الانكليز والعثمانيين الموجودين في القاهرة)، (Ibid, P. 260)، وليس (عند الفرنساوية).

(٣) في عرضيهم: في معسكراتهم. ويرى (اينيه) انها اتت من الكلمة التركية (أوردو) أو (أوردي) (Ibid, P. 285, Note 23)، وتلفظ بالعامية (اورطة) وهي اسم وحدة في الجيش الانكشاري.

(٤) اكابر عسكر = ضابط برتبة عالية، ضابط قائد (Officier supérieur) (Ainé, op. cit, p. 260).

(٥) من رتبتهم.

(٦) وردت في النص الفرنسي (ضابط فرنسي Officier français)، (Ibid).

(٧) ورد في النص الفرنسي بما تعريبه «وهو حرّ في قبوله لما يخص الجيوش الفرنسية والجيوش المساعدة لها والتي هي معه. على ان يبلّغ قبوله هذا، خطيا، الى قائد القوات الانكليزية امام الاسكندرية». (Ibid).

تاريخ وصول هذه الشروط ليده.

الشرط الحادى والعشرون

صورة هذه الشروط يعلّم عليها[1] سوارى عسكر العامّ من طرف الثلاثة دول، ويرجع بعد أربعة وعشرين ساعة، وينتهى كل ذلك.

وقد تحرّر اربعة نسخ مختومة في محلّ المسافة ما بين العرضين[2] في تاريخ مسّيدور سنة التاسعة للمشيخة فى نصف النهار الواقع في ٢٧ حزيران سنة ١٨٠١ مسيحية الموافق ١٦ صفر سنة ١٢١٦.

وهذه هي الامضاوات[3]

دنزلو	موران	تارار
جنرال ويرجاه	جنرال ويرجاه	جنرال ويرجاه
حُن هوب		عثمان بيك
جنرال ويرجاه انكليز		وكيل يوسف باشا
اسحاق بيك		قد اثبت ذلك هلى هو تجنسون
وكيل قبطان باشا		سارى عسكر عامّ

قد اثبت ذلك للورد كايط
جام استونسون قبطان مركب انكليز

---

(١) يوقعها، وسواري: جمع ساري.

(٢) محل المسافة ما بين العرضين: اي المكان الذي جرت فيه المفاوضات بين الفريقين.

(٣) جنرال ويرجاه: عميد (Général de Brigade)، وويرجاه: لواء (Brigade).
- الجنرال دونزلو Donzelot.
- الجنرال موران Moran.
- الجنرال تاريير Tarayère.
- الجنرال جون هوب John Hope.
- هلي هوتجنسون J. Hély Hutchinson (جنرال).
- اللورد كيت Lord Keith.
- القبطان جام استونون (جيمس ستيفنسون) Captain of Royal Navy. James Stivesnson (وقد وقّع الاتفاق نيابة عن اللورد كيت).

نحن فد اتبتنا جميع الشروط
الواقعة فى هذا الاتّفاق لاجل
خلو مصر وتسليمها للباب
العالى المشيّد
يوسف باشا وزير الختام

ونحن قد شهدنا واثبتنا
جميع هذا الاتّفاق الواقع في
هذه الشروط لاجل خلو [1]
مصر
حسين قبطان باشا

لقد ثبّت وتحقّق هذه الشروط
في مسيدور سنة ٩ للمشيخة
الجنرال فاريون [2] بليار

قد طبعت في مطبعة الفرنساوية بمصر

[ذكر جلاء الفرنسيين عن مصر]

ومن بعد تمام تلك الشروط، شرع الجنرال بليار بتخلية مدينة مصر القاهرة وخروج العساكر منها الى قصر العيني والى الجيزة. وتهيّا للخروج معه الجنرال برتولمى [3] كومندان بنى الروم مع عساكر الاروام، والكومندان يوسف الحموى واتباعه المعينون من شفا عمر وارض عكّا، وعبد العالى اغاة الانكشارية. وجميعهم [يخشون] [4] الاقامة في الديار المصرية بعد خروج الفرنساوية. وتهيّا معهم عدّة انفار من عامّ [5] الناس، ونساء كثيرات من الاسلام كُنَّ متزوّجات للفرنساوية، واستعدّوا للسفر معهم. وقبل خروجهم، الجنرال بليار،اقام جسد كليبر من المحل الموضوع به بتابوت رصاص، فامر بنقل التابوت للجيزة باحتفال عظيم ومحفل جسيم، وضربوا مدافع كثيرة، وامر بتنزيل جثّة سليمان القاتل مع الثلاثة رؤس ارفاقه، لانهم كانوا محنطّين ومصبّرين، فانزلوهم بحقارة للجيزة لاخذهم لفرنسا. ثم ان بعد الاثنى عشر يوماً المعيّنة لخروجهم من مصر الى الجيـزة، بعد تجهيز كامل ما يلزم للجمهور الفرنساوي، نهض بليار في العساكر الفرنساوية من القاهرة الى الجيزة فى ٢٨ صفر سنة ١٢١٦ [6].

وخليت مصر من الفرنساوية، ودخلت عساكر الوزير للمدينة. وكان فرح لا يوصف عند

---

(١) الجلاء عن.
(٢) الجنرال فاريون بليار Le Général de division Belliard وقد وردت (فازيون) اي (فرقة Division) في نسخة الشهابي (انظر: نسخة الشهابي، ص ٣٣٥، وترجمة اينيه (Op. cit. P. 261).
(٣) هو نفسه الجنرال بارتليمي Barthélemy الذي سبق ذكره، وهو من جزيرة «سيو» اليونانية.
(٤) وردت في الاصل (خشون) فاقتضى التصحيح.
(٥) عامة.
(٦) الموافق للعاشر من تموز / يوليو ١٨٠١م.

الاسلام، وغمّ عظيم عند من كان من طرف الفرنساوية خاصّ وعامّ. وتخبّت [1] النصارى واليهود في منازلهم، وكانت العساكر الاسلامية اى من وجدوه يعيروه بعد ما يهيّنوه [2]. وعندما بلغ الصدر الاعظم احوال العساكر، ارسل اغاة الانكشارية اطلق التنبيه بالمدينة، على الامان وعدم معارضة الرعية، ورفع الظلم والعدوان. وفرّق الظابتان [3] على جميع الحارات وفى الشوارع والمحلاّت. هذا والعسكر الفرنساوي لم يزل مقيم في برّ الجيزة، لحينما تتجهّز لهم المراكب لحمل اثقالهم لابوقير.

ومن بعد اربعة ايّام من دخولهم الى الجيزة، تحضّرت لهم المراكب، فاشحنوا [4] بها من الاثقال والامتعة والنساء والاولاد وجميع الذين لا يقدرون على المسير في البرّ، وساروا برًّا وبحراً. وسارت امامهم عساكر الانكليز، ومن وراهم حسين باشا بعساكره، وهم في وسط الفريقين. وساروا اربعة عشر يوماً من الجيزة الى قرب رشيد، ومكثوا هناك بينما تتجهّز لهم الذخاير [5] والمراكب، فتجهّزت، وسافروا من ابوقير في غاية ربيع الاوّل سنة ١٢١٦ [6] طالبين فرنسا. وكانت الانكليز، حينما خرجت الفرنساوية من مدينة الجيزة، تسلّموها وجعلوها محلاً لعساكرهم. ومن بعد سفر الفرنساوية بثمانية ايّام، مرض الجنرال يعقوب القبطى ومات. فهذا ما كان من بليار.

وامّا امير الجيوش منو والفرنساوية الذين بمدينة الاسكندرية، فابوا الصلح والتسليم. وانهم لا يخرجون منها إلاّ بعد حرب عظيم. وكان، بعد خروج الفرنساوية من مصر [القاهرة] ودخول عساكر الاسلام، دخل وزير الختام، وحسين باشا قبطان، بمحافل عظيمة. ودخل صحبتهم ابراهيم باشا المحصّل والى حلب، وابراهيم باشا الى ديار بكر، ومحمد باشا ابو مرق، وطاهر باشا ارناوط، واغاوات الانكشارية ورجال من الدولة العلية. ومن امراء مصر ابراهيم بيك الكبير، وولده مرزوق بيك، وعثمان بيك الطنبورى، وعثمان بيك البرديسى، والالفى، ومحمد بيك المنفوخ، ومراد بيك الصغير، وعثمان بيك الاشقار، وسليم بيك ابو دياب، وعلى بيك، وايوب بيك، وعدّة كشّاف [7]. وكان يومًا عظيمًا، وخرجت لمقابلتهم علماء مصر واعيانها وكافة اعوامها وسكّانها، وانتشرت

---

(١) اختبأ.

(٢) يعيروه: الصواب يعيّرونه (بالباء المشدّدة)، اي: يقبّحونه وينسبون اليه العار، ويهيّنوه: الصواب يهينونه (بالياء المخففة)، اي: يحقّرونه.

(٣) جمع غير صحيح لكلمة (ضابط)، وقد وردت (الظباط) بالظاء، في نسخة الشهابي (ص ٣٣٦).

(٤) فشحنوا.

(٥) المؤن.

(٦) آخر ربيع الاول عام ١٢١٦هـ. الموافق للعاشر من آب / اغسطس ١٨٠١م.

(٧) رؤساء مقاطعات.

الاعلام وانسرّت الانام، وفرحت الاسلام بخروج الافرنج اللیام. وصاحت المسلمون ما هذا الآ نصراً من الله وفتحاً [١] . وهاجوا هیاجاً عظیماً على النصارى، وقدّموا عروضات الى الـوزير في قتلهم ونهبهم وسلبهم، فلم يصغ ذلك العادل لبغيهم ووشيهم. ولم يلتفت لفسـادهـم ومكـرهـم. واصـدر فرمان خطيًا لساير الحكّام والقضاة، بان لا يقبلوا دواعي [٢] التى حدثت بايّام الفرنساوية في الايالة المصرية، جزئية [٣] كانت ام كلّية. ولم يرتض هذا الصدر النبيل ان يلتفت الى هذا القال والقيل، بل سلك مع الرعايا سلوك الملوك العادلين والسلاطين الاقدمين، وترك الانتقام لله الملك العلاّم. وكان [يوسفاً] [٤] ثانياً بالامانة الى مصر الكنانة. وابتهجت مصر بزمانه من شيمه وعزيز امانه. وكثر البيع والشرا، وعمرت المدن والقرا، وربحت التجّار [وتواردت] [٥] من ساير الاقطار. وفرحت الخلق طُرّا. ونارت [٦] به مصر وانشدت بذلك شعراً. وهو هذا:

اتـى صـدر الصــدور لارض مصر بنصر اشرقــت فيــه الديــانــة
بعــام قــد كســاه النـــورارّخ به فتحت بيوسف الكنانة

واما حسين باشا قبطان، بعد ما بات ليلـة في مصر [القـاهـرة]، خـرج الى الجيـزة وسـار مـع الفرنساوية كما ذكرنا. وبعد ما مهّد [٧] الوزير مصر، اعطا ولايتها الى محمد باشا ابو مرق الذى كان عنده وكيل خرج. وهذا كان اصله من مدينة غزّة من عامة الناس، فاسعدته الاقدار باذن [الواحد] [٨] القهّار، حتّى ارتقى الى هذه المنازل العالية عند الصدر الاعظم بالتفاته اليه، والقى نظره عليه. فتقمقمت [٩] الوزراء الباقون، كونه ابن عرب قدّمه على الاخرين. ومن المعلوم ابن العرب عند ابن الترك مقاماتهم مخفوضة ورایاتهم منقوصة [١٠] . وقد كان الوزير الاعظم، قبل تملك القاهرة

---

(١) نصر من الله وفتح قريب.

(٢) دعاوى.

(٣) كتبت في الأصل (جزئية) فاقتضى التصحيح.

(٤) وردت في الاصل (يساقاً) فـاقتضى التصحيـح. وقـد وردت كـذلـك (يـوسفـاً) في نسخـة الشهـابـي (ص ٣٣٧)، والمقصود (بيوسف الثاني) هو وزير الاختتام يوسف باشا وقد مرّ ذكره. اما يوسف الاول فهو النبي يوسف (عليه السلام).

(٥) وردت في الاصل (نوادرت) فاقتضى التصحيح.

(٦) واستنارت.

(٧) وردت «بعد ما مهّد الوزير أمر مصر» في نسخة الشهابي (ص ٣٢٨). وترجمها اينيه «بعدما اعاد الامن (Rétablir L,ordre) في مصر» (Ainé, P. 266) وتأتي هنا في هذا السياق.

(٨) وردت في الاصل (الوحد) فاقتضى التصحيح.

(٩) تذمرت.

(١٠) منكّسة.

اوعد[١] لطاهر باشا الارناوط بولاية مصر ان فتحوها بالسيف. فحيث التفت[٢] الامور وخرج بالصلح الجمهور، فبطّل الوعد لطاهر باشا، وكذلك لارضاء رجال الدولة به[٣]. فلاجل ذلك عدل عن تولّي طاهر باشا وولّى محمد باشا ابو مرق. فارسل لدمياط احمد باشا ميرمـران[٤] وامـره باخراج الفرنساوية من العزبة بامان. فارسل احمد باشا طمّن الفرنساوية، فلم يامنوا، بل تركوا القلعة وساروا لرشيد ليلاً، وسلّموا انفسهم للانكليز. فهذا ما كان من الوزير وما دبّر بالديار المصرية.

واما ما كان من الاسكندرية، فان امير الجيوش عبد الله منو، حين حصلت له تلك الشروط، فاعتمد على المحاربة، وبدا في بناء الحصون والمتاريس خارج البلاد، وكان منتظر الامداد من بونابارته بما سبق من الاوعاد[٥]. وبعد سفر بليار ومن معه من العساكر، سارت العساكر الانكليزية والعثمانية الى الاسكندرية، ودارت بها برّاً وبحراً. وانتشب بينهم الحرب والقتال، بالمدافع والقنابر الثقال. ولم تزل القنابر والمدافع تتساقط وتزداد، وهم صابون من تلك الحرب والجلاد، الى ان قلّ ما عندهم من الزاد، وصار قحط مريع وجوع فزيع، ومات كثير منهم من الجوع وبليوا[٦] بالويل والفجوع. وكانوا يطحنون الرز وياكلونه، فيكون به اداء دون الغداء. وانقهر امير الجيوش من مخامرة[٧] الجنرالين رانيه وداماس، فعقد ديواناً وشرع يبرهن خيانـة الجنرالين المذكورين، والضرر الذى حدث منهما ضدّ العسكر. فاثبتت الشريعة عليهما الحقوق، وامر امير الجيوش بالترسيم[٨] عليهما في منازلهما، وخلع الجنرالية عنهما، وضبط اموالهما وتعلّقاتهما[٩]. هذا والحروب قايمة والنيران دايمة، والهجمات على متاريس الفرنساوية متّصلة، وملاحمة[١٠] غير منفصلة.

وفي تلك الايّام، حضر من بلاد الفرنساوية ستّة الاف صلدات في المراكب، وقصدوا اسكلة

---

(١) وعد طاهر باشا.

(٢) وردت (تلطفت) في نسخة الشهابي (ص ٣٣٨) وهذا هو المرجّح.

(٣) يظهر أن رجال الدولة الذين كانوا محيطين به لم يكونوا موافقين على تولية طاهر باشا، وهذا ما يفهم من ترجمة «اينيه». (Aîné, Ibid).

(٤) الميرميران: لقب يعطى للباشا بتوغ (Toug) ذي رتبتين، وهي مرتبة (جنرال بنجمتين) (Pacha à 2 queues). راجع كتابنا (التاريخ العسكري للمقاطعات اللبنانية، ج ١: ٩٩).

(٥) الوعود.

(٦) بُلوا (من ابتلى، بليّة).

(٧) مخادعة، مخاتلة.

(٨) الحجز، الحبس.

(٩) ما يتعلق بهما، ما يملكانه.

(١٠) متلاحمة.

درنة. وهذه بلد على شطّ البحر المالح في برّ الاسكندرية. فبلغوا الانكليز قدومهم، فساروا اليهم مجدّين. وحين شعروا بهم ولّوا منهزمين. وحضروا أيضاً مراكب انكليز الى قُصير، وبهم عساكر من بلاد الهند ورؤساءهم انكليز. ورجال الهند بلون السودان، وهم مختلفون الاديان، فمنهم يعبدون النيران، ومنهم يعبدون الاوثان. ولهم مذاهب متفرّقة ولغات متنوّعة. ولا يلبسون سوى القمصان. فقط فهولاء القوم قد خرجوا من مراكبهم الى القصير، واتوا الى مدينة الجيزة حيث كان المعسكر هناك. ونصبوا المضارب والخيام، واستقرّوا بها ايّام. وقيل انه جاز في ذات يوم احد العساكر المصريين فى وطاق[1] هولاء الهنديين واخذ ناراً، فوثبوا عليه وكادوا يقتلونه. وقدّموه الى سارى عسكرهم ليقضى عليه بالموت. وادّعوا انه لمس الاههم[2]، فخاف الرجل خوفاً عظيماً وقال: انى لست اعلم ما ذنبى. فرحمه السر عسكر اذ هو من الانكليز، وامر لذلك المصري ان يدفع لهم ثمن الطعام الذى نجّسه لما لمس النار. وبعد ما استقرّوا ايّاماً وجيزة في مدينة الجيزة، ساروا الى مدينة الاسكندرية لاجل محاربة الفرنساوية. وكان في ذلك الوقت مشتدّ القتال والجدال، وازداد الحصار فى البرارى والبحار، وزادت النار وقصرت الاعمار، وكلّ من الحرب كل قرم جبّار.

وبعد مضايقة كلية ومحاصرة قوية، ملّت العساكر الفرنساوية، وعزمت على [تسليم][3] الاسكندرية، ومسيرهم في الامان الى منازلهم والاوطان. فارتضت معهم الاسلام بان يخرجوا بالسلام، ويتركوا جبخاناتهم واسبابهم[4]، ويمضوا بسلاحهم وذهابهم فقط. وخرجوا من الاسكندرية على هذا النمط.

وبعد وقوع الصلح والاتّفاق، صنع امير الجيوش عبد الله منو وليمة عظيمة للسرعسكر الانكليز، والى رجال الدولة العثمانية. وقدّم لهم الطعام، وهو من لحوم الخيل والفار والقطاط والكلاب الوخام[5]. واذ تفرّسوا بها سالوه عن تلك اللحوم، ولم ينكر عنهم واجابهم: انه ليس يوجد عندى غير ذلك، ولم يوجد عند الفرنساوية ما يسدّوا به رمق [الفؤاد][6] لما سلّموكم البلاد. فرفعوا اياديهم عن الطعام وهم متعجّبون من تلك الكلام.

---

(١) خيمة، معسكر، وقد مرّ ذكره.

(٢) إلههم.

(٣) وردت في الأصل (التسليم) فاقتضى التصحيح.

(٤) كل ما لديهم من وسائل ومعدات.

(٥) الوخام: قول عامي يقصد به: الرديء، والقذر. ولغة: شيء وخيم: شيء وبيء. والطعام الوخيم: الطعام الفاسد.

(٦) وردت في الاصل (الفواد) فاقتضى التصحيح.

وخرجوا الفرنساوية من الاسكندرية. وتقاسما الدولتان الانكليزية والعثمانية جميع ما تركوه الفرنساوية، لانهم خرجوا بسلاحهم فقط، وساروا في مراكب الانكليز الى بلاد باريز، وخلّوا مدافع وجبخاناتْ وامتعة وذخاير وخيرات. وكان تسليم الجنرال بليار وخروجه اصلح شان من تسليم منو في الذلّ والهوان ولكن قد افتخـر الجنرال منو على بليار انه ما وقع التسليم الاّ بعد الحرب العظيم والجوع الجسيم. فهذا على مقتضى شرايع مشيختهم واحكام دولتهم.

وكانت مدّة حصار الاسكندرية ستّين يوماً، وكان خروجهم في اواخر ربيع الثانى سنة ١٢١٦ [١]. وحضرت البشاير للصدر الاعظم، فامر بشنلك عظيم، وفرح فرحاً جسيم، وضربت مدافع كثيرة وحراقات غزيرة. وابتهجت الاسلام ورفعت الاعلام، وحمدوا ربّ الانام، وقالوا الحمد لله على تاييد الدين. وهذا نصر من الله وفتح مبين امين.

[خاتمة]

وقد تمت اخبار الفرنساوية، وما حدث من الوقايع في الديار
المصرية. وكانت اقامتهم بتسعة وثلاثين شهراً،
وكانوا، من دخولهم الى خروجهم، ما استكنوا [٢]
من الحرب والقتال والمنازعة والجدال. وقد مات
منهم خلق كثير، واهلكوا من الاسلام
عالم لا يرام.
والحمدلله على الدوام
امين

(١) الموافق لاوائل ايلول / سبتمبر ١٨٠١م.
(٢) استكانوا.

ملحق

الحق « اينيه »، في ترجمته لهذا الكتاب، قصيدتين ذكرانه وجدهما في احدى مخطوطات الكتاب بالعربية، احداهما نظمها المؤلف تحية لبونابرت (وقد سبق وأشرنا اليها في احد الهوامش)، والثانية في رثاء الجنرال (كليبر)، وفيما يلي نص القصيدتين:

- ١ -

- في مديح بونابرت -

عثر عليها المترجم في المخطوطة العربية التي استعارها من « كوسّان دي برسفال Coussin de Perceval »، ويرجع تاريخ نظمها الى عام ١٢١٣ هـ. وقد وردت هذه القصيدة في « ديوان المعلم نقولا الترك » تحقيق فؤاد افرام البستاني، والصادر عن مديرية الآثار ببيروت، عام ١٩٤٩ (ص ١٨٠ - ١٨٢)، وفي الديوان نفسه، الصادر عن منشورات الجامعة اللبنانية ببيروت عام ١٩٧٠ (ج ١: ١٨٠ - ١٨٢).

لله عصر قـد زهـا ... فلـك السعـادة فيـه دار
وجمال كـوكـب دولـة الـ ... ـجيش الفـرنسـاوي انـار
يـا حسنهـا مـن دولـة ... بـالافتخـار لها اشتهـار
مقـدامهـا ذو سطـوة ... تهدى الملـوك لـه الوقـار
الشهـم بـونـابـارتـه ... ليـث الوغـا والاقتـدار
مـن فـاق قـدراً وارتقـى ... اوج العلا وسماء الفخـار

ندب توحّد بالورى	بشهامة ذات اعتبار
قهر المالك جمّة	وغزا البلاد مع الديار
واتا لنا بجحافل	ومراكب طوت البحار
وتملّك الاسكندريـ	ـة بسرعة دون اعتبار
وملأ الاراضى عسكرًا	حول الكنانة واستدار
من كلّ صنديد فتى	يوم القتال له اصطبار
صفّ الصفوف بحكمة	وفنون حرب واختبار
وسطى بشدّة عزمه	وعلى جيوش الغزّ غار
واراهم خطبًا عديـ	ـد الهول فيه العقل حار
واثار نار الحرب في	يوم تشيب به الصغار
يوم يقال به له	درّك من نهار
فهناك جيش الغزّ قد	صاح الهزيمة والفرار
وراوا المنية فوقهم	قد امطرت جمرات نار
ذو البطش منهم والفتى	طلب النجا وبه استجار
وتبدّدت تلك الجما	هير العديدة في القفار
وتشتّت امراءها[1]	وغدت بذلّ وانكسار
وفتوح مصر كان في	صفر وامر الله صار
في يوم سبت فيه قد	ارّخت تمّ الانتصار

سنة ١٢١٣

- ٢ -

- في رثاء كليبر -

عثر عليها المترجم في المخطوطة العربية التي وجدها في المكتبة الملكية بباريس، وقد الحقت القصيدة بآخر المخطوطة. ويرجع تاريخ نظمها الى عام ١٢١٥هـ. وقد وردت هذه القصيدة في «ديوان المعلم نقولا الترك» تحقيق فؤاد افرام البستاني، والصادر عن مديرية الآثار ببيروت عام ١٩٤٩ (ص ٤٢٨ - ٤٢٩)، وفي الديوان نفسه الصادر عن منشورات الجامعة اللبنانية ببيروت عام ١٩٧٠ (ج ٢: ٤٢٨ - ٤٢٩).

وفت المنية والحياة قد انقضت	وسطا الحمام على الكميّ الظافر

(١) امراؤها.

فابكوا الشجاع البطش والبطل الذى ظفرت يداه بكلّ قرم[1] فاجر

كم فى اراضى الروم لذكرى نصرة ولكم فتكت بجحفل وعساكر

لا تنكروا فعلى بغوطة جلّق حيث العُداة بمرج ابن العامر

وسبيل علاّم لبطشى مشاهد ينبيكم عن فعل سيفى الباطر[2]

اذ بادروا الاتراك فى اقبالهم يتلاطمون كموج بحر زاخر

فهناك بدّدت الجيوش بصارمى وتركتهم أُعجوبة للناظر

من باب مصر للعريش اسقتهم سوق الخراف امام وجه الزاجر

كم دست هام مقادم غادرتها اسرى يدى وقهرت كلّ مشاجر

ونشرت اعلامى على رؤس الملا طُرًّا واخضعت الورى لاوامر

واذ كان ما فى الموت تدبير ولا حيل ولا صدّ لحكم القادر

فغدى اخسّ الخلق منهم قاتلى والسائل الصعلوك ارّخ غادر

سنة ١٢١٥



---

(١) القرم: الفحل من الرجال.

(٢) الباتر: القاطع.

مراجع المحقق

I ـ بالعربية :

ـ الايوبي، الهيثم، وآخرون، الموسوعة العسكرية، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ١٩٧٧.

ـ البستاني، المعلم بطرس، محيط المحيط، بيروت، ١٨٧٠م، ١٢٨٦هـ.

ـ الترك، نقولا، ديوان المعلم نقولا الترك، تحقيق فؤاد افرام البستاني، طبعة منشورات مديرية الآثار، بيروت، ١٩٤٩.. وطبعة منشورات الجامعة اللبنانية بيروت ١٩٧٠، والطبعتان متماثلتان حتى بأرقام الصفحات وعددها.

ـ الجامعة العربية، لجنة توحيد المصطلحات العسكرية للجيوش العربية، المعجم العسكري الموحَّد، القسم الثاني، (فرنسي ـ عربي)، القاهرة، ١٣٩٠هـ، ١٩٧٠م.

ـ الجبرتي، عبد الرحمن، تاريخ عجائب الآثار في التراجم والاخبار، دار الجيل، بيروت، لات.

ـ رستم، اسد، الاصول العربية لتاريخ سورية في عهد محمد علي باشا، المجلد الخامس، بيروت، الجامعة الاميركية، منشورات كلية العلوم والآداب، ١٩٢٩.

ـ سويد، ياسين، التاريخ العسكري للمقاطعات اللبنانية في عهد الامارتين، جزءان، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت ١٩٨٠ و ١٩٨٥.

ـ الشهابي، حيدر احمد، لبنان في عهد الامراء الشهابيين، من كتاب الغرر الحسان في اخبار ابناء الزمان، تحقيق رستم والبستاني، منشورات الجامعة اللبنانية، بيروت، ١٩٦٩.

ـ مختار باشا، محمد، كتاب التوفيقات الالهامية في مقارنة التواريخ الهجرية بالسنين الافرنجية والقبطية، المجلد الثاني، تحقيق وتكملة: محمد عماره، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت ١٩٨٠.

ـ منظمة التحرير الفلسطينية، خارطة فلسطين عام ١٩٤٨، مركز الابحاث، بيروت، لات.

- النخيلي، درويش، السفن الاسلامية على حروف المعجم، الطبعة الثانية، دار المعارف، القاهرة، ١٩٧٩.
- ياقوت، شهاب الدين ابي عبد الله، معجم البلدان، دار صادر، بيروت، لات.

II ـ بالفرنسية :

- Ainé, Desgranges (Secrétaire interprête du Roi), Histoire de L'expédition des Français en Egypte, (Traduit du texte arabe de: Nakoula El-Turk). Imprimerie royale, Paris, 1839.
- Quillet, Encyclopedie, Ed. quillet, Paris, 1972.
- Ismail, Adel, Documents diplomatiques et consulaires, T. 2. Ed. des oeuvres politiques et historiques, Beyrouth, 1975.

فهرس